منبر الإسلام

السنة (٦٢) العدد (٥) جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ
يوليـــو ٢٠٠٣م - الثـــمن ١٠٠ قــرش

مع العدد هدية الفردوس (مجلة الطفل المسلم)

الجمـــال الإلهى وآثاره فى الأنفس والآفـــاق

راسات جديدة فى
جاز القرآن الكريم

وقـــاف تكرم
عاملين المثـــاليين

ـداد عـاصـمـة
ـتزاج الثـقـافـات
لأديان الســمــاوية

ـنوم آية من آيات
له فى خلقــه

جتمعات الإسلامية فى
روبا الشرقـيـة

من محتويات العدد

□ تفسير سورة التحريم
أ. د. محمد سيد طنطاوى
□ علم الحديث
أ. د. أحمد عمر هاشم
□ «نفحات صوفية» فى مجلس أبى الحسن الشاذلى
أ. د. محمد رجب البيومى
□ بغداد عاصمة امتزاج الثقافات والأديان السماوية
أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة
□ من خصائص الحضارة الإسلامية: تكريم الإنسان
أ. د. محمد السيد الجليند
□ الاستنساخ وانفجار البشرية
د. السيد الجميلى
□ حث الإسلام على الإنفاق فى سبيل الله
الشيخ فوزى فاضل الزفزاف
□ دروس مستفادة من حياة الرسول ﷺ
الشيخ فكرى حسن إسماعيل

غلاف الشهر

● فى غلاف هذا العدد إشارة إلى أهم الموضوعات والقضايا التى تشغل اهتمام القارئ. كما يتضمن صورة لحفل تكريم العاملين المجدين بوزارة الأوقاف وقطاعاتها.

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٩ ش النباتات ـ بجاردن سيتى ـ القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ١٣,٥ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى ـ «بريد جوى»
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى ـ القاهرة ـ تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ ـ ٧٩٤١٦٢٧ ـ ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام ـ القاهرة

منبر الإسلام
تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة
الدكتور : محمود حمدى زقزوق
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير
الدكتور : عبد الصبور مرزوق
نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير
الدكتور : صوفى أبو طالب
الدكتور : أحمد كمال أبو المجد
الدكتور : أحمد هيكل

كلمة التحرير

عزيزى القارئ

أنت على موعد معنا فى هذا العدد الذى تنتظر فيه كل ماهو جديد ومفيد.

فإلى جانب علوم القرآن والحديث والسنة المطهرة وقضايا الدعوة التى لا يخلو عددا من أعداد المجلة منها نعرض لخصائص الحضارة الإسلامية وثقافاتها التى أثرت فكر الكثير من غير المسلمين فكانت أساسا لدعوتهم للسلام بين الغرب والشرق، هذه الحضارة جذبت الكثير من أبناء الغرب للدخول فى دين الإسلام عن تدبر عقلانى لما أدركوه من حقائق ومبادئ وقيم سامية لهذا الدين ودوره فى ضبط سلوكيات الإنسان الذى لا تستقيم الحياة بدونه.

وفى الوقت الذى ينشغل فيه العالم بالصراعات والأحداث الدموية نتيجة لطغيان القوة والبغى هناك سباق محموم فى المعامل الطبية لاستنساخ البشر تدعى بعض المصادر أنه قادم لا محالة والذى إن حدث - لا قدر الله - فسوف يؤدى إلى انهيار البشرية وضياع الأنساب وانحلال المجتمعات.

كما يتضمن هذا العدد موضوعات تؤكد على حقائق علمية - يكتشفها الإنسان كل يوم - جاء بها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان إضافة إلى قضايا التفكير وإعمال العقل التى جعلها الإسلام فريضة إسلامية.

هذا إلى جانب الموضوعات التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريرها.

حديث الشهر

أ.د. عبد الصبور مرزوق

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾

صدق الله العظيم

لا منجاة لأمتنا مما يدبر لها من مكائد إلا بالاعتصام التام بحبل الله

«سيّدنا» فقيه الكُتاب الذى حفظت فيه القرآن بالقرية وأنا ابن التاسعة وسبعة أشهر سألنى وكنت أراجع بين يديه آيات من سورة آل عمران كانت منها هذه الآية: ﴿واعتصموا بحبل الله..﴾.

سألنى «سيدنا» أتعرف معنى «اعتصموا بحبل الله؟!» فأجبته: يعنى «تمسّكوا». فأمرنى - رحمه الله - وكان مكفوف البصر أن أقترب منه، فاقتربت وقد أخذنى الفزع الشديد لأنه - رحمه الله - كان يضع على «الدكّة» التى يجلس عليها إلى جواره بعض حبّات من «الفول» يفركها فى أذن من يخطئ بين يديه فى قراءة آية، والويل لمن تنفرك أذنه بكف «سيدنا وبحبة الفول».

لكن المفاجأة أنه لما اقتربت منه - رحمه الله - لم يفرك أذنى بحبة الفول وإنما ربت على كتفى وقال لى: «الله يفتح عليك».

***

وعدت إلى دارنا وكان جدى من مشايخ الأزهر الأقدمين وكنت أوثر أن أبيت معه فى حجرته وتقوم على خدمته إحدى عماتى المترملة، وعندما يقوم لصلاة الفجر يتقدمنا إماما وأصلى أنا وعمتى خلفه.

***

وفى إحدى صلوات الفجر قرأ - رحمه الله - هذه الآية من سورة آل عمران، فسألته عنها فأخذ يشرحها ببيان طويل لم أستوعب منه شيئا فلما لحظ عدم فهم ما يتحدث به قال لى:

لو جئت لك بحزمة من عيدان حطب القطن مما فوق السطح وطلبت منك أن تكسرها وهى محزومة بالحبل هل تقدر أن تكسرها؟

قلت: لا. قال: لكن إذا انفك رباطها وأعطيتك عودا واحدا تقدر أن تكسره؟ قلت: نعم. قال: هكذا حال الأمة. أمة المسلمين.

إذا كانوا متحدين كأنهم يد واحدة كانوا أقوياء. أما إذا تفرقوا فسيضعفون وتضيع قوتهم ويتغلب أعداؤهم عليهم.

***

وسعدت بما قاله جدى وأسرعت إلى الكتاب أقول لسيدنا ما سمعته من جدى، فقربنى منه وربت على كتفى وقال لى كلمة لم أدرك معناها إلا بعد سنين كنت قد فارقت فيها الكتّاب والتحقت بالأزهر.

قال سيدنا: وهو يربت على كتفى.. «ما شاء الله ابن الوزّ عوّام».

***

ومرت عقود كثيرة من عمرى وأكملت دراستى الابتدائية والثانوية بالأزهر الشريف فى زمن العمالقة من شيوخه، وفى المناخ العلمى والأدبى الذى هو المناخ الخصب والحافل بعطاء الكبار، الكبار فى الفقه وعلوم الشريعة، تلمع فيه أسماء العمالقة من العلماء والأدباء والشعراء الذين ملأوا أيامنا بعطائهم العظيم فى مختلف فروع المعرفة، وشغلونا عن فتنة الدنيا بمتابعة معاركهم الفقهية والأدبية والوطنية التى جعلتنا نجتاز مرحلة «المراهقة» بسلام تام لم نسقط فيه فى الحرام ولم تأخذنا أبدا مبهرات المدينة «القاهرة» إذ كان شغلنا أن نتابع معارك طه حسين والعقاد فى مجلة «الرسالة» التى كنا ندخر من نفقات عيشنا «قرشين» اثنين ثمنا لها كل يوم «اثنين».

***

ولأنه كان من فضل الله علينا أن الذين تربينا على أيديهم كانوا شامخين كبارا لا تشغلهم ذواتهم وإنما تشغلهم هموم أمتهم والقضايا الكبار فقد كانوا لأمتنا نعم القدوة والأسوة.

ومع أننا كنا صغار الأعمار وصغار الحظوظ من العلم لكن عقولنا وقلوبنا واهتماماتنا كانت أكبر بكثير.

نرى العسكر الإنجليز يقيمون عند «كوبرى قصر النيل» فنتميز غيظا وننتظم فى تظاهرات تطالب بجلائهم عن بلادنا.

ويحكى لنا شيوخنا عما كانوا يقومون به فى مقاومة الاحتلال البريطانى فى ثورة ١٩١٩م وعن الاستشهاد الكبير الذى قدمه الشباب، فتتقد قلوبنا حماسة ووطنية وتتحول المعاهد التى كنا ندرس فيها كثيرا إلى ساحات تدعو إلى الجلاء وتطالب بالاستقلال والحرية.

***

ومرت الأيام والأعوام وتركنا مقاعد الدرس لنقوم نحن بالتدريس كل فى الموقع الذى قيضه الله له.

وكان من قدر الله لجيلنا أن شهدنا الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) وهى الحرب التى كان من ثمارها المرة أن أطلق الاستعمار الغربى يده فى عالمنا العربى ومزقت البلاد التى كانت موجودة تحت سلطان «الخلافة» إلى دويلات ومحميات يستمتع الاستعمار بخيراتها ويديرها جميعا فى فلك سياسته.

***

ولكى لا يحكم الاستعمار سيطرته أنشئت عام ١٩٤٥م جامعة الدول العربية التى حفظت الرمز أو صورة «الحلم» الذى تنشده الأمة وتستظل به فى مواجهة الأيام والأحداث.

***

وهنا ـ وبعيدا عما عاشته أمتنا من مصاعب وانكسارات وجراح لم تندمل حتى اليوم منذ إلغاء الخلافة على يد العلمانى «أتاتورك» عام ١٩٢٤م فإنى أستبيح لقلمى أن يقفز من متابعة التاريخ إلى معايشة الواقع الذى يعيشه الجميع ولا حاجة أبدا إلى إعادة القول فيه فأقول:

لا منجاة لأمتنا مما يراد لها من ضياع وتمزق وما يدبر لها من مكائد إلا الاعتصام التام بحبل الله كما أمرنا به الحق سبحانه فى الآية الكريمة عنوان هذه الكلمات.

ولأن جراحات الزمن الذى تطاول سواره منذ إلغاء الخلافة قد خلفت آلاما وأحزانا ربما استعصى الشفاء منها فى زمن قريب.

لكن هذا ـ أبدا ـ لا يجوز أن يحول بيننا وبين بذل كل الجهود حكومات وشعوبا لإذابة الجليد الذى جفف مياه العلاقات الأخوية بين أبناء الأمة ومجدها حتى ما تكاد تسمح لشرايين الدماء أن تنساب فيها.

هذا الذى نحن فيه لا خلاص منه إلا باعتصام الأمة العربية المسلمة جميعها بحبل الله كما أمرنا الحق سبحانه فى هذه الآية.

لا خلاص مما نعانيه إلا بالعودة من جديد إلى حال الأمة الموحدة عقيدة وشريعة وآمالا ومصالح عسى أن يقيض الله من فضله ومن عونه ما نستطيع به أن نتأهل ـ من جديد ـ للدور الذى يمكن به أن نعود ـ كما كانت عليه الدولة الإسلامية الأولى فى المدينة ـ خير أمة أخرجت للناس.

والله وحده المسئول أن يؤلف بين القلوب ويهدى إلى سواء السبيل.

القرآن الكريم وعلومه

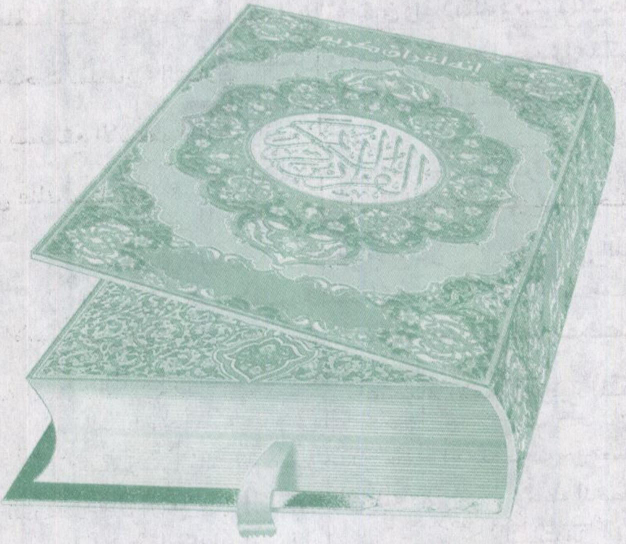

- تفسير سورة التحريم
- دراسات جديدة فى إعجاز القرآن الكريم:

مناهج تطبيقية فى توظيف اللغة

تفسير سورة التحريم

قال الله - تعالى - : ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير* عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا﴾ الآيتان ٤، ٥.

بعد أن حكى الخالق - عز وجل - جانبا من الحاورات التى دارت بين الرسول ﷺ وبين بعض أزواجه، بشأن الشراب الذى شربه عند إحدى زوجاته، وجه - سبحانه - بعد ذلك خطابه إلى السيدة عائشة وإلى السيدة حفصة - رضى الله عنهما - فأمرهما بالتوبة عما صدر منهما فقال - تعالى- ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾.

ولفظ (صغت) بمعنى مالت وانحرفت عن الواجب عليهما. يقال صغا فلان يصغو ويصغى صغوا، إذا مال نحو شىء معين. ويقال: صغت الشمس، إذا مالت نحو الغروب، ومنه قوله - تعالى : ﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة﴾ الأنعام: آية ١٤٣

وجواب الشرط محذوف، والتقدير: إن تتوبا إلى الله، فلتوبتكما موجب أو سبب، فقد مالت قلوبكما عن الحق، وانحرفت عما يجب عليكما نحو الرسول ﷺ من كتمان لسره، ومن حرص على راحته، ومن احترام لكل تصرف من تصرفاته.

وجاء الخطاب لهما على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، مبالغة فى المعاتبة، فإن المبالغ فى ذلك يوجه الخطاب إلى من يريد معاتبته مباشرة.

وقال - سبحانه - ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ بصيغة الجمع للقلوب، ولم يقل قلباكما بالتثنية لكراهة اجتماع تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة، مع ظهور المراد، وأمن اللبس.

ثم ساق - سبحانه - ما هو أشد فى التحذير والتأديب فقال: ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل

لفضيلة الإمام الأكبر
الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

وصالح المؤمنين، والملائكة بعد ذلك ظهير﴾.

وقوله (تظاهرا) أصله تتظاهرا فحذفت إحدى التاءين تخفيفا. والمراد بالتظاهر: التعاون والتآزر. يقال: ظاهر فلان فلانا إذا أعانه على مايريده، وأصله من الظهر، لأن من يعين غيره فكأنه يشد ظهره، ويقوى أمره.

قال - تعالى -: **﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين، ثم لم ينقصوكم شيئا، ولم يظاهروا عليكم أحدا، فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾** سورة التوبة الآية ٤.

وجواب الشرط - أيضا - محذوف، أى: وإن تتعاونا عليه بما يزعجه، وبغضه من الإفراط فى الغيرة، وإفشاء سره. فلا يعدم ناصرا ولا معينا، بل سيجد الناصر الذى ينصره عليكما، فإن الله - تعالى - **(هو مولاه)** أى: ناصره ومعينه **(وجبريل)** كذلك ناصره ومعينه عليكما.

(وصالح المؤمنين) أى: وكذلك الصالحون من المؤمنين من أنصاره وأعوانه.

(والملائكة بعد ذلك ظهير) أى: والملائكة بعد نصر الله - تعالى - له، وبعد نصر جبريل وصالح المؤمنين له، مؤيدونه ومناصرونه وواقفون فى صفه ضدكما.

وفى هذه الآية الكريمة أقوى ألوان النصر والتأييد للرسول ﷺ وأسمى ما يتصوره الإنسان من تكريم الله - تعالى - لنبيه ﷺ ومن غيرته - عز وجل - عليه، ومن دفاعه عنه ﷺ. وفيها تعريض بأن من يحاول إغضاب الرسول ﷺ فإنه لايكون من صالح المؤمنين.

وقوله **(وجبريل)** مبتدأ، وقوله: **(وصالح المؤمنين والملائكة)** معطوف عليه.

وقوله: **(بعد ذلك)** متعلق بقوله **(ظهير)** الذى هو خبر عن الجميع.

وقد جاء بلفظ المفرد، لأن صيغة فعيل يستوى فيها الواحد وغيره. فكأنه - تعالى - قال: والجميع بعد ذلك مظاهرون له. واختير الإفراد للإشعار بأنهم جميعا كالشىء الواحد فى تأييده ونصرته، وبأنهم يد واحدة على من يعاديه.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: قوله: **(بعد ذلك)** تعظيم للملائكة ومظاهرتهم، وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين، ونصرة الله - تعالى - أعظم وأعظم؟

قلت: مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله، فكأنه فضل نصرته - تعالى - بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته، أفضلهم..).

وخص جبريل بالذكر مع أنه من الملائكة، للتنويه بمزيد فضله، فهو أمين الوحى، والمبلغ عن الله - تعالى - إلى رسله.

هذا ومما يدل على أن الخطاب فى قوله - تعالى - : **(إن تتوبا إلى الله)** لحفصة وعائشة ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس أنه قال: لم أزل حريصا على أن أسأل عمن المرأتين من أزواج رسول الله ﷺ اللتين قال الله - تعالى - فيهما: **﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾**.

فلما كان ببعض الطريق.. قلت يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبى ﷺ اللتان قال الله - تعالى - فيهما: **﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾**.

فقال عمر: واعجبا لك ياابن عباس.. هما حفصة وعائشة..

ثم أضاف - سبحانه - إلى تكريمه لنبيه تكريما آخر، وإلى تهديده لمن تسىء إليه من أزواجه تهديدا آخر فقال - تعالى - : **﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن﴾**.

قال بعض العلماء ما ملخصه: سبب نزولها أنه ﷺ لما أشاعت حفصة ما أسرها به، اغتم ﷺ وحلف ألا يدخل عليهن شهرا مؤاخذة لهن.

ولما بلغ عمر رضي الله عنه أن النبى ﷺ قد اعتزل نساءه.. قال له يا رسول الله: لا يشق عليك أمر النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك.

قال عمر: وقلما تكلمت بكلام إلا رجوت أن الله يصدق قولى الذى أقوله، فنزلت الآية.

فاستأذن عمر النبى ﷺ أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له فقام على باب المسجد، ونادى بأعلى صوته: لم يطلق النبى ﷺ نساءه.

و(**عسى**) كلمة تستعمل فى الرجاء والمراد بها هنا التحقيق، لأنها صادرة عن الله - عزوجل -.

قال الألوسى: (عسى) فى كلامه - تعالى - للوجوب، وأن الوجوب هنا إنما هو بعد تحقق الشرط وقيل: هى كذلك إلا هنا، والشرط معترض بين اسم (عسى) وخبرها.

والجواب محذوف. أى: إن طلقكن فعسى.. و(أزواجا) مفعول ثان لـ (يبدل) و(خيرا) صفته..

أى: عسى إن طلقكن رسولنا محمد ﷺ بإذن ربه ومشيئته، أن يبدله - سبحانه - أزواجا خيرا منكن.

ثم وصف - سبحانه - هؤلاء الأزواج بقوله (**مسلمات**) منقادات ومطيعات لله ولرسوله، ومتصفات بكل الصفات التى أمر بها الإسلام.

﴿**مؤمنات**﴾ أى: مذعنات ومصدقات بقلوبهن لكل ما جاء به النبى ﷺ من عند ربه.

﴿**قانتات**﴾ أى: قائمات بالطاعة لله ولرسوله على أكمل وجه.

﴿**تائبات**﴾ أى: مقلعات عن الذنوب والمعاصى، وإذا مسهن شىء منها ندمن وتبن إليه - تعالى - توبة صادقة نصوحا.

﴿**عابدات**﴾ أى: مقبلات على عبادته - تعالى - إقبالا عظيما.

﴿**سائحات**﴾: أى: ذاهبات فى طاعة الله أى مذهب، من ساح الماء: إذا سال فى أنحاء متعددة، وقيل معناه: مهاجرات. وقيل: صائمات. تشبيها لهن بالسائح الذى لايصحب معه الزاد غالبا فلايزال ممسكا عن الطعام حتى يجده.

﴿**ثيبات**﴾ جمع ثيب - بوزن سيد - وهى المرأة التى سبق لها الزواج، من ثاب يثوب ثوبا، إذا رجع، وسميت المرأة التى سبق لها الزواج بذلك لأنها ثابت إلى بيت أبويها بعد زواجها، أو رجعت إلى زوج آخر غير زوجها الأول.

﴿**وأبكارا**﴾ جمع بكر، وهى الفتاة العذراء التى لم يسبق لها الزواج، وسميت بذلك لأنها لاتزال على أول حالتها التى خلقت عليها.

وهذه الصفات جاءت منصوبة على أنها نعت لقوله (**أزواجا**) أو حال.

ولم يعطف بعضها على بعض بالواو، لأجل التنصيص على ثبوت جميع تلك الصفات لكل واحدة منهن.

وعطف - سبحانه - ﴿**وأبكارا**﴾ على ما قبله لتنافى الوصفين، إذ الثيبات لا يوصفن بالأبكار، وكذلك الأبكار لا يوصفن بالثيبات، ولا يجتمع الوصفان فى ذات واحدة.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: كيف تكون المبدلات خيرا منهن، ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين؟

قلت: إذا طلقهن رسول الله ﷺ لعصيانهن له، وإيذائهن إياه، لم يبقين على تلك الصفة، وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف مع الطاعة لرسول الله ﷺ والنزول على هداه ورضاه خيرا منهن.

فإن قلت: لم أخليت الصفات كلها من العاطف، ووسط بين الثيبات والأبكار؟ قلت: لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعان فيهن اجتماع سائر الصفات فيهن، فلم يكن بد من الواو.

هذا، والمتأمل فى هذه الآيات الكريمة يراها ترسم جانبا من حياة الرسول ﷺ مع أزواجه، وهذا الجانب فيه ما فيه من العظات التى من أبرزها تكريم الله - تعالى - لنبيه ﷺ وإرشاده إلى ما هو أهدى وأقوم، وسمو أخلاقه ﷺ فى معاملته لأهله، وتحذير أزواجه من أن يتصرفن أى تصرف لا يرغب فيه، ولا يميل إليه: وتعليم المؤمنين والمؤمنات - فى كل زمان ومكان - كيف تكون العلاقة الطيبة بين الرجال والنساء.

دراسات جديدة فى إعجاز القرآن الكريم (٣)

مناهج تطبيقية فى توظيف اللغة

فى القرآن الكريم ثلاث كلمات، أو مواد لغوية استعارها للدلالة على معان تتوارد على محل واحد، هو «القلب» مع مجىء بعض منها - أعنى الكلمات أو المواد الثلاث - فى سياق الحديث عن غير ذلك المحل، وهما السمع والبصر، وتلك الكلمات أو المواد اللغوية الثلاث هى:

ختم - طبع - ربط، أو «الختم - والطبع - والرباط»، وللقرآن الحكيم مناهج فى استعمالها - كما له فى غيرها - تبرز - بقوة - صورا أخرى حافلة بالإعجاز البيانى اللغوى، آثرنا النظر فيها لتسجيلها ولفت الأنظار إليها.

منهج القرآن فى «ختم يختم»
منهج القرآن فى «طبع يطبع»

د. عبدالعظيم المطعنى

فى هذه الدراسات التى تحاول - جاهدة مخلصة - عرض الإعجاز القرآنى فى ثوب جديد، قوامه التطبيق العملى من الداخل، بدلا من تلك المناهج التقليدية، التى تصف الإعجاز من «الخارج» وقل أن تخوض بحره الزاخر، وأن تستخرج لآلئه المكنونة وجواهره الثمينة من أعماق نظمه البديع العجيب.

وآثرنا - كذلك - أن نبدأ بـ«ختم» قبل أختيها: طبع وربط، لاختصاصها بمعنى دونهما سنفصح عنه قريبا بإذن الله.

● **التمثيل:**

﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة**﴾ البقرة: آية ٧.

﴿**قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به**﴾ الأنعام: آية ٤٦.

﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه**﴾ الجاثية: آية ٢٣.

﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾ يس: آية ٦٥.

﴿أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور﴾ الشورى: آية ٢٤.

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ الأحزاب: آية ٤٠.

﴿يسقون من رحيق مختوم* ختامه مسك..﴾
المطففين: الآيتان ٢٥، ٢٦.

ما ذكرناه من الآيات هو كل ما وردت فيه هذه المادة (خ. ت. م) فى القرآن الحكيم.

وظاهر من النظر فيها أن القرآن يفرق بين ما جاء منها فعلا، وما جاء منها إسما.

● **فالصور الفعلية:** (ختم - يختم - نختم) استعملها القرآن الحكيم فى مواضع الذم والعقاب المؤلم، إلا موضعا واحدا - سنذكره - اختلف فى معناه، والأصوب أنه جار على نسق القرآن من استعمال هذه المادة إذا كانت فعلا فى مواضع الذم والعقاب.

● أما إذا كانت اسما: «خاتم - ختام - مختوم»، فإن القرآن قصرها - على مواضع المدح والجزاء الحسن عكس ما تقدم.

● **بيان ذلك:**

قوله تعالى: **﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾**، وهو استئناف بيانى بعد أن وصف الكفار فى الآية السابقة مباشرة على هذه الآية، وقد جاء فيها:

﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ البقرة: آية ٦.

فلما أخبر بأنهم لا يؤمنون فى جميع الأحوال بين سبب استمرارهم على الكفر، بأنه ختم **﴿على قلوبهم وعلى سمعهم﴾**، عقابا لهم على عدم انتفاعهم بالإنذار، وإعراضهم عن الإذعان مع ظهور دلائل الحق عليه.

وقوله تعالى: **﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾**.

فصورة العقاب هنا - فضلا عن الذم - أشد ما تكون وضوحا، فيمنعون من الدفاع عن أنفسهم، ويفاجأون بأعضاء من أجسامهم - تتكلم وتشهد - بما يدينهم، وليس من عادتها الكلام ولا الشهادة.

وهكذا بقية المواضع، لا تخلو من عقاب وذم من الصيغ الفعلية كلها.

بيد أن موضعا واحدا، اختلف فى معناه اختلافا غير متكافئ، وهو قوله تعالى الذى سبق ذكره:

﴿أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته..﴾.

فقد جزم النسفى فى تفسيره بما أسنده إلى مجاهد من أن معنى **﴿يختم على قلبك﴾** هنا هو: «يربط على قلبك بالصبر على أذاهم.. لئلا تدخله مشقة تكذيبهم»(١).

وأشار جار الله الزمخشرى إلى هذا بصيغة التمريض، «وقيل» أما معناه عنده، فهو:

««فإن يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم.. وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله ﷺ وأنه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم..»(٢)

أما ابن عطية الأندلسى فيقول فى معنى: **﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾**: معناه فى قول قتادة وفرقة من المفسرين: ينسيك القرآن. والمراد الرد على مقالة الكفار وبيان إبطالها وذلك كأنه يقول:

«وكيف يصح أن تكون مفتريا وأنت من الله بمرأى ومسمع وهو قادر لو شاء - على أن يختم على قلبك فلا تعقل ولا تنطق(٣).

هذا هو الأصوب - بل الصواب، لا ما جزم به النسفى من قبل عن مجاهد.

والمقصود من هذا الأسلوب - وأمثاله - تبرئة صاحب الدعوة ﷺ مما يرميه به منكرو الرسالة، ولهذا نظائر فى القرآن منها:

﴿ولو شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾ الإسراء: آية ٨٦.

وقوله تعالى: **﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لاتخذوك**

خليلا* ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا* إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ الإسراء:الآيات ٧٣ ـ ٧٥.

وقوله تعالى: **﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل* لأخذنا منه باليمين* ثم لقطعنا منه الوتين* فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾** الحاقة : الآيات ٤٤ ـ ٤٧.

هذه ـ كلها جزاءات فرضية رتبت على أمور لم تقع منه ﷺ.

وبعد هذا الإيضاح نقول ـ جازمين ـ إن مادة الخاء والتاء والميم ما جاء منها فعلا فإن القرآن التزم فيها استعمالها فى الذم والمجازاة المؤلمة ولم يشذ منها موضع واحد عن هذا المنهج حتى آية «الشورى» على ما بيناه آنفا.

وللقرآن التزام آخر فى الصور الفعلية، وهو استعمالها فى المعانى المجازية دون الحقيقة، لأن المراد بـ«الختم» منع القلوب من دخول الهدى فيها، وخروج الضلال منها، كأنها مختومة بخاتم حقيقى محكم يحول دون الدخول والخروج.

وهو مجاز على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، شبه فيها المنع المذكور بالختم المادى تصويرا للمعنى المعنوى العقلى، بصورة الختم الحسى. وفى توجيه هذه المسألة تفاصيل واسعة ينظرها من يشاء فى مظانها من كتب التفسير، وبخاصة تفسير: الزمخشرى ـ أبى السعود موضع واحد منها فى مقام المدح والتكريم، والجزاء الحسن كما كان فى «ختم».

- شدة الإنذار فى «طبع» أظهر من «ختم».
- تصرف لغة القرآن فى «طبع» أقل من تصرفها فى «ختم» حيث لم يأت من «طبع» إلا الأفعال. وجاء فى «ختم» الاسم والمصدر واسم المفعول.

***

• لماذا اختصت «طبع» بمقام الذم وسوء العقاب؟:

مع قوة التشابه بين «طبع» و«ختم» خُصَّت «طبع» بمواضع الذم وسوء العقاب، بينما جاءت الصور الاسمية من «ختم» فى مواضع المدح والتكرم والجزاء الحسن، فهى ـ أى ختم ـ فى القرآن أداة ذم ومدح.

أما «طبع» فقد رأينا القرآن يقصرها على مواضع الذم وسوء المصير. فهل لهذه التفرقة الأسلوبية فى القرآن الحكيم من سبب؟ أم الأمر مجرد اتفاق؟

والجواب:

مادة الطاء والباء والعين لها مصدران فى اللغة:

أحدهما: الطبع، بسكون الباء، ويدور معناه بين ضرب الدراهم وصنع السيوف، والجبلة التى خلق عليها الانسان(٤).

والثانى: الطبع، بفتح الباء ومعناه: الدَّنس والصدأ الذى يصيب الحديد فيفسده، ويعلو جوانب السيوف فيضعف حدتها، وقد تتآكل.

والذى نرجحه أن كل مواضع «طبع» فى القرآن مشتقة من «الطبع» بفتح الباء، لذلك اختصت بالذم وسوء الصبر، لأن القلوب المطبوع عليها صارت «فاسدة» كما يفسد «الطبع» الحديد.

فهذا المعنى ملحوظ فى كل المواضع التى ذكرناها من القرآن الكريم، وهذا هو سبب تفرقة القرآن بين «طبع» و«ختم» فيما نفهم وتستريح إليه نفوسنا.

***

منهج القرآن فى «طبع»:

أولا: قصرها على مواضع الذم وسوء المصير.

ثانيا: التزام المجاز فى جميع صورها. حيث شبه فساد قلوبهم بالكفر والنفاق بفساد الحديد يعلوه الصدأ والأوساخ.

ثالثا: التزام إسنادها إلى «الله» ظاهرا ومضمرا.

رابعا: اقترانها بأوصاف ذم أخرى لاحقة لها أو سابقة ولاحقة.

خامسا: إيقاعها على «قلوب» العصاة دائما، وحينا عليها وعلى سمعهم وأبصارهم.

سادسا: قصرها على الأفعال دون الأسماء والصفات.

سابعا: تصاعد شدة الإنذار فيها حيثما وردت.

ثامنا: أرجحية اشتقاقها من «الطبع» بفتح الباء أى: الدنس، على اشتقاقها من «الطبع» بسكون الباء، لتتاسب معناها مع «الأول» دون «الثانى».

فيهما إظهار التفضل على عباد الله الصالحين، وإشادة بالجزاء الحسن الذى وعدهم الله به.

وهذا يرسم لنا خطوات المنهج القرآنى فى مادة (خ. ت. م)، ولكن قبل تسجيل هذا المنهج نجيب عن السؤال الآتى:

لماذا اختص الفعل بالذم والعقاب:

والجواب: معروف أن الفعل له ثلاث دلالات هى: دلالته على «الحدث» من حيث معناه». ودلالته على «الزمن» من حيث صياغته، ثم دلالته على «الفاعل» التزاما.

والاسم أو الصفات المشتقة، والمصدر يشترك مع الفعل فى دلالة واحدة هى «الحدث».

فالفعل أكثر مرونة من الاسم لدورانه مع الزمن ماضيا وحاضرا ومستقبلا، وصالح للتعليق كذلك، كقوله تعالى: **﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾** فقد علق «بختم» على مشيئة الله. والاسم بمنأى عن هذا.

ولما كان الفعل بهذه المرونة والمطاوعة صلح للإخبار عن الماضى فى قوله تعالى: **﴿ختم الله على قلوبهم﴾**، كما صلح للمستقبل فى الآية السابقة: **﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾**، وفى قوله تعالى: **﴿اليوم نختم على أفواههم﴾** وهذا سيكون يوم الحساب.

لذلك اختص بمقام الذم والعقاب، وملاحقة الأحوال التى حدثت أو هى حادثة، أو مستحدث.

أما الاسم: «خاتم»، و«مختوم»، و«ختام»، فلتجرده عن الزمن ثم حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، وحاشية الكازرونى على البيضاوى كذلك(٥).

***

• الصور الاسمية:

أما الصور الاسمية الثلاث: خاتم - مختوم - ختام، فقد التزم القرآن الحكيم استعمالها فى مواضع المدح والجزاء الحسن.

***

ففى آية «الأحزاب»: **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**..

جاء «خاتم» فى ذروة المدح والثناء العطر على صاحب الدعوة ﷺ ودلالة «خاتم» هنا على المنع الذى هو أصل دلالة المادة، دلالة ظاهرة، حيث أن نبوته منعت مجىء نبوات بعده، فهو الرسول النبى المصطفى لجميع العباد من لدن بعثته إلى قيام الساعة.

لأن رسالته الخاتمة أغنت البشرية عن أية رسالات أخرى، لاشتمالها على كل الفضائل، ونهيها عن كل الرذائل، وصدق شاعرنا الذى قال:

لا تذكروا الكتب السوالف قبله

جاء الصباح فأطفأ القنديلا

***

وآيتا «المطففين»: **﴿يسقون من رحيق مختوم* ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون﴾** المطففين: الآيتان ٢٥، ٢٦.

صارت دلالته ثابتة، فـ«محمد» ﷺ خاتم النبيين فى كل وقت، وليس خاصا بوقت دون آخر، ولا فى ختمه للنبيين تجدد وانقطاع، وشراب أهل الجنة تحقق الختم بالمسك عليه وثبت فهو - دائما - مختوم وختامه مسك، وإن شئت فجرب وضع اسما بدل الفعل فى مواضع الفعل، أو فعلا بدل الاسم فى مواضع الاسم ثم انظر عقبى الكلام كيف تكون؟ والمعنى إلى أى جهة ذهب؟

***

• منهج القرآن فى «ختم»:

أولا: استعمال الصيغ الفعلية فى مقام الذم وسوء المصير والعقاب الأليم.

ثانيا: قصر استعمال الصيغ الأسمية فى مقام المدح والتكريم والجزاء الحسن.

ثالثا: التزام إيقاع أفعالها على القلوب، وحين السمع.

رابعا: إسناد الصور الفعلية إلى «الله» أو إلى أحد الضمائر المكنى بها عنه - عز وجل -.

خامسا: التزام الدلالات المجازية فى الصور الفعلية بلا خلاف.

طَبَعَ - يَطْبَعُ

فى اللغة يفسرون - غالبا - الطبع بالختم، ويفسرون الختم بالطبع، فبين الكلمتين تشابه، وقد مر بنا منهج القرآن فى «ختم» ورأينا أن استعمالها فيه قائم على التفرقة بين صورها الفعلية، وصورها الاسمية، فصورها الفعلية مقصورة على مقام الذم والعقاب، وصورها الاسمية مقصورة على مقام المدح والتكريم وحسن الجزاء.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن ما كان منها فعلا فلا ينفك عن المجاز اللغوى الاستعارى، وقد عرفنا - الآن - أن بين «ختم»، و«طبع» فى اللغة تشابها لدرجة أن كلا منهما تفسر بالأخرى. فهل هما فى القرآن كذلك؟ أى يثبت لـ«طبع» ما ثبت لـ«ختم» أم أن بينهما تباينا ملحوظا فى لغة القرآن؟ هذا ما سيظهر لنا بعد التمثيل والنظر.

• التمثيل:

﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾ النساء: آية ١٥٥.

﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾ التوبة: آية ٨٣.

﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون﴾ النحل: آية ١٠٨.

﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ الأعراف: آية ١٠٠.

﴿... أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾ محمد: آية ١٦.

﴿.. فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ يونس: آية ٧٤.

﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ الأعراف: آية ١٠١.

﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ الروم: آية ٥٩.

﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ غافر: آية ٣٥.

﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ التوبة: آية ٨٧.

﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ المنافقون: آية ٣.

هذه الآيات الإحدى عشر هى كل ما وردت فيها كلمة «طبع» فى صور مختلفة، والنظر فيها يسفر عن الآتى:

● لم يستعمل القرآن منها إلا الأفعال، ولم يأت منها اسم ولا مصدر قط.

● والأفعال التى وردت فى الآيات إما أفعال ماضية، وإما مضارعة، فالمضارعة ستة أفعال مبنية للفاعل، والماضية خمسة أفعال ثلاثة للفاعل واثنان للمفعول.

● الأفعال المبنية للفاعل كلها مسندة إلى «الله» ولم يسند منها موضع واحد لغير الله، سواء كانت ماضية أو مضارعة، ولهذا الإسناد صورتان:

الأولى: وهى الغالبة، الإسناد إلى الاسم الظاهر «الله».

والثانية: الإسناد إلى الضمير «نحن» وجاء ذلك فى موضعين: **﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾**، و**﴿نطبع على قلوبهم﴾**.

أما ما بنى للمفعول، وهو موضعان، ففاعلهما «الله» حملا للمطلق على المقيد، ولأن هذا الفعل لا فاعل له إلا «الله».

● إيقاع «الطبع» على «القلوب» مثلما كان فى «ختم» إلا فى موضع واحد قرن السمع والأبصار مع القلوب.

﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾.

● أن يذكر «الطبع» مقرونا بصفات ذم أخرى لاحقة له أو سابقة ولاحقة. فمثال اللاحقة قوله تعالى: **﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون﴾** فوصفوا بـ«الغافلون» بعد الطبع. ومثال السابقة اللاحقة قوله تعالى: **﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾**.

فوصفوا بعدم الإيمان والتكذيب قبل الطبع، ووصفوا بـ«المعتدين» بعد الطبع.

● جاءت جملة «الطبع» مسبوقة بأداة التشبيه «الكاف» داخلة على اسم الإشارة «ذلك» فى ثلاثة مواضع، ولم يأت هذا فى «ختم».

● قصر كل مواضع «طبع» على مقام الذم وسوء العقاب، ولم يأت موضع واحد منها فى موضع المدح والتكريم والجزاء الحسن، كما كان فى «ختم».

● شدة الإنذار فى «طبع» أظهر منها فى «ختم».

● تصرف لغة القرآن فى «طبع» أقل من تصرفها فى «ختم» حيث لم يأت من «طبع» إلا الأفعال ماضية ومضارعة، ولم يأت منها الأمر، لأن المقام الذى استعمل القرآن فيه مادة «ط، ب، ع» مقام الخبر.

أما «ختم» فجاء فيها الأفعال الفعل والاسم والصفة، مثل «خاتم» و«مختوم» وختام.

لماذا اختصت «طبع» بمقام الذم

مع قرة التشابه فى المعنى بين «طبع» و«ختم» خُصَّت «طبع» بمقام الذم، بينما جاءت الصيغ الأسمية من «ختم» فى مواضع المدح والثناء.

أما «الطبع» فقد رأينا القرآن يقصرها على مقام الذم وسوء العقاب، فهل لهذه التفرقة الأسلوبية من سبب؟

والجواب هو أن مادة «طبع» فى اللغة لها مصدران: الأول، الطَّبْع بسكون «الباء» ويدور معناه بين سك الدراهم، والجِبِلَّة التى خلق الإنسان عليها.

الثانى: الطَّبَع، بفتح «الباء» ومعناه: الدنس (القذارة) والصدأ الذى يصيب الحديد ويعلو جوانب السيوف فيضعف حدتها، ويذهب صفاء رونقها، وقد تتآكل»(٦).

والذى نرجحه أن كل مواضع «طبع» فى القرآن مشتقة من «الطبع» بفتح «الباء» لأن معناها الفساد والعطب.

لذلك قصد القرآن استعمالها فى مواضع الذم، وهذا المعنى ملحوظ فى كل المواضع التى وردت فى القرآن الحكيم. وهذا من جهة أخرى يكشف لنا عن السر فى تفرقة القرآن بين «ختم» و«طبع» على هذا الوجه الدقيق المعجز.

لأن هذه التفرقة قائمة على الإحاطة باللغة ودقائق دلالتها.

منهج القرآن فى «طبع»

أولا: قصرها على مواضع الذم وسوء المصير.

ثانيا: التزام المجاز فى جميع صورها، حيث شبه فساد القلوب بالكفر والنفاق بفساد الحديد يعلو الصدأ.

ثالثا: التزام إسنادها إلى الله ـ عزوجل ـ سواء كان اسما ظاهرا أو مضمرا.

رابعا: اقترانها دائما بأوصاف ذم أخرى سابقة عليها أو لاحقة وسابقة.

خامسا: مجيؤها حديثا من القلوب دائما.

سادسا: قصرها على الأفعال: «طبع يطبع» ولم تأت منها أسماء قط.

هذا هو المنهج الذى خضعت له هذه المادة فى القرآن. ولهذه الدقة نزل القرآن كله.

الهوامش:

١ ـ تفسير النسفى (١٠٧/٤).

٢ ـ الكشاف (٤١٨/٢).

٣ ـ المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز (٢١٦/١٤).

٤ ـ لسان العرب لابن منظور ـ مادة: طبع والمصباح المنير.

٥ ـ تراجع هذه التفاصيل فى المصادر المشار إليها سابقا فى تفسيره هذه الآية.

٦ ـ انظر لسان العرب لابن منظور مادة: طبع، والمصباح المنير للفيومى.

دراسات فى السنة المطهرة

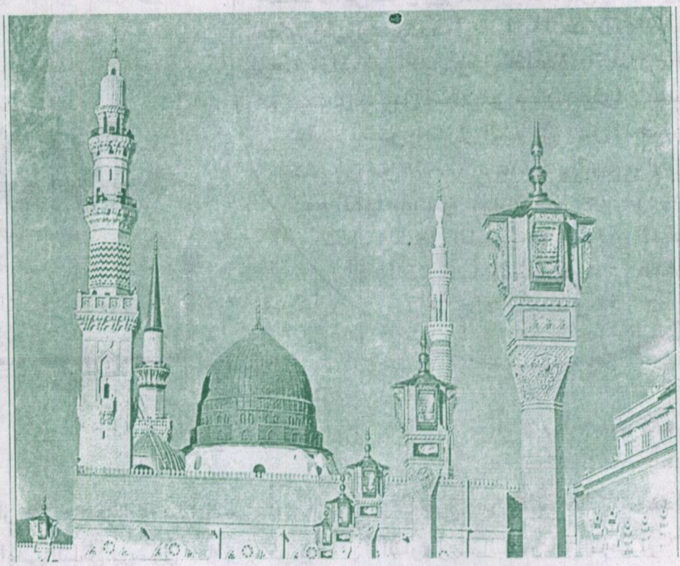

- علـــم الحـــــــــــــديث
- دروس مستفادة من حياة الرسول ﷺ

علم الحديث

لعلوم الحديث منزلتها بين العلوم الدينية، ولها أهميتها فى معرفة المقبول وغيره من الروايات، والصحيح وغيره من الأحاديث والثقات وغيرهم من الرواة.
وأهل الحديث هم حملة أشرف علم بل إنهم خلفاء الرسول ﷺ كما جاء فى الحديث الذى رواه الطبرانى وغيره، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «اللهم ارحم خلفائى» قيل ومن خلفاؤك؟ قال: «الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى ويعلمونها الناس».
وقد بشر رسول الله ﷺ أهل الحديث والذين يكثرون من الصلاة عليه بأنهم أولى الناس به يوم القيامة، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أولىِ الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة» رواه الترمذى.

أ. د/ أحمد عمر هاشم

وقال ابن حبان فى صحيحه: هذا الحديث بيان صحيح على أن أولى الناس برسول الله ﷺ فى يوم القيامة أصحاب الحديث، إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه منهم. ويقول الإمام الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ: أهل الحديث فى كل زمان كالصحابة فى زمانهم وإلى هذا المعنى أشار قول الشاعر:

أهل الحديث همو أهل النبى وإن

لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

وإنما بلغ أهل الحديث تلك المكانة العالية لأنهم يبلغون عن رسول الله ﷺ ويروون أحاديثه، ويحرسون السنة، ويدافعون عن الشريعة ويقاومون الكذب عليها هذا وإن من كذب على رسول الله ﷺ فله الوعيد الشديد. عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»** رواه البخارى والترمذى.

ويعد علم الحديث من أهم العلوم الدينية وأجلها، وله منزلته وفضله، فبه يعرف الحديث الصحيح من غيره، وبه نقف على البيان لكتاب الله وتفصيل آياته، وتوضيح الأحكام، ولذا لقى هذا العلم عناية فائقة من العلماء فى كل عصر وفى كل جيل من الأجيال. فما هذا العلم؟ وما موضوعه؟ وثمرته ونسبته؟ ومن الذى وضعه؟ ومم تستمد مسائله ومادته؟ وما حكم تعلمه؟

وقبل أن نجيب على هذه المطالب نذكر بعض ما قيل فى تعريف هذا العلم: قال عز الدين بن جماعة: «علم الحديث علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن وموضوع السند والمتن، وغايته معرفة الصحيح من غيره(١)

وينبغى أن نفصل القول فى تحديد علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية أما علم الحديث رواية: فهو علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وما أضيف إلى الصحابة من ذلك أو إلى التابعين على الرأى المختار.

وأما علم الحديث دراية: فهو علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن وسيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

فعلم الحديث حين يطلق يكون شاملا للنوعين معا: الرواية والدراية كما قال الإمام النووى: إن المراد من علم الحديث تحقيق معانى المتون وتحقيق علم الإسناد والمعلل.. ثم يقول وليس المراد من هذا العلم مجرد السماع ولا الإسماع ولا الكتابة، بل الاعتناء بتحقيقه والبحث عن خفى المتون والأسانيد والفكر فى ذلك.

موضوع علم الحديث دراية

موضوع علم الحديث دراية يشتمل على الراوى والمروى، أو على السند والمتن من حيث القبول أو الرد أو التوقف، فهو يبحث فى حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وما يتصل بها من أحكام، كما يبحث فى حال الرواة وشروطهم، وفى أنواع المرويات وما يتعلق بها من مسائل وأحكام.

ثمرته:

وثمرة هذا العلم تتمثل فى معرفة المقبول والمردود، وبمعرفة المقبول يعرف الحديث المعمول به الذى يثبت به الحكم الشرعى، أو يفصل به حكم ورد مجملا فى القرآن الكريم، أو يفسر به أمر مبهم وهكذا، وبمعرفة المردود يعرف الموضوع أو الضعيف الذى لا يعمل به فيترك ويتنبه إليه المسلمون فلا يغترون به ولا يحتجون بما جاء فيه ولا يعملون به وتتركز ثمرة هذا العلم فى الحفاظ على الشريعة الإسلامية وأحكامها وأدلتها.

نسبته:

ونسبة هذا العلم لعلم الحديث رواية كأصول الفقه بالنسبة لعلم الفقه، فهو أصول الرواية، وبه يمكن الوصول إلى الحديث الصحيح المعمول به، وتمييزه عن غيره، ومعرفة أنواع الحديث، وما يكون حجة فى إثبات الأحكام ومالا يكون ومعرفة أحكام الحديث.

واضعه:

وأول من وضع بعض مسائل هذا العلم هو الإمام الشافعى فى كتابه «الرسالة» وكتابه: «الأم»، ثم جمع الإمام الترمذى بعض بحوث هذا العلم فى خاتمة جامعه، وأما أول من وضع كتابا مستقلا فى علم أصول الحديث فهو القاضى أبو محمد الرامهرمزى المتوفى سنة ٣٦٠هـ.

فضله:

ولهذا العلم فضله لأنه من أهم العلوم الدينية وأشرفها فيه يتوصل إلى الوقوف على الثابت الصحيح من أحاديث رسول الله ﷺ، وبهذا العلم يتم تبليغ الحديث النبوى على الوجه الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ كما سمع منه، وبهذا يتم الفوز بدعاء الرسول ﷺ لمن بلغ حديثه إلى أمته كما سمعه حيث قال ﷺ: **«نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع»**، رواه أبو داود والترمذى، ويقول سفيان بن عيينة: ليس من أهل الحديث أحد إلا وفى وجهه نضرة لهذا الحديث.

استمداد هذا العلم

تستمد بحوث هذا العلم مما كتبه العلماء عن تاريخ الرجال والرواة ونقدهم ونقد المتون والمرويات.

حكم تعلم هذا العلم

وأما حكم تعلم هذا العلم فهو أنه واجب كفائى بمعنى أنه إذا تعلمه البعض ممن يكونون كافين فى سد الحاجة وخدمة السنة سقط الطلب عن الباقين، ويكون واجبا عينيا لمن كان قد تأهل فى

معرفة هذا العلم ولا يوجد غيره ممن يفى بالحاجة ويسد مسده فتعلمه والوقوف على بحوثه حينئذ يكون واجبا عينيا.

مسائله

وأما مسائل هذا العلم فهى تلك القواعد الكلية التى عن طريقها يمكن الوقوف على بيان درجة الحديث والحكم على جزئياته وتوضيح ما إذا كان صحيحا أو حسنا أو ضعيفا وهو أنواع بل هى علوم كثيرة كما يتضح من اسمه: «علوم الحديث» إذ أن من مسائله ما يتصل بالرجال، ومنها ما يتصل ببيان الصحيح والحسن والضعيف والموضوع.

غايته

وغاية هذا العلم تتضح فى استخدامه كوسيلة يتوصل بها إلى معرفة المقبول الذى يعمل به، والمردود الذى لا يعمل به وغاية ذلك الفوز بسعادة الدارين حيث اتضحت السنة الصحيحة التى هى الأصل الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم مباشرة.

منزلة رجال الحديث

إن رجال الحديث الأمناء على أعظم ثروة فى الوجود، وهى سنة الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وهم أمناء الله على دينه، وأمناء الرسول ﷺ إذا علموا وعملوا.

يقول عبدالله بن داود الخريبى: سمعت من أئمتنا ومن فوقنا أن أصحاب الحديث وحملة العلم هم أمناء الله على دينه وحفاظ سنة نبيه ما علموا وعملوا.. وما ذلك إلا لعنايتهم بحفظ أحاديث الرسول ﷺ وروايتهم لها وتمييزهم بين الصحيح وغيره حتى يتضح وجه الحق، ويتعرف الناس على شريعة ربهم فى وضوح وجلاء يقول أبو حاتم الرازى: لم يكن فى أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا فى هذه الأمة، فقال له رجل: ياأبا حاتم ربما رووا حديثا لا أصل له ولا يصح، فقال: علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم، فروايتهم ذلك للمعرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها، ثم قال: رحم الله أبا زرعة كان والله مجتهدا فى حفظ آثار رسول الله ﷺ(٢).

وإنما نال رجال الحديث هذه المكانة بعلمهم وعملهم وإحيائهم لسنة نبيهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

يقول أبو عبدالله البخارى: كنا ثلاثة أو أربعة على باب على بن عبدالله فقال: إنى لأرجو أن تأويل هذا الحديث: عن النبى ﷺ: **«لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم»**، إنى لأرجو أن تأويل هذا الحديث أنتم، لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات، وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات، والملوك قد شغلوا أنفسهم بالمملكة، وأنتم تحيون سنة النبى ﷺ.

وفى الاشتغال بالحديث عز الدنيا وسعادة الآخرة، فيه يعرف الحلال من الحرام، وبه تكون طاعة الله تعالى على أكمل الوجوه، يقول سفيان الثورى: سماع الحديث عز لمن أراد به الدنيا، ورشاد لمن أراد به الآخرة.

وقال أبو جعفر النفيلى (٢٣٤) إن كان على ظهر الأرض أحد ينجو فهؤلاء الذين يطلبون الحديث، وأنشد أبو مزاحم الخاقانى (٣٢٥)

أهل الحديث همو الناجون إن عملوا
به إذا ما أتى عن كل مؤتمن
قد قيل انهموا خير العباد على
ما كان فيهم إذا أنجوا من الفتن

الهوامش:

١ ـ قواعد التحديث، تدريب الراوى.

٢ ـ شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى بتحقيق د. محمد سعيد الخطيب أو على طبع جامعة أنقرة.

من فوق المنبر

دروس مستفادة من حياة الرسول ﷺ

الحمد لله القائل فى محكم كتابه الكريم ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا﴾ الفتح: آية ٢٨، نحمده على نعمه، ونشكره على آلائه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها من هول يوم القيامة ونشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، ورحمة الله المهداة إلى البشرية جمعاء، أرسله ربه بالصراط المستقيم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى اليوم الدين..

الشيخ / فكرى حسن إسماعيل

أما بعد فيأيها المسلمون:

يقول الحق تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾** الأحزاب: آية ٢١.

على حين فترة من الرسل، وقد شمل العالم الاضطراب وسادته الفوضى، وتحكم فيه أهل البغى والعدوان، والظلم والانحلال وتطلعت البشرية كلها إلى بعث جديد، وعهد مجيد يقوم على قواعد الحق والخير والعدل والنظام عند ذلك تجلى الله على الإنسانية المعذبة فبعث إليها الرحمة المهداة، والسراج الوهاج سيدنا محمدا البشير النذير، حاملا بيده مشعل الهداية، وسلطان العلم. ينبئ الناس بأنه رسول من عنده، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه أوحى القرآن لينذرهم به ومن بلغ. وقد قارع أعداءه بالحجة وناضلهم بالدليل المرتكز على العقل. ولكن أعداءه ظلوا يصدون دعوته بالعناد ويرفضونها بالعدوان.. ولقد اتبعت قريش مع رسول الله ﷺ طريقة العدوان والحصار، فحاربته فى دينه وعبادته وصلاته وذلك بإلقاء الأشواك والقاذورات فى طريقه من بيته إلى بيت الله الحرام.

واستعملوا أسلوب الاستهزاء فى حقه وفى دعوته. وصبوا العذاب والهوان على كل من آمن به وصدقه واتبع هديه.. ولكن رسول الله ﷺ كان يقابل الأذى بالصبر. وذلك لأن الصبر هو الإيمان،

وكان يقابل السَّفه بالحلم - الذى هو سيد الأخلاق - وكذلك كان أصحابه - رضى الله عنهم - الذين ثبتهم الله بالقول الثابت، فمزجوا حلاوة الإيمان بمرارة العذاب، وكان لهم من هذا المزيج قوة نهضت بهم إلى مرتبة السادة الحاكمين، بعد أن كانوا أذلة مستضعفين.. ولما رأت قريش أن أمر رسول الله ﷺ ليس كما ظنت أمر شهوة دنيوية تختلج فى قلب رسول الله لا تلبث أن تزول بالإيذاء والتهديد والحصار.. وإنما الأمر فى حقيقته أمر إيمان بالله قد خالط لحمه ودمه وملأ سمعه وبصره وشغل قلبه ووجدانه وتفاعل فى حياته. فلم يعد ينطق إلا به، ولا يحيا إلا له، ولا يجاهد إلا فى سبيله.. عند ذلك عرضت على رسول الله ﷺ المنصب والمال والحكم والملك، ولكن رسول الله ﷺ رفض ذلك كله فى شمم وإباء وعزة وكرامة لأنه صاحب مبدأ ورسول الله إلى الناس كافة عامة. لذا فإن الدنيا كلها عنده لا تساوى قلامة ظفر ولا جناح بعوضه.. حيث إن رسول الله ﷺ قد جعل هدفه الوحيد وهمه الأكبر أن يحق الحق ويبطل الباطل، وينشر دعوة الحق فى كل مكان لأن رسالته عالمية لبنى الإنسان إلى أن تقوم الساعة.. ومن هنا فإن قريشا لم تستطع أن تصل إلى غايتها، أو تقف على قدميها أمام نور الإسلام ودعوة الحق وينبوع الخير.

أيها المسلمون:

لقد قرر القرآن الكريم أن رسول الله ﷺ نعمة عامة على البشرية جمعاء، ونعمة خاصة على الأمة الإسلامية. قال الله تعالى عن يوم نعمته على العالمين: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** الأنبياء: آية ١٠٧. وأكد رسول الله ﷺ هذه الحقيقة بقوله فى الحديث الصحيح: «**إنما أنا رحمة مهداة**»، وقال الله تعالى: **﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾** النحل: آية ٨٣.

ونعمة الله هنا فى الآية الكريمة هى: رسول الله ﷺ فقد جاء اليهود يستفتحون به على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين.. وأما إنه نعمة خاصة للمسلمين فقد قال الله تعالى عنها: **﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾** آل عمران: آية ١٦٤، ومادام قد ثبت أن رسول الله ﷺ نعمة من الله وثبت من القرآن الكريم أنه من الواجب علينا - نحن المسلمين - أن نذكر نعم الله علينا، فليس من مخالفة لشرع الله أن نحتفل بمولد رسول الله ﷺ. ومن اعتبر أن ذلك بدعة لا يصح إحداثها بعد رسول الله ﷺ نقول له: ليس كل بدعة ضلالة؟ فقد كان تشكيل القرآن الكريم وضبطه بدعة استحدثها الحجاج بن يوسف فى زمنه بعد وفاة رسول الله ﷺ والصحابة، وكانت هذه بدعة مستحدثة واجبة مطلوبة ليحفظ بها القرآن الكريم من اللحن.. وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد جمع المسلمين فى قيام رمضان على إمام واحد وجلس بالقرب منهم وقال: **نعمت البدعة هذه**.. فليست كل بدعة ضلالة إلا إذا خالفت صريح القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. والاحتفال بمولد رسول الله ﷺ فى حد ذاته لا يخالف صريح القرآن والسنة الصحيحة إذا ما طبقت فيه تعاليم الإسلام من حيث تطهيره من الخرافات والأعمال التى لا تتفق مع جوهر الإسلام وهدى رسول الله ﷺ.. وثبت من خلال السنة النبوية وفيما رواه الشيخان واللفظ لمسلم -

أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن سبب صيامه يوم الاثنين فقال: «**ذاك يوم ولدت فيه وأنزل علىّ فيه وهاجرت فيه**»، وهكذا نجد رسول الله ﷺ كان يتذكر الأيام الخالدة فى رسالته ويخصها بالصوم حيث إنه من أفضل الأعمال التى يتقرب بها المؤمن إلى ربه.. والمسلمون الآن فى أشد الحاجة إلى التأسى برسول الله فى دعوته وفى أخلاقه وفى توجيهاته.. وفى سلوكياته، ففى هذا دون غيره صلاح أمرنا وانتصارنا على أعدائنا لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.. ولنا فى سيرة رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة.. ومن واجبنا أن نستلهم الدروس المستفادة من حياته - عليه الصلاة والسلام -.

لقد علمنا رسول الله من خلال حياته وسيرته أن نعتمد على أنفسنا، وأن نعمل على تدعيم قوتنا الروحية والمادية والذاتية، وأن نأخذ بالأسباب التى توصلنا إلى تحقيق أهدافنا، وأن تكون ثقتنا فى الله قوية، وأن نحيى الإسلام فى قلوبنا وأعمالنا، فذاك هو الطريق المستقيم الذى يوصلنا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

أيها المسلمون..

إن محبتنا لرسول الله ﷺ ينبغى أن تظهر فى أخلاقنا وتصرفاتنا بحيث تكون صورة تطبيقية للأخلاق المحمدية، وإذا كانت أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه قد استمدت من القرآن الكريم فأحرى بنا - نحن المسلمين - أن تكون أخلاقنا مستمدة كذلك من القرآن الكريم حتى نكون من المؤمنين حقا ومن المحبين لهذا النبى الأمين - عليه صلوات الله وسلامه - وصدق الله تعالى حيث يقول عن الرحمة المهداة ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾، فقد أقام المجتمع الإسلامى على قواعد متينة من الأخلاق. تلك التى كونت شخصيته وأبرزت عظمته، وكان لها أكبر الأثر فى سعادته وسيادته، وفى صنع حضارته ونشرها فى الإنسانية كلها.

إن كل يوم من أيام الإسلام الخالدة حسنة من حسنات هذا النبى الذى قال الله تعالى فى حقه: ﴿**ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ❁ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا**﴾ الأحزاب: الآيتان ٤٥، ٤٦، وإن كل حدث عظيم أفاد البشرية إنما يرجع الفضل فيه إلى الصادق الأمين فهو الذى أسس مجتمع العلم والإيمان والفضيلة والأخلاق على أعظم القواعد والدعائم حتى صارت أمته بحق حين حققت مقومات المسئولية الملقاة على عاتقها.. خير أمة أخرجت للناس.

إن الحب الصادق لله ولرسوله ﷺ ليس كلاما يقال، وليس شعارا يردد من غير عمل، وليس مظهرا دون سلوك، ولكن الحب الصادق لرسول الله ﷺ هو أن نوجه قلوبنا ومشاعرنا نحوه فنهتدى بهداه ونستضىء بنوره ونتخلق بأخلاقه ونستجيب لما دعانا له، ففيه سعادتنا فى الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ الأنفال: آية ٢٤.

فاتقوا الله - عباد الله - وأخلصوا العمل لله حتى يستجيب الله دعاءنا وينصرنا على عدونا وأحيوا ذكريات رسول الله ﷺ بما يتفق مع الإسلام وتخلقوا بأخلاقه وسيروا على هديه فإن طاعة رسول الله ﷺ من طاعة الله. جاء فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل يارسول الله. ما معنى من أبى؟.. فقال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى**».. **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**.

قراءات فى تراثنا الأدبى والنقدى

أ.د/ طه مصطفى أبو كريشة

مع الشاعر محمد التهامى
وقصيدة (القاهرة)

فى مقال من مقالاتنا السابقة عن الشاعر محمد التهامى وديوانه (أغنيات لعشاق الوطن) قلنا: «إنه فى ديوانه يغنى لعشاق الوطن، وفى الوقت نفسه فإنه كان العاشق الأول، وإلا ما استطاع أن يترجم عن العاشقين، لأن من ذاق عرف، ومن عرف وصف، ومن وصف عن معرفة صدق، ومن صدق فى وصفه أحدث الأثر، فكان له من العشاق نظراء، أو كان معه من النظراء عشاق، يعشقون الوطن ويحبونه، ويقدمون أنفسهم فداء لحريته ولعزته وكرامته، ذلك لأن من عشق أرضى المعشوق بكل ما يملك وبأعز ما يملك»..

وفى مقالنا هذا نعود إلى مصاحبة الشاعر فى ألحانه وأغنياته من خلال قصيدته التى جاءت تحت عنوان (القاهرة). ومن الأبيات الأولى نشعر شعورا واضحا صادقا بمقدار ما يعتلج فى صدر الشاعر وقلبه وعقله، من عشق لقاهرة المعز، التى هى رمز الوطن، وعرين العروبة، وقلعة الإسلام، وهو عشق لا ينفرد به وحده، ولا يخص به نفسه، وإنما هو عشق يشاركه فيه الآخرون الذين تزاحموا على أبوابها، وتواكبوا على أعتابها، لا فرق فى ذلك بين أهلها القاطنين، ولا بين ضيوفها الوافدين، فكلهم فى العشق سواء، وكلهم فى الصبابة بها هائمون، وبحسنها مسحورون.. وهذا ما ينبئنا عنه المطلع المنساب فى تيه وفخار:

شغلت بك الأسماع والأبصار
وتزاحمت فى بابك الزوار

زحم الغريب الأهل فى أشواقهم
فكأنه صب عليك يغار

فالحسن فيك سبى العقول وفاتها
فى كل ما تلقى لديك تحار

فلديك من صور الجديد مفاتن
وعليك من سحر القديم إطار

ففى هذا المطلع نرى كيف أصبحت «القاهرة» ملء السمع والبصر، أو كيف أصبحت الشغل الشاغل لكل الأسماع، ولكل الأبصار، فى شرق الدنيا وغربها وفى شمالها وجنوبها، ومن ثم أقبل الناس من كل فج عميق إلى رحابها، لتسمع الآذان عن قرب، ولترى الأبصار عن كثب (وتزاحمت فى بابك الزوار) ومن هنا لم يكن غريبا أن نرى الغريب يقف جنبا إلى جنب مع أبناء الوطن، ينافسهم فى عشقهم وشوقهم، وفى صبابتهم وغيرتهم، فلماذا كان ذلك؟ هنا يأتينا الجواب:

فالحسن فيك سبى العيون وفاتها
فى كل ما تلقى لديك تحار

فلديك من صور الجديد مفاتن
وعليك من سحر القديم إطار

إن آيات الحسن والجمال، هى التى سبت الأهل والغرباء، وهى التى سحرت هؤلاء وأولئك، وهى التى جعلتهم جميعا يقفون أمامها حيارى، لا يدرون بأى الآيات يعجبون، ولا أيها يؤثرون، هل

يعجبون بالجديد دون القديم؟ أو هل يؤثرون القديم على الجديد؟ وكيف يكون الاختيار، والجديد فيه من الفتنة ما يفتن العقول والألباب؟ وفى القديم أيضا من السحر ما يسحر الأفئدة، ويخلب الأبصار؟ وإذن فلا اختيار ولا إيثار، ولا مفر من العشق الجامع بين القديم والجديد، ولا مفر من التردد بين قديم يؤثر لسحره، وبين جديد يبهر بجدته وطلاوته..

ولكن ما معالم ذلك القديم الساحر؟ إن هذا هو ما يعرضه الشاعر فى الأبيات التى تحدثنا عن مصر القديمة، أو مصر «الفرعونية». وفى ذلك يقول:

إن قيل قاهرة المعز فقبله

دلت على أمجادك الآثار

وقفت بك الأهرام شامخة الذرى

وكأنها للراسيات جدار

أرسى بها الإنسان أصل حضارة

للآن لم تكشف لها أسرار

إن قاهرة المعز لم تؤسس على فراغ، أو لم توجد من العدم وإنما هى مجد بنى من فوق مجد، وحضارة أسست على حضارة راسخة عميقة الجذور، إن المكان فيه أصدق شاهد، وأثبت دليل، فما الشاهد وما الدليل؟ إنه (الأهرام).

وقفت بك الأهرام شامخة الذرى

وكأنها للراسيات جدار

إن «الأهرام» ببنائها الشامخ الذى يخترق الفضاء صاعدا فى السماء هى ذلك الشاهد الصادق، وهى ذلك الدليل الثابت على تلك الحضارة الأصيلة التى نبتت على ضفاف النيل، إنها فى ذاتها تحتوى على عبقرية أصحابها الذين بنوها، وحملوا سر بنائها معهم، ثم جاء من جاء بعدهم محاولين أن يعرفوا سر البناء، وكيف ارتفع بهذه الصورة العجيبة من خلال أحجار ثقال، لا ترفع إلا بقوى ليست هى قوى البشر، وأنّى يكون ذلك للبشر، والبشر هم البشر فى كل زمان، وفى كل مكان، وعن هذا الإعجاز البنائى يقول الشاعر:

عجز الأُلى شمخوا بسر علومهم

أن يكشفوا ما صانت الأحجار

كيف استقرت فى علو شامخ

كيف ارتقى وتفنن المعمار

والرسم ذو الألوان كيف بقاؤه

ألقًا تزيد جماله الأدهار

إن العلماء على امتداد العصور عجزوا عن اكتشاف كل ما تحويه بداخلها تلك الأحجار المتراصة فى هذا الهيكل الهندسى البديع الرائع التنسيق، المتربع فى ثبات، كأنه جدار الجبال الراسيات، وكذلك فإنهم عجزوا عن معرفة سر الارتفاع فى أجواز الفضاء حيث بدت أوائلها على اتساع مترامى الأطراف، وانتهت حيث تلاقت فى تلك القمة الرفيعة الذرى دون أن يكون لها حامل يحميها من السقوط والانهيار.

كيف استقرت فى علو شامخ

كيف ارتقى وتفنن المعمار

هذا مع ما نراه من تلك الألوان الزاهية، التى كأنها صنع اللحظة الحاضرة، أو كأن صانعها لم يبرح مكانه بعد.

إن الألوان على النحو الذى نراه كأنها تزداد جمالا فوق جمال مع مرور الأزمان دون تناقص، وذلك على النقيض مما يصنعه كر الغداة ومرِّ العشى:

والرسم ذو الألوان كيف بقاؤه

ألقًا تزيد جماله الأدهار

فعلى أى شىء يدل كل ذلك؟ إنه الدليل القاطع والبرهان الساطع على الحضارة المصرية الأصيلة التى لا ينكرها إلا كل جاحد مرتاب ينكر ضوء

الشمس فى رائعة النهار:

هذا دليل حضارة فى ضوئه

لا ينفع التحريف والإنكار

هذى حضارتنا على حين الورى

شدت خطاه جهالة وعثار

هذى الحضارة ما تمت أغراسها

أبدا ولا طابت لها أثمار

إلا لدى شعب عماد حياته

العدل والشوى والاستقرار

والعلم إن العلم منذ وجوده

كانت له فى (عين شمس) الدار

مازال منه هناك بعض عبيره

إن جفت الأغصان والأزهار

ذلك حديث عن الحضارة القديمة الماضية التى هى صنع شعب عريق صنع حضارته المعنوية إلى جانب حضارته المادية جنبا إلى جنب، وما كانت الحضارة المادية إلا صدى لحضارته المعنوية المتمثلة فى قيم (العدل والشورى والاستقرار والعلم).. كل هذا فى الوقت الذى كان فيه سائر الناس يتعثرون فى جهالة جهلاء وفى ضلالة عمياء، وإلا فأين آثارهم التى تدل عليهم إن كانوا يمارون أو يدعون؟!

ثم ينتقل الشاعر من الماضى العريق فى حضارته، إلى الحاضر الزاهر فى نضارته وجدته، ويكون له بدء الوقوف عند أعتاب قاهرة (المعز) أو قاهرة (الفاطميين)، وإليها يوجه خطاب الإعزاز والإجلال والإكبار:

ولديك من عهد «المعز» بقية

رسخت وزادت حولها الأنوار

الأزهر الوضاء مد رواقه

تهدى البصائر فيه والأبصار

فكما كانت (الأهرام) الدليل الثابت، والشاهد الصادق على حضارة مصر الفرعونية فى القديم، فإن لمصر (الإسلامية) أيضا دليلها الثابت وشاهدها الصادق على ما شيدته من حضارة جديدة ورثت حضارتها التليدة، ومن خلاله توالت المآثر والأمجاد، إن الشاهد والدليل هنا هو (الأزهر الشريف) الذى هدى البصائر والأبصار إلى صراط الله المستقيم، ودينه القويم، وهو يقوم بأداء رسالته الغراء منذ ولادته مع ولادة قاهرة (المعز).. وعن الأزهر الشريف أو الوضاء قال الشاعر:

العلم والدين الحنيف تعانقا

وتلاقت الأرواح والأفكار

وامتد من فوق الحدود ضياؤه

وهداه فهو الكوكب السيار

حرس الحنيفة والعروبة عندما

حاقت بكل بلادها الأخطار

وغذاك حين وقفت فى ألق الوغى

المجد حولك والهدى والغار

وغسلت عن أرض العروبة عارها

وعلى يديك البيض كان الثار

ولديك من أثر الكفاح قلاعه

وحصونه الشماء والأسوار

فالأزهر الوضاء، أو الأزهر الشريف ليس مجرد بناء ثابت الأركان والجدران، وليس مجرد مسجد تؤدى فيه الصلوات، ثم لا شئ بعد ذلك، وإنما هو مركز جامع للعلم والعبادة فى آن واحد، وفى تعانق لا ينفصم.

العلم والدين الحنيف تعانقا

وتلاقت الأرواح والأفكار

أما الأثر فإنه لم يكن أثرا محليا يخص أهل مصر وحدهم، وإنما هو أثر ممتد امتداد حلقات الدائرة التى تنداح عن مركزها، إن مثله مثل تلك الكواكب السيارة فى صفحة السماء، يراها كل

سكان المعمورة حيثما كانوا وحيثما اتجهوا، وكذلك كان الأزهر الشريف لأبناء الكرة الأرضية ضياء وهدى ونورا:

وامتد من فوق الحدود ضياؤه

وهداه فهو الكواكب السيار

وكما كان الأزهر مركزا جامعا للعلم والدين، فإنه كان أيضا مركزا للكفاح والجهاد ضد الأعداء والغزاة الذين أرادوا بالعروبة شرا، وبالإسلام كيدا، لقد كان الأزهر هو الحارس الأمين اليقظ، الذى حرس الدين، وحرس الأرض، وحرس العرض، وكان الباعث للحمية فى النفوس، وللغيرة فى القلوب، حتى يهب المجاهدون كى يغسلوا العار، ويأخذوا بثأرهم من الكائدين والمغيرين الأشرار:

حرس الحنيفة والعروبة عندما

حاقت بكل بلادها الأخطار

وغداك حين وقفت فى ألق الوغى

المجد حولك والهدى والغار

وغسلت عن أرض العروبة عارها

وعلى يديك البيض كان الثار

فإذا كان أحد يطلب على ذلك دليلا ماديا محسوسا، فلينظر من حوله فى جنبات القاهرة، وحينئذ سوف يرى الدليل المادى المحسوس حيثما سار:

ولديك من أثر الكفاح قلاعه

وحصونه الشماء والأسوار

وإذا كانت القلاع والحصون والأسوار شواهد باقية، ودلائل ثابتة على ذلك الكفاح المجيد، فإلى جانب كل ذلك نرى من الشواهد الإيمانية ما يعطى الدليل كل الدليل على البعث الإيمانى، الذى امتد فى جسد القاهرة كلها، ولم يكن مستقره فقط فى البقعة الأرضية التى يقوم عليها بناء الأزهر الشريف، إن تلك الشواهد الإيمانية تكاد تقول لكل الناس إن القاهرة تحولت كلها إلى أزهر شريف وضاء، تمتد مآذنه صاعدة فى السماء، فتراها كل العيون حيثما ألقت نظرا فى أى مكان وكأنها الأكف الضارعة إلى رب السماء بالدعاء.

ومن المآذن فيك ألف رفيعة

هى فى حماك مهابة ووقار

فهى الأكف من الثرى مرفوعة

يومى بها نحو السما ويشار

يعلو الأذان إلى السماء كأنه

بين الخليقة والسماء حوار

للحق والعدل الأبى دعاؤه

وإلى السماء حداؤه الهدار

وإذا كان الوقوف عند الأزهر الشريف الوضاء أمرا لازما لكل من يقف أمام القاهرة فى إجلال وإكبار، فإنه لا يمكن لواقف أن يفوته الوقوف أيضا عند (النيل) الذى قامت على ضفافه عاصمة البلاد قديما وحديثا، ومن هنا كان وقوف شاعرنا فى خشوع وإعظام أمام نيل القاهرة قائلا:

والنيل حين لثمته وضممته

أغفى ونام المارد الجبار

وافتر يسبح فى سنا أحلامه

أحلامه خلف الزمان كبار

أيام أن كان الإله المرتجى

تزجى له النجوى والاستغفار

إن القاهرة تحنو على نيلها وتضمه كما تضم الأم وليدها فيسكن إليها وينام هادئا قرير العين، ولكن شتان بين وليد الأم من البشر، وبين هذا الوليد وهو المارد الجبار، إنه المارد الجبار الذى عبده القدماء، وقدموا له الحسان استرضاء لجبروته، وطلبا لسلامه:

إن غاض فالشرق المروع مهلك

أو فاض فالغرق المخيف دمار

والمالكون لدى المعابد سجد

والراكعون لدى الضفاف كثار

والفاتنات عرائس يلهو بها

وتزف فى أحضانه الأبكار

روضته وارتحت فى أحضانه

فهو الذلول الطائع المختار

إنه المارد الذى يطلب رضاه فى المنع وفى المنح، وفى الإدبار والإقبال، ذلك لأنه إن تأخر ماؤه، ونقص جريانه كان الظمأ والعطش، وكان الهلاك (إن غاض فالشرق المروع مهلك) وإن زاد وتدفق وتجاوز الشواطئ والضفاف كان الطوفان والفيضان وكان معه أيضا الهلاك (أو فاض فالغرق المخيف دمار) وخير الأمور فى اعتداله واتزانه بين الزيادة الجائرة، والنقصان الآخذ معه سر الحياة، ومن هنا كان سجود الساجدين، وركوع الراكعين وتملق المتملقين بالعرائس الأبكار يرمونها فى جوفه، كل ذلك حتى يجود إن تمنع وتأبى، وحتى يهدأ أو يتريث إن طغى وتجبر، ويعود إلى الأحضان ذلولا طائعا مختارا.

هكذا كان يروض النيل قديما، أما اليوم فلا ركوع ولا سجود ولا عرائس، وإنما كان التفكير العملى هو السبيل لتجنب الهلاك نقصا أو زيادة، فمن خلال هذا الفكر العملى كان إنجاز مشروع (السد العالى) فى مصر الحديثة، الذى كان من ورائه ضبط عواطف المارد الجبار ليكون متزنا معتدلا على مدى العام صيفا وشتاء، وربيعا وخريفا.

وهناك عند «السد» شد وثاقه

وعرفت كيف تقلم الأظفار

وغرست فوق ضفافه جناته

غناء تجرى تحتها الأنهار

فضفافه فى راحتيك مراوح

وفروعه فى معصميك سوار

وجماله يبدى جمالك كله

إن كان يعوز حسنك الإظهار

لقد شد الوثاق، وقلمت الأظفار، وأصبح المارد الجبار والوحش الكاسر وديعا رقيقا رفيقا فى صحبه مروضه وسائسه (السد العالى) ومع الوداعة والرقة والرفق واللين نمت الجنان وطابت غراسها، وأصبح النيل فى كل وقت زينة تتجلى بها القاهرة الحسناء الجميلة، وغدا الجمال بينهما متبادلا، كل منهما يجمل الآخر، وكل منهما يظهر حسن قرينه، ويزيده إبهارا.

إن هذا السد العظيم ماهو إلا أثر من آثار ثورة (يوليو) المجيدة التى كان للشاعر عنها فى هذه القصيدة حديث وحديث، وهو حديث كله تقدير وإعزاز لأولئك الأبطال الذين محوا الظلم، وأشاعوا العدل والأمن، وأعادوا للقاهرة شموخها ومجدها وإباءها، فكانت من خلالهم قدوة يقتدى بها الأحرار فى كل مكان:

ولأنت فى العهد الجديد رواية

تحكى وتكثر حولها الأخبار

إن سار باسمك سائر أنى مضى

فزع الطغاة وضج الاستعمار

أو جاء ذكرك فى الأثير تلفتت

من كل ناحية لك الأحرار

فلأنت ياأخت الشعوب تميمة

يحمى بها ويبارك الثوار

وبعد: فإن عمر هذه القصيدة أكثر من أربعين عاما، فإذا كان من دلائل التجارب الشعرية الصادقة أن لا ترى عليها أثر عمرها، فإن قصيدتنا هذه من أكبر الشواهد على ذلك. ومن ثم فإنها أصدق دليل على امتلاك صاحبها لناصية الشعر الصادق المطبوع.

الثقافة الإسلامية للامبراطور فريدريك الثانى أساس دعوته للسلام بين العالم الأوروبى وعالم الإسلام (٢)

يمتلئ الامبراطور فريدريك الثانى من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه نورا وعدلا وهدى وصلاحا تمخضت تلك المعانى النبيلة فى مواصلته الدعوة إلى السلام ليرفرف بجناحيه على الشرق الإسلامى والغرب المسيحى على السواء.

وقد تفاعل الشعراء الأوروبيون وسجلوا آيات إعجابهم وحبهم إياه آخذين التطبيق العملى لجميع توصياته التى أصبحت مثلا يحتذى بها.

أ. د/ إبراهيم العدوى

وصف الامبراطور فريدريك الثانى رحلته إلى الشرق الإسلامى بأنها عودة إلى مصدر ثقافته التى نهل من منابعها الثرية

ووصلت أنباء هذه المعاملة الإسلامية المثالية للصليبيين إلى مسامع الامبراطور فريدريك الثانى، لأن السلطان الكامل عقد مع الصليبيين، قبل انسحابهم التام من الأراضى المصرية فى اليوم الثامن من سبتمبر سنة ١٢٢١م/ ـ ٦١٨هـ. هدنة مدتها ثمانية أعوام، اشترط موافقة الامبراطور فريدريك الثانى عليها، باعتباره ممثل أعظم قوة سياسية فى أوروبا، وهى الامبراطورية الرومانية المقدسة. ومن ثم فقد تسامع هذا الامبراطور، كما تسامع الشرق والغرب، بأخبار الحملة التى هدفت الاستيلاء على مصر، وهاله كما هال المعاصرين أن يرفض الصليبيون عرض الملك الكامل للجلاء عن مدينة واحدة، بالغة ما تبلغ فى الأهمية، مقابل تسليمهم مدينة بيت المقدس، ثم اضطرار الصليبيين بعد ذلك إلى تسليم دمياط والجلاء السريع دون قيد أو شرط عن الشواطئ المصرية.

وبرهن السلطان الكامل على خبرته العميقة بالأوضاع فى أوروبا حين اشترط موافقة الامبراطور فريدريك الثانى، دون غيره من قادة أوروبا، على المعاهدة التى أبرمها مع الصليبيين قبل جلائهم عن مدينة

دمياط. فبينما تندر المتندرون فى أوروبا بغفلة زعماء الحملة، وعلى حين عكف الدعاة للفكرة الصليبية، وعلى رأسهم البابوية على إثارة أوروبا لحملة أخرى على مصر فى المستقبل القريب، كان الامبراطور فريدريك الثانى رجل أوروبا الوحيد، الذى أدرك بفضل ثقافته الإسلامية، وتربيته الأولى فى أحضان المسلمين بجزيرة صقلية صدق السلطان الأيوبى المسلم فى رغبته فى إقرار السلام وإرساء قواعده.

ولذا بادر الامبراطور فريدريك الثانى، طوال سنوات الهدنة التى أعقبت جلاء الصليبيين عن دمياط، على ألا يقع ما يعكر صفو العلاقات بين الأطراف المتنازعة. ثم سعى فى نفس الوقت إلى تحويل تلك الهدنة إلى سلام دائم بين العالم الأوروبى وعالم الإسلام. وذلك على الأسس التى عرضها السلطان الكامل على الصليبيين حين نزلوا دمياط. وبدأ أولى خطواته فى تلك السبيل بالتخلص من الضغوط التى مارستها البابوية عليه عند اعتلائه منصب الامبراطورية، وذلك لحمله على إعداد حملة تسهم فى استرداد بيت المقدس من المسلمين. ولجأت البابوية فى وسائلها للضغط على فريدريك الثانى إلى تشجيع فكرة زواج هذا الامبراطور من الأميرة يولاند، ابنة الملك حنا دى برين، ووريثته فى مملكة بيت المقدس الرمزية بعكا، وبذلك تجعل البابوية للامبراطور مصلحة فى الذهاب إلى الأراضى المقدسة، واسترداد بيت المقدس.

وتم الزواج فعلا بين الامبراطور فريدريك والأميرة يولاند سنة ١٢٢٥م - ٦٢٢هـ، وكان الامبراطور وقتذاك فى الحادية والثلاثين من العمر، والأميرة يولاند فى سن الرابعة عشرة. وأصبح الامبراطور بحق هذا الزواج صاحب مملكة بيت المقدس الرمزية بعكا، وعليه يذهب إلى الشرق للنظر فى شئون مملكته الجديدة، ومع ذلك لم يخط فريدريك الثانى خطوة جدية فى سبيل تنفيذ مخطط البابوية، متعللا بمشاكله الداخلية فى ألمانيا. ولكن البابا آنذاك وهو جريجورى التاسع (١٢٢٧ - ١٢٤١- ٦٢٥ - ٦٣٩هـ) لم يقبل تلك الأعذار، وأصر على ضرورة رحيل الامبراطور إلى الشرق الإسلامى فورا، وكان أن أبحر الامبراطور فعلا من برنديزى بإيطاليا قاصدا الأراضى المقدسة، ولكنه عاد بعد أيام مدعيا المرض، مما جعل البابا يعتبر المرض تمارضا، وأصدر قرار الحرمان ضد الامبراطور فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٢٢٧م - ٦٢٥هـ. ثم بعث البابا برسله ومندوبيه إلى كافة أنحاء إيطاليا وألمانيا لإبلاغ الناس بالقرار البابوى ضد الإمبراطور، وتحريضهم على الخروج عن طاعته، غير أن الامبراطور فريدريك لم يعبأ بتلك الدعوة البابوية، وظل ثابتا على موقفه رابط الجأش، يراقب فشل عملاء البابا فى تحريك الثورة ضده، بل على العكس نجح دعاة الامبراطور فى إثارة فتنة ضد البابا فى روما، مما اضطر جريجورى التاسع إلى الفرار من مقره بروما سنة ١٢٢٨م - ٦٢٦هـ.

وجرت وسط تلك المنازعات بين الامبراطور فريدريك والبابوية مراسلات ودية متبادلة بين الامبراطور فريدريك والسلطان الكامل، تمهيدا لتفاهم إسلامى أوروبى عام، إذ استقبل الامبراطور فى قصره المعروف باسم «فوجيا» بإقليم أبوليا فى إيطاليا سفير السلطان الكامل، وهو الأمير فخر الدين بن حمويه، ودارت بينهما حول هذا التفاهم الإسلامى الأوروبى مفاوضات مباشرة لم يطلع عليها أحد، لأن الامبراطور يجيد العربية إجادة تامة، وليس فى حاجة إلى وساطة أو مترجمين. واستطاع السفير المصرى برقته ولباقته وحسن سياسته اكتساب ثقة وصداقة الامبراطور، الذى اطمأن إليه وأطلعه على جميع أسراره.

وحمل السفير إلى السلطان الكامل صورة

صادقة عن قوة مركز الامبراطور فريدريك ومكانته العالية فى أوروبا، كما قدم للسلطان تقريرا مفصلا عن الأوضاع السائدة بين الامبراطور والبابوية وما جرى بينهما فى أوروبا، هذا فضلا عما لمسه بنفسه وعن يقين بأن الامبراطور لا يؤمن بقيام حرب بينه وبين السلطان، لأنهما على مستوى رفيع من الثقافة، وأن الفرصة غدت سانحة، وبخاصة بعد أن أريقت دماء كثيرة من الجانبين، لإحلال السلام والصفاء بين الشرق والغرب.

ووصلت المفاوضات والمراسلات أخيرا بين السلطان الكامل والامبراطور فريدريك إلى مرحلة الاتفاق على هدنة، رضى الطرفان عليها مبدئيا، ولم يبق إلا أن يذهب الامبراطور فريدريك إلى الشرق لتوقيع الهدنة، وتنفيذ شروطها فورا. وعجل بذهاب الامبراطور إلى الشرق فى ذلك الوقت أن زوجته يولاندا توفيت فى أعقاب الاتفاق المبدئى بين الطرفين سنة ١٢٢٨م ـ ٦٢٦هـ، بعد أن تركت له ابنا هو كونراد هوهنشتاوفن، فأخذ فريدريك فى المطالبة بمملكة عكا، مقر مملكة بيت المقدس الرمزية وذلك بحق زوجته، المتوفاة، فضلا عن حق الوصاية على ابنه منها، وكل ذلك والملك العجوز حنا برين صاحب الحملة الصليبية الفاشلة على دمياط لايزال على قيد الحياة.

وأعد الامبراطور فريدريك أسطولا صغيرا وفرقة عسكرية صغرى أبحر على رأسها حيث رسى عند مدينة عكا فى أوائل سبتمبر سنة ١٢٢٨م ـ ٦١٦هـ، واستقبل الامبراطور فور وصوله رسل السلطان الكامل، وعلى رأسهم الأمير فخر الدين يوسف بن حمويه، الذى مهد للمفاوضات مع الامبراطور فى إيطاليا، وفى صحبته الشريف شمس الدين الأرموى قاضى نابلس. وبدأت المفاوضات فورا حيث استدعى الامبراطور الأمير فخر الدين ليقيم معه فى الخيمة الملكية، وتحدثا سويا باللغة العربية فى الخطوات الإجرائية للتفاهم المتبادل بين الامبراطور والسلطان الملك الكامل.

واتخذ الامبراطور الخطوة الأولى بأن بعث إلى السلطان الملك الكامل رسالة يشرح فيها الدافع لحضوره إلى الشرق، وأهداف دعوته للسلام جاء فيها: «لم نعبر البحر لفتح بلادكم فإننا نملك من البلاد أكثر من أى ملك على ظهر البسيطة، بل لتحقيق اتفاقنا الخاص بالأماكن المقدسة، إجلالا للسلام والوئام، ولا داعى للنزاع مع المسيحية، ولا ضرورة لإراقة دماء رعاياكم». وقد وصف الامبراطور فريدريك لمستقبليه مجيئه إلى الشرق بأنها رحلة ذات فائدة سياسية هامة وأنه كان يتمنى أن يزور الشرق الإسلامى، هذا الشرق الذى يؤمن بعظمته ورقيه وتفوقه، وأنه ينظر إلى هذه الرحلة وكأنها عودة إلى مصدر ووطن ثقافته الإسلامية التى نهل من منابعها الثرية أيام طفولته وشبابه فى جزيرة صقلية، فكم هو مدين لتلك الثقافة الإسلامية، دين العالم لها أيضا.

وأعقب مراسم استقبال الامبراطور فريدريك لسفراء السلطان الكامل تبادل الهدايا بين العاهلين المسلم والأوروبى، تعبيرا عن آيات الود والصداقة، فأهدى السلطان للامبراطور هدايا عظيمة جدا، من بينها جمال للسباق، وجياد عربية، وفيلة وقرد وصقور للصيد وأحجار كريمة نادرة، وأقمشة حريرية مقصبة. ورد الامبراطور بهدايا من منتجات بلاده، عززها بمجموعة من الأسئلة العلمية نظرا لمعرفته الجيدة بالمستوى الثقافى العالى للسلطان وحاشيته، وليعبر بها عما يكنه للسلطان من احترام وتقدير. وتضمنت تلك الأسئلة طلب الاستفسار عن بعض القضايا العلمية العويصة فى الرياضيات والفلسفة والعلوم الطبيعية.

وانتهت المفاوضات بعقد صلح تم التوقيع عليه فى ١٨ فبراير سنة ١٢٢٩م ـ ٦٢٧هـ، اتفق فيها الطرفان على هدنة لمدة عشر سنوات، وأن يمنع

الامبراطور فريدريك فى أثنائها أية حملة صليبية أوروبية على الشواطئ المصرية، وإعلان بيت المقدس مدينة مقدسة للمسلمين والمسيحيين، وأن الحجاج من المسلمين والمسيحيين يجب أن يسود بينهم الحب والاحترام. وأقسم «أمير المؤمنين السلطان الكامل يمين العهد والمواثيق واحترام اليمين، وذلك فى نفس الساعة التى أقسم فيها الامبراطور فريدريك باعتباره راعى أوروبا والمسيحيين يمين الوفاء أمام الأمير فخر الدين فى المعسكر الملكى فى عكا، كما طلب الامبراطور من رئيس حاشيته الألمانى أن يعلن عاليا شكر الله فى الأعالى بين مختلف وحدات الجيش.

وانتشر خبر هذا السلام سريعا وعلى نطاق واسع بين شعوب أوروبا التى سيطر عليها الإعجاب بنجاح الامبراطور فريدريك فى عقد السلام بدون حرب وبدون استخدام أسلحة وعن طريق المفاوضات فقط، وأنه حقق بهذا السلام دون قتال أو جرحى أو خسائر فى الأرواح، مكاسب لم تستطع الحملات الصليبية الضخمة أن تعود بها منذ أيام صلاح الدين. وأن الامبراطور استطاع أيضا بدعوته إلى السلام لم شمل أبناء الشعوب المختلفة والمؤاخاة بينهم. وبلغت السعادة التى حققها السلام بين العالم الأوروبى وعالم الإسلام درجة عالية دفعت بشعوب أوروبا إلى أن تسخر لأول مرة علنا من الحروب الصليبية والعقلية البغيضة لدعاة تلك الحروب.

وأعقب الامبراطور فريدريك هذه الهدنة بزيارة بيت المقدس ومشاهدة المعالم المسيحية والإسلامية بها، فدخل كنيسة القيامة، وأعلن من ذلك المكان المرموق أن قرار الحرمان الذى أصدره البابا ضده باطل، كما توج نفسه بيده داخل الكنيسة، وهى دلالة لها مغزى عميق، أراد بها الامبراطور أن يعلن بطريقة صامتة فى تلك الكنيسة ذات الأهمية العظمى أنه لم يتلق التاج الامبراطورى من رجال الدين الداعين للفكرة الصليبية، وأنه تلقاه من الله مباشرة دون وساطة أحد من رجال الدين.

وقام الامبراطور فريدريك بعد ذلك بزيارة المسجد الأقصى بإذن من السلطان الكامل، صحبه شمس الدين قاضى نابلس، الذى عينه السلطان الكامل مرافقا للامبراطور، وطاف فريدريك بمزارات المسجد الأقصى، واستفسر عنها فى لسان عربى واضح وفصيح. كما زار مسجد قبة الصخرة، وشاهد كل شىء بعناية ودقة عظيمتين، وأبدى إعجابه بجمال المسجد والأثر الذى يتركه فى النفس، ثم فحص الحائط المثمن الشكل القائم على الصخرة، وأبدى إعجابه ببنائه وبناء المنبر، كما تسلق القبة التى تمثل آية رائعة من آيات الفن الإسلامى وبهائه.

وبات الامبراطور فريدريك ليلتين بدار القاضى شمس الدين ببيت المقدس، تجلى فيها احترامه للإسلام وشعائره، ذلك أن السلطان الكامل أمر القاضى بألا يصعد المؤذنون المنابر، ولا يؤذنوا فى الحرم مادام الامبراطور فى القدس. ونسى القاضى أن يعلم المؤذنين، وانطلق صوت الأذان وقت السحر فى الليلة الأولى لنزول الامبراطور بدار القاضى. وفى صباح اليوم استدعى القاضى المؤذنين وطلب منهم عدم صعود المنابر، ولذا لما كانت الليلة الثانية لم يسمع الامبراطور أذان الفجر عند السحر. فاستدعى القاضى وقال له: «أيها القاضى لماذا لم يؤذن المؤذنون لصلاة الفجر؟، فأجابه القاضى: يا ملك الملوك إننا نعرف كيف نقدر زيارتكم، فتألم الامبراطور وقال له: تغيرون أنتم شعائركم وشرعكم لأجلى، الله الله، إنكم لستم فى حاجة إلى هذه المخالفات، وعلاوة على ذلك فقد سرنى جدا سماع المؤذن ليلا»، وهو الأذان الذى اعتاد فريدريك سماعه وهو يقضى فترة تربيته الأولى بجزيرة صقلية، حيث دأب على

تنظيم حياته مع سماع الأذان المنطلق من المساجد عند كل صلاة.

ولم تطل إقامة الامبراطور فريدريك بالشرق الإسلامى طويلا، وإنما عاد سريعا فى يونيو ١٢٢٩م - ٦٢٧هـ، إلى مقره الامبراطورى بإيطاليا ليواجه البابوية الحانقة على جميع ما قدمه من جهود للسلام. وليجد أن العداوة المستحكمة بينه وبين البابا ذهبت حدا بعيدا، حيث استولت على البابا فكرة عمياء، وهى وجوب العمل على إحباط محاولة الامبراطور لتحقيق السلام مع المسلمين، وأن كل أمل البابا أن يعود الامبراطور بخفى حنين ذليلا، ولا يتردد فى تقديم فروض الطاعة والولاء للبابا.

وقد ضبطت وسط العراقيل التى وضعت لإحباط جهود الامبراطور فريدريك خطابات موجهة إلى السلطان الكامل تحثه بكافة السبل على عدم عقد السلام مع الامبراطور. ومن ذلك أن البابا جريجورى التاسع حرض رؤساء جماعة الداوية الصليبية على إرسال مندوب سرى للسلطان الكامل يبلغه أنهم علموا أن «القيصر» (الامبراطور فريدريك) سيحج فى صحبة نفر قليل فى ساعة معلومة، فينتقل من القدس إلى موضع المعمودية على الشاطئ الغربى لنهر الأردن، والفرصة سانحة للسلطان للقبض على القيصر وقتله. فتألم السلطان ألما شديدا من هذه المحاولة التى دبرتها البابوية، وبعث بالرسالة التى وصلته وموقع عليها من رئيس الداوية إلى الامبراطور، ذاكرا أنه يخجل أشد الخجل ما تقترفه هذه العصبة التى يدعى أفرادها أنهم المسيحيون الحقيقيون، والذين يؤمنون بالحب المسيحى، وأن ارتكاب مثل هذه الجريمة الشنعاء أمر يحرمه الدين الإسلامى وتعاليمه الإنسانية السامية.

وبلغ الحنق بالبابا جريجورى التاسع أيضا أن انتهز غياب الامبراطور فريدريك فى الشرق الإسلامى وأذاع زورا وبهتانا خبر وفاة الامبراطور ليضعف مركزه فى إيطاليا وألمانيا، كما استغل البابا هذه الفرية ليستولى على الأملاك الامبراطورية، وذلك على نحو ما يتضح من رسالة بعث بها الامبراطور بعد عودته إلى أوروبا إلى صديقه الأمير فخر الدين، مندوب السلطان الكامل فى المفاوضات التى أجراها الامبراطور فى الشرق الإسلامى. وتعتبر هذه الرسالة وثيقة تاريخية، تشهد للامبراطور باحترامه الصادق للإسلام والمسلمين، وتؤكد أيضا صدق نواياه فى إعلام السلطان بالمشاكل التى يواجهها من دعاة الصليبية فى أوروبا، فقد استهل الرسالة بالبسملة، ونصها كما يلى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من قيصر العظيم امبراطور رومية فريدريك.. وبعد علمنا أنه محب لسماع السار من أنبائنا، فنشعره أن البابا باء بالغدر والخديعة، أخذ إحدى قلاعنا المنيعة، واضطر إلى زعم أننا متنا، وحلف «القرزنالية» (الكرادلة) على ذلك، وعلى أن رجعونا مستحيل، وراوضوا العامة بمثل هذه الأباطيل، وأنه ليس أحد بعدنا يحسن جراية بلادنا، وحفظها مثل البابا».

ولذلك وقع خبر وصول الامبراطور فريدريك الثانى إلى ميناء برنديزى بإيطاليا (فى شهر يونيو ١٢٢٩م - ٦٢٧هـ) وقع الصاعقة على البابا جريجورى التاسع، الذى بات يخشى هجوما مسلحا يقوم به الامبراطور فريدريك الثانى على المقر البابوى فى روما. فأرسل عدة رسائل إلى كبار الأساقفة يأمرهم بسرعة الحضور، ومع كل منهم قوة مسلحة للدفاع عن الكنيسة ضد هجوم الامبراطور المتوقع. غير أن البابوية عجزت عن تعبئة الصفوف وراءها، بسبب الروح الجديدة التى

سادت أوروبا ضد العقلية البغيضة للحروب الصليبية التى فرضتها الكنيسة على أتباعها. وقد تجلت هذه الروح الجديدة فى القضية التى أقامها البابا على سفير الامبراطور فريدريك الثانى فى مدينة ليون، فقد أجاب السفير فى رده على الاتهامات الموجهة إليه قائلا: «إنه فى القدس، وعلى مشهد من العالم أثبتت سياسة فريدريك البعيدة النظر أن صداقة الأمراء المسلمين وفرت كثيرا من إراقة الدماء المسيحية».

ولذا لم تجد البابوية مفرا، أمام تلك الروح الجديدة التى سادت أوروبا، من الاعتراف بما حققه الامبراطور فريدريك بصلحه مع السلطان الكامل من مكاسب للمسيحية، كما أقرت بذلك فى الصلح الذى عقدته بدورها مع الامبراطور سنة ١٢٣٠م - ٦٢٨هـ، ورفعت بمقتضاه قرار الحرمان عن فريدريك الثانى.

لقد جاء هذا النجاح الذى حققته دعوة الامبراطور فريدريك الثانى إلى إحلال السلام بين الشرق الإسلامى والغرب المسيحى على أساس من الاحترام المتبادل والتعايش السلمى ثمرة لمدرسة الثقافة الإسلامية التى نشأ فيها فريدريك وترعرع وهو بجزيرة صقلية، ورضع منها العلم منذ الطفولة حتى أصبح أستاذا وامبراطورا معا فى نفس الوقت لأعظم قوة فى أوروبا وهى الدولة الرومانية المقدسة. إذ غدت دعوة الامبراطور فريدريك الثانى للسلام بين العالم الأوروبى وعالم الإسلام تمثل نقطة هامة من وجهة النظر الأوروبية فى التفكير العالمى، كما أدت إلى ظهور جيل جديد وعقلية جديدة، وقادة يدعون إلى السلام وحل المشكلات المتنازع حولها عن طريق المفاوضات لا القوة أو استخدام العنف، وبخاصة فيما يتصل بمسائل العقائد.

وهكذا شق الامبراطور فريدريك لأوروبا بدعوته إلى السلام مع الشرق الإسلامى طريقا جديدا فى مضمار مستقبل أحسن، سجله له شعراء أوروبا المتجولون المعروفون باسم «التروبادور»، حيث لقبوا الامبراطور فريدريك الثانى فى أغانيهم الشعبية بأنه «طبيب أوروبا الماهر»، وذلك على حين وصفه رجال السياسة المعاصرون من الأوروبيين بأنه «أول رجل حديث» يتولى العرش فى أوروبا، باعتباره الرجل الحر الموجود فى المجال التاريخى العالمى، وصاحب «عقلية متحررة» من القيود والتقاليد، استطاع أن يدخل التاريخ ويغير وجه أوروبا من أساسه.

وتثنى على تلك الشهادة للسياسيين الأوروبيين المعاصرين، الباحثة الأوروبية المعاصرة، الأستاذة الجليلة الدكتورة سيجريد هونكه، بشهادة التاريخ التى تشهد بأن رائد السلام الأوروبى مع العالم الإسلامى، وهو الامبراطور فريدريك الثانى، كان مسيحيا مؤمنا بالمسيحية، وكان فى مسيحيته أفضل من أولئك الذين يجلسون على كرسى بطرس، أعنى البابوات: هؤلاء الذئاب فى ثياب الحملان، أولئك الذين يخلقون الفرقة بين الناس، ويحرصون على ألا يسود السلام العالم.

«وتحت الجبة الفضفاضة البيضاء تناول فريدريك الثانى، والذى كان فى حقيقته مسيحيا شهادة الموت فى ١٣ ديسمبر ١٢٥٠م - ٦٤٨هـ. وميتا عاد فريدريك الثانى إلى بالرمو عاصمة صقلية، إلى المدينة التى قضى فيها شبابه العجيب الملىء بالمغامرات، وفيها دفن.. وإلى جواره سيفه فى غمده العربى. وأما كفنه فمطرز تطريزا جميلا، وعلى أطرافه كتابة على الشريط مذهبة، طرزتها أيادى عربية، طرزتها لصديق الإسلام والمسلمين، وتلميذ المسلمين الوفى الأمين».

بغداد عاصمة امتزاج الثقافات والأديان السماوية بالثقافة العربية

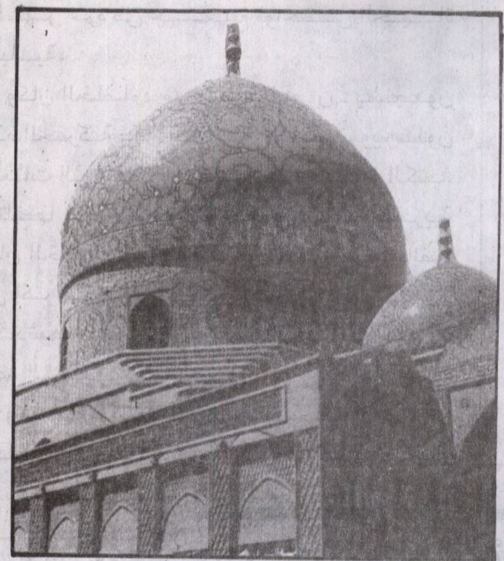

أ.د/ عبدالفتاح مصطفى غنيمة

الحق أن تاريخ بغداد السياسى والاجتماعى والأدبى يعتبر. إلى حد ما. تاريخ العالم الإسلامى فى خلال حقبة من الزمان لا تقل عن خمسة قرون، ولم تصل مدينة من مدن الإسلام فى تلك العصور الخالية إلى ما وصلت إليه بغداد من سعة العمران وعظمة الآثار، كما أنه لم تصب مدينة منها بما أصيبت به بغداد من الكوارث والجوائح.

فكما تضافرت الأيدى على عمرانها ورفعة شأنها، تضافرت الخطوب والعوادى على تمزيق أوصالها وطمس معالمها، حتى لم يبق من عمرانها القديم اليوم أى أثر يمكن أن يهتدى به الباحث المنقب إلى تعيين المواضع التى كانت تقوم عليها القصور الشاهقة والمبانى الشامخة والمساجد الجامعة والمدارس العظيمة التى كانت تملأ سمع الزمان وبصره ولا يمكن أن ننسى المبادئ والقيم التى أخذ الخلفاء والأمراء بها لمناصرة العلم والعلماء،وكيف اشتد ولعهم فى ذلك الزمان بنقل العلوم الأجنبية وترجمتها إلى العربية وتدوين العلوم الدينية واللغوية، حتى اكتظت بغداد بالنابغين فى علوم الدين والعباقرة فى العلوم اللسانية والمبرزين فى فنون السياسة والحرب والنابهين فى العلوم البحتة والتطبيقية، وكان كل من تفرد بضرب من ضروب المعرفة يلقى من الخلفاء ألوانا من الإكرام وضروبا من أشكال المنح والعطايا.

وفى هذه الفترة نبغ أئمة المذاهب الأربعة، ودون مذهبا مالك، وأبى حنيفة وزار بغداد الإمام الشافعى مرتين ولقى فيها الإمام أحمد بن حنبل، وفى هذه الحقبة تم تدوين الحديث واللغة والشعر والتاريخ، وظهر عظماء القراء، ونهضت حركة الترجمة نهوضا مباركا فغزت العلوم الكونية الفكر العربى

وظهر أثره فى جميع نواحى الحياة العباسية.

وكان الخلفاء - وبخاصة المأمون - يشجعون هذه الحركة بكل ما أوتوا من قوة، ويرسلون البعثات إلى البلاد الأجنبية ليستحضروا الكتب، فيتلقفها المترجمون وينشروها بين الناس بالعربية وكان الخلفاء يجلون العلماء ويحتفون بهم وبالغوا فى إكرامهم وقربوهم وجالسوهم وآكلوهم وحادثوهم واهتموا بآرائهم فلم يبق ذو علم إلا اتجه إلى بغداد.

وقد تنافس الأمراء وعلية القوم فى اقتفاء أثر الخلفاء فى خدمة الأدب والعلم والناس كما يقولون على دين ملوكهم، فأنشأوا خزائن الكتب فى قصورهم وسعوا إلى جمع الكتب، مجزلين العطايا لكل من ينقل لهم ضربا جديدا من المعارف، وقد أدرك أهل بغداد أن كل عز لم يسند بعلم فإن مآله الضياع فأكبوا على العلوم والآداب ينهلون من بحارها وحرص أرباب اليسار على تثقيف أبنائهم وأصبح التعليم صناعة والتأديب طريقا إلى المجد وسبيلا إلى مؤانسة الخلفاء، وقد عمرت مجالس العلم والأدب وأمست دور الكبراء مقرا للمفكرين والشعراء والأدباء وأهل الأخبار والطرف.

والحق أن العلوم العربية كلها تقريبا قد وضعت أسسها فى العصر العباسى الأول وبعضها قد تم بناؤه فى العصر العباسى أيضا، وكذلك ترجمت علوم الأمم الأخرى وقد ظل المسلمون فترات طويلة يعتمدون فى حياتهم العلمية على تلك العلوم التى وضعت فى بغداد هذا العصر وكان مما ساعد على تنشيط الحركة العلمية والنهوض بالثقافة الإسلامية ظهور صناعة الورق فى بغداد وكثرة دكاكين الوراقين وكان أصحابها يقومون بنسخ الكتب وتصحيحها وبيعها.

ولقد ساعد على تنوع الثقافات الحرية الفكرية التى أظلت العقول فى ذلك الحين نتيجة امتزاج العنصر العربى بغيره من العناصر الأجنبية الأخرى وكان الخلفاء يتركون للناس حرية المعتقد ولا إكراه فى الدين، وكان المأمون يسهم فى المناظرات الدينية ويحاور الفقهاء فى كثير من الأمور ويقول لهم: إنما بعثت لكم معشر القوم للمناظرة، ثم يلقى عليهم مسائل الفقه ويرد على كل واحد منهم، وكان يخيرهم أن يسأله أو يسألهم، ويؤثر عنه أنه كان يجل علماء اليهود والنصارى ويحتفى بهم فى مجلسه لعلمهم وثقافتهم فى لغة العرب وحذقهم لغة اليونان والسريان.

ساعد على تنوع الثقافات الحرية الفكرية التى أظلت العقول نتيجة امتزاج العنصر العربى بغيره من الأجنبى

وكان المأمون يرمى من وراء هذه المناظرات كلها إلى اجتماع الطوائف على ماهو أصلح للدين والحق أن هذه الحرية الفكرية التى أباحها المأمون للناس جميعا كانت سببا فى انتشار الثقافة الإسلامية كثرة الفرق بين المسلمين وتمتع الناس فى زمنه بحرية فكرية ودينية ليس لها أى مثيل فى أى عصر من عصور الإسلام.

وقد كان من أثر اختلاف السكان فى الدولة الإسلامية وتباين أصولهم وأجناسهم وامتزاجهم بالزواج والسكن وغير ذلك ودخول كثير من أفراد تلك الأمم الأجنبية فى الإسلام ونمو الحضارة التى تتطلب الدراية الواسعة بشئون الحياة من هندسة وطب وفلك ونظم الحكم السياسية ولغة الأدب والعلم، كان أثر ذلك كله أن انتشرت فى الدول ثقافات مختلفة لأمم مختلفة، وكان لكل ثقافة رجالها البارزون الذين يحاولون جهدهم

نشرها والترويج لها وكان من مظاهر التنافس التقاء هذه الثقافات جميعا رويدا رويدا لكى تمتزج بالثقافة العربية وتكون من مجموعها ثقافة كبرى ذات لون خاص صبغت بالصبغة الإسلامية وهو ما يعرف بالثقافة الإسلامية وهذه الثقافات التى اتصلت بالثقافة العربية.. الثقافة الفارسية والثقافة اليونانية والثقافة الهندية يضاف إلى ذلك الثقافات الدينية كاليهودية والنصرانية.

وقد أقبل رجال هذه الثقافات الأجنبية على اللغة العربية فحذقوها حذقا يدعو إلى الإعجاب الشديد ويحكى الجاحظ عن موسى بن يسار أنه كان من أعاجيب الدنيا، كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية يجلس فى مجلسه المشهور به، فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، وهذا مثل له نظراء كثيرون.

وأثرت البلاغة اليونانية فى البلاغة العربية حيث عربت كثير من الألفاظ اليونانية ونقلت كتب يونانينة إلى العربية، وقد ذكر بن النديم أسماء كتب كثيرة فى الفلسفة والمنطق والطب والفلك والرياضيات والتاريخ التى ترجمت إلى لسان العربية ونحن نقرأ فى كتب الجاحظ وابن قتيبة الكثير من حكم فلاسفة اليونان ولاشك أن هضم الثقافة اليونانية أنجب إخوان الصفا والفارابى وابن سينا وابن رشد.

وأما الثقافة الهندية فقد وصلت إلى العرب عن طريق الفرس ربما كان أهم ما عرفه العرب منها الإلهيات ويراد بها الدين ممتزجا بالفلسفة والحكم وبعض الرياضات وشيئا من الأدب والفن، وقد اندمج الهنود عقب الفتح الإسلامى فى المسلمين واعتنق كثير منهم الإسلام وأقبلوا على تعلم العلوم الإسلامية، ونبغ فيها بعضهم، وظهر فيهم الشعراء وعلماء اللغة والمحدثون منهم أبو عطاء الساندى، وابن الأعرابى، وأبو معشر، وفتح بن عبدالله الساندى، وغيرهم، وقد ترجمت إلى العربية كثير من كتب الهنود وبخاصة ما يتصل بالكواكب والفلك. ومن المحقق أن كثيرا من أصول كليلة ودمنة هندى ترجم إلى الفارسية ومنها إلى العربية مع زيادة على الأصل الهندى ويرجح ابن النديم أن قصة السندباد البحرى هندية ، وقد أشار ابن قتيبة إلى بعض المعانى التى اقتبسها الشعراء من الهنود.

وللديانتين اليهودية والنصرانية أثر كبير فى الثقافة الدينية، والمعروف أن الامبراطورية الإسلامية كانت تضم عددا كبيرا من أهل الكتاب ينعمون بحرية العمل والعبادة، وقد أثرى كثيرا منهم وخالط المسلمون هؤلاء واتخذوهم أصدقاء، ولبعض شعراء المسلمين شعر يمدح فيه النصارى واليهود ويذكر لهم صفات كريمة وقد تسرب إلى المسلمين الكثير من ثقافة الديانتين من التوراة والإنجيل، وهما كتابان سماويان اعترف بهما الإسلام وورد ذكرهما كثيرا فى القرآن.

وكان أكثر المسلمين إلماما بهذه الثقافات أهل الكلام، ومن أجل هذا كان المتكلمون هم أصحاب اليد الطولى فى المزج بين هذه الثقافات كلها فلا مندوحة من القول إذن أن اللغة العربية قد دخلتها عناصر كثيرة، فاستلزم ذلك أنماطا من التفكير ومما يبعث على الإعجاب المقرون بالفخار أن نرى هذه اللغة البدوية قد فسحت فى رحابها حتى وسعت ثمار كل القرائح.

من الصعب أن نفصل بين الفرد وثقافته لأن الثقافة هى المصدر الأهم لفكره، فإذا كانت الثقافة إنسانية الملامح أخلاقية الاختيار والاتجاه.. فإن الفكر المتولد لابد وأن يكون وليد ذلك الاتجاه.. والحقيقة التى لا يمكن إنكارها أن الثقافة الإسلامية هى أهم عوامل تكوين الشخصية العربية لأنها تمثل الرؤية الفكرية والواقعية للإنسان العربى، وهى التى تسهم فى تكوينه لا سيما عندما يحاول هذا الإنسان أن يختار لنفسه موقفا سلوكيا فإنه يختار من خلال تلك الثقافة أهم الملامح

والتصورات، أن هوية الأمة العربية ترتكز أساسا على وحدة الثقافة أكثر من ارتكازها على وحدة السلالة إنها أمة انصهرت فى بوتقة ثقافتها العربية الإسلامية، شعوب وسلالات تكونت بهم أمة إنسانية غير مسبوقة فى التاريخ. واللغة العربية هى وسيلة ذلك الانصهار الثقافى وأداته.

وتهتم الثقافة العربية الإسلامية على الثقة بالعقل البشرى لأنه أداة التكليف وهو يمثل قمة العناصر الإنسانية، فالإنسان يتميز بعقله المخاطب والمسئول، والفكر لا يمكن أن يجد له واحة فى الجسد الإنسانى إلا فى الساحة العقلية، ومن هنا فإن الثقافة الإسلامية تؤمن بالعقل وتستمد رؤيتها من القدرة العقلية.. لأن بقية القوى الإنسانية الأخرى لاتملك قدرات للتمييز.. وطالما أن العقول البشرية متفاوتة الإمكانيات وهذا التفاوت يمنع من وجود حقيقة عقلية واحدة.. فإذا تعددت الحقائق العقلية، فلا يمكن الحكم عليها إلا بمعيار عقلى، والمعايير العقلية متباينة.. والاجتهاد هو الطريق فى جميع الأحوال لاستعراض حالات الخطأ والصواب، والمجتهد مأجور من الخالق جل وعلا فى جميع الأحوال، والاجتهاد ضد جحود العقل عن أداء مهمته.. والاجتهاد هو بداية الطريق للإبداع كطلب ملح وضرورى للنهضة والتطوير والتجديد.. والإبداع هو ظاهرة محدودة ومفيدة لكونه يعبر عن قدرات عقلية متفوقة.. والإبداع الذى ينطلق من ثقافة راسخة عميقة منسجمة مثل الثقافة الإسلامية.. يكون إبداعا حقيقيا ومفيدا، والبشرية بحاجة إلى هذا النوع من الإبداع لكى تتمكن من تجديد فكرها وذاتها..

وتتميز الثقافة الإسلامية بخصائص ذاتية تجعل منها ثقافة متجددة حية ذات طبيعة إنسانية تؤمن بالإنسان وتتفاعل مع قضاياه وترتقى بميوله واستعداداته وأهم خصائصها:

١ ـ احترام المصالح الاجتماعية: حيث لا تتجاهل الثقافة الإسلامية مصالح الإنسان وطموحه، وهى المعبرة عن همومه ومشاكله وآلامه.. ولذا فإن علماء أصول الفقه ربطوا بين الأحكام الشرعية والمصلحة، وحيثما تكون المصلحة يكون شرع الله، ولا يعترف الشرع بأى قوة تتحدى مبادئ العدالة ولا تراعى حقوق الضعفاء، فالشرع جاء لحماية الضعفاء من الأقوياء، والدين لا يمكن أن يعترف بشرعية الظلم ولا يمكن أن يحمى الذين يتحدون المبادئ والقيم والأحكام.

٢ ـ احترام العقل البشرى وإنماء إنسانية الإنسان: فالعقل هو الذى يقوم بدور التفسير للنصوص النقلية، ولا يمكن لنص نقلى أن يتجاهل دور العقل فى استنباط الحكم لأن الدليل يخاطب الإنسان المكلف، ومن أهم شروط التكليف العقل، ولذلك ارتبط التكليف به، فإذا ثبت أن الإنسان لم يثبت رشده العقلى بسبب مرض أو خلل أو جنون سقط التكليف لانتقاد الشرط الأساسى من شروط التكليف، وطالما أن العقول البشرية متفاوتة فى القدرات والإمكانيات والمكونات، فما يراه مجتهد فى عصر قد لا يراه آخر فى عصر لاحق أو ما سبق، وما يرتضيه فقيه فى بلد قد لا يرتضيه آخر لأن رؤية الإنسان للأشياء متفاوتة وليست واحدة.. ولو تحقق التماثل والاتفاق فى الرأى والاجتهاد لانتفت التعددية.. ولحكمنا على العقول بالجمود.. وهذا مناف لحقيقة الإعجاز فى تنوع البشر وفى اختلاف خصائصها وملامحها توجهاتها.

والثقافة الإسلامية تحترم العقل البشرى لأنه أداة النماء الإثراء والتكييف والمواكبة، وهى لا يمكن أن تتجاهله.. لأنها إذا تجاهلته يتجاوزها ويتنكر لها، ولأن العقل هو الأداة التى تربط العلاقة بين الإنسان وأوامر التكليف، والجزء المخاطب مع الإنسان هو العقل فإذا وصف العقل بالعجز انتفت الفائدة من توجيه الأمر أو الخطاب إليه.

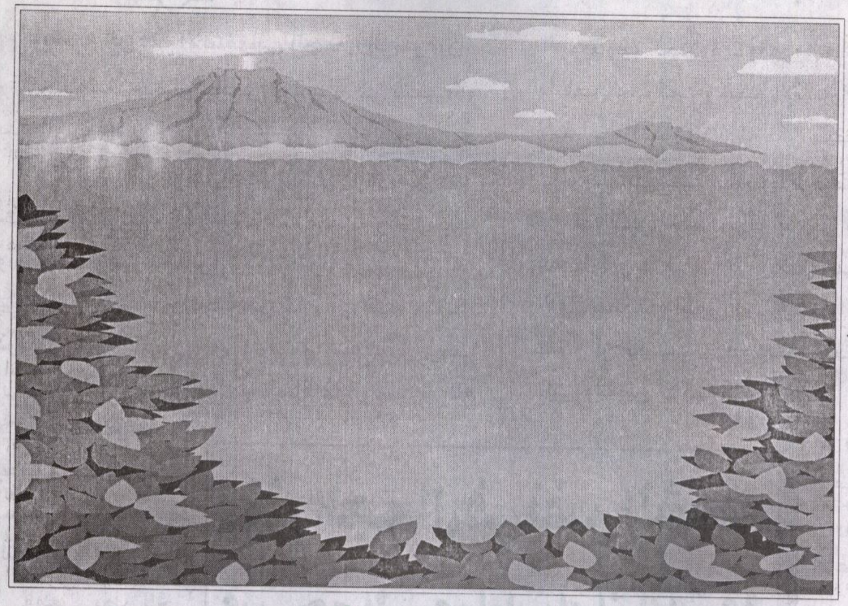

مشاهدة الجمال وتغلغل آثاره فى النفس يتولد منه الرضا والسرور والراحة النفسية

الجمال الإلهى وآثاره فى الأنفس والآفاق

أ.د/ محمد
محمد أبوليلة

الجمال سر من أسرار القدرة الإلهية ودليل عليها، وهو يدرك بالحس وبالقلب وليس من السهل تعريفه أو حده بأوصاف أو رسوم أو عبارات.

وكل ما قاله الفلاسفة والعلماء فى تعريف الجمال لايعدو أن يكون تقريبا لمعناه، على سبيل المثال، فإن الشريف الجرجانى يعرفه بقوله: «الجمال من الصفات: ما يتعلق بالرضا واللطف»(١).

فالجمال عنده صفة أو صفات تتعلق بالرضا واللطف، وذلك جانب من جوانب الجمال، لأن مشاهدة الجمال وتغلغل آثاره فى النفس يتولد منه الرضا والسرور والراحة النفسية.

واللطيف: اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى وهو من صفات التنزيه، ولهذا الاسم تعلق كبير بالجمال الإلهى وبالجمال المبثوث فى الكون.

ومن معانى اسم اللطيف البر بعباده، الذى يلطف بهم من حيث لا يحتسبون، ومن لطفه تعالى إبداعه للأشياء على غير مثال وصنعها فى أحسن صورة وأتم تركيب وأتقن أداء.

ويعرف الراغب الأصفهانى الجمال بقوله: «الجمال الحسن الكثير فهو هنا يعرف الجمال بالجمال، أو يعرف اللفظ بمرادف له، ولكى يبرز الأصفهانى قيمة الجمال فإنه استعمل كلمة «الكثير» على أن ميزان الجمال دقيق وحساس، وليس من السهل تقدير الجمال أو قياسه، إذ أن قيمته تندرج فى طبيعته ولا تنفصل عن ذاته، حتى أن أثر الجمال فى نفس المشاهد له، المنفعل به لا يخضع لتقدير أو قياس فهو شعور داخلى قد يترجمه صاحبه فى عبارات أو إشارات، وقد يظهر فى لغة الملامح والتقاسيم.

ويقسم الراغب الأصفهانى الجمال إلى نوعين:

أحدهما: جمال يخص الإنسان فى نفسه أو بدنه أو فعله.

والثانى: ما يوصل منه إلى غيره، ومن ذلك حديث النبى ﷺ الذى أخرجه مسلم والترمذى والبيهقى وغيرهم عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر»**، فقال رجل: يارسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»**.

ومعنى بطر الحق هو أن يتكبر الإنسان على الحق فلا يقبله ولا يراه حقا، بل يحوله إلى باطل.

ومعنى غمط الناس هو أن تستهين بهم وتحتقرهم، وغمط النعمة عدم شكرها.

ويعرف ابن حزم الأندلسى الحسن بقوله: «الحسن هو شىء ليس له فى اللغة اسم يعبر به عنه، ولكنه محسوس فى النفوس باتفاق كل من رآه، وهو بُردٌ مكسوّ على الوجه، وإشراق يستميل القلوب نحوه، فتجتمع الآراء على استحسانه، وإن لم تكن هناك صفات جميلة، فكل من رآه راقه، واستحسنه، وقبله، حتى إذا تأملت الصفات أفرادا لم تر طائلا وكأنه شىء فى نفس المرئى يجده نفس الرائى، وهذا أجلّ المراتب ثم تختلف الأهواء بعد هذا، فمن مفضل للروعة، ومن مفضل للحلاوة وما وجدنا أحدا قط يفضل القوام المنفرد»(٢).

ويعرف الحلاوة بقوله: «الحلاوة رقة المحاسن، ولطف الحركات وخفة الإشارات، وقبول النفس لأعراض الصور، وإن لم تكن صفات ظاهرة»(٣).

وجاء فى كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى فى تعريف الجمال أنه بمعنى «الحسن، وحسن الصورة والسيرة، وأنه يطلق على معنيين، المعنى الأول صفاء اللون ولين الملمس وغير ذلك مما يمكن أن يكتسب، وهو بهذا المعنى على قسمين ذاتى وممكن الاكتساب.

يؤثر الجمال فى نفس المشاهد فيترجم إلى عبارات أو إشارات قد تظهر فى لغة الملامح والتقاسيم

وثانيهما: الجمال الحقيقى وهو أن يكون كل عضو من الأعضاء على الفضل وعلى ما ينبغى أن يكون عليه من الهيئة والمزاج. والجمال عند الصوفية عبارة عن إلهام الغيب الذى يرد على قلب السالك، والجمال الحقيقى عندهم صفة أزلية لله تعالى.

وفى الإنسان الكامل للجبلى: «جمال الله تعالى عبارة عن أوصافه العليا وأسمائه الحسنى، هذا على العموم؛ وأما على الخصوص فصفة الرحمة، وصفة اللطف، والنعم؛ وصفة الجود والرزاقية، وصفة النفع وأمثال ذلك فكلها صفات جمال.

ويقول إن هناك صفات مشتركة فى أسماء الله تتصل من وجه بالجمال ومن وجه آخر بالجلال، على سبيل المثال فإن اسم الرب يكون باعتبار التربية والإنشاء اسم جمال، وذلك لما يربى من أخلاق الجمال والكمال فى النفس وهذا من معانى قوله تعالى **﴿اقرأ باسم ربك...﴾** فقد جاءت الآية تأمر بالقراءة وتعلم القرآن وهو الجمال المعجز،

وجاء الأمر لمحمد ﷺ وهو الآية فى الجمال والكمال، وأما إذا اعتبرنا الرب من جهة الربوبية والقدرة فإن اسم الرب يكون اسم جلال.

والجليل اسم للكامل فى الذات، والصفات معا، وهو يفيد كمال الصفات السلبية والثبوتية وهو أصل فى الجمال الخلقى(٤).

واسم الرب بهذا المعنى مثل اسم الله واسم الرحمن أسماء جلال، بخلاف اسمه تعالى الرحيم، فإنه اسم جمال، والرحمن هى منبع الأخلاق والقيم والجمال عند الفلاسفة هو احدى القيم الثلاث التى تؤلف مبحث القيم العليا، (الحق والجمال والخير).

والجمال عند المثاليين منهم «صفة قائمة ثابتة فى طبيعة الأشياء وليست نسبية متغيرة، وبالتالى فالشىء الجميل جميل بذاته، وليس بالأوصاف التى تقال عنه، ولا يخضع الجمال فى هذه الحالة لأحوال من يصدر الحكم أو ظروفه الخاصة، وعلى عكس ذلك يرى الطبيعيون من الفلاسفة أن الجمال اصطلاح أو مواضع بشرى اتفق عليه مجموعة من الناس تجمعهم ظروف واحدة، وبالتالى فإن الحكم بجمال الشىء أو قبحه يصبح نسبيا يختلف باختلاف الأشخاص(٥).

الجمال فى القرآن الكريم

ذكر الله تعالى فى عدة مواضع من القرآن الكريم بلفظه. يقول تعالى عن الأنعام التى خلقها وسخرها لصالح الإنسان **﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون* ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم* والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾** النحل: الآيات ٥ ـ ٨، فالأنعام تمثل لأصحابها قيمة مادية وقيمة جمالية فهم يسرون عند النظر إليها ويطمئنون على مصدر رزقهم وراحتهم، وكذلك يسر بالنظر إلى هذه الأنعام كل من يراها لأن فيها دلالات على قدرة الخالق وحكمته وتدبيره.

الهجر الجميل هو البعد عن المكذبين والمعاندين بأدب ولطف دون عتاب أو لجاج

ويقول تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: **﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾** يوسف: آية ١٨.

فالصبر الجميل هو الصبر على المفقود مع الثقة بالموعود ومعنى كلام يعقوب أى أننى سأصبر صبرا جميلا على هذا الأمر الذى اتفقتم عليه ولم ترعوا حقى وحق أخيكم وحق التربية والنشأة حتى يفرج الله بعونه ولطفه، وسوف أستعين بالله على ماتذكرون من الكذب والمحال، حتى ينجلى الأمر.

وقد جاء فى الآية ٨٤ من السورة نفسها: **﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا﴾**.

فيعقوب هنا يصرح بقرب اجتناء ثمرة الصبر الجميل **﴿قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون﴾** يوسف: آية ٨٦.

ويقول الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ: **﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا﴾** المزمل: آية ١٠.

والهجر الجميل هو البعد عن المكذبين المعاندين بأدب ولطف، ودون عتاب أو لجاج.

وقد جاءت بعض الإشارات فى القرآن إلى الجمال ولكن بعبارات غير مباشرة.

على سبيل المثال يقول تعالى عن يوسف عليه السلام: **﴿وقلن حاشَ لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾** يوسف: آية ٣١.

أى أن يوسف قد تعدى فى الحسن أوصاف البشر وأنه حقيق أن يحب لجماله وكماله.

ويقول تعالى: **﴿الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت...﴾** الملك: الآيات ٣ - ٥، أى أن الناظر فى خلق الله لا يرى فيه اختلافا ولاتنافرا، ولا نقصا ولا عيبا ولا خللا ولا قبحا، وهذه كلها تثبت جمال خلق الله وتمام تدبيره له وعنايته به.

هذا ما ورد فى القرآن الكريم عن الجمال بلفظه ومافى معناه وسوف نتناول الجمال بأوصافه وبالدعوة إلى التفكير فيه كما ورد فى القرآن الكريم ولنبدأ كلامنا بالجمال فى أسماء الله الحسنى.

أسماء الله الحسنى والجمال

من الأسماء الحسنى ما يتعلق بالجمال ومنها ما يتعلق بالجلال وسوف نقتصر هنا على بعض الأمثلة منها مبينين تعلقها بالجمال وآثارها فى النفس الإنسانية.

- النور:

النور من أسمائه تعالى وقد قيل إن معنى النور هو الذى حَسَّنَ الأبشار (جمع بشر) بالتصوير، والأسرار بالتنوير، وقيل هو الذى أحيا قلوب العارفين بنور معرفته، وأحيا نفوس العابدين بنور عبادته.. وهو الذى يهدى القلوب إلى إيثار الحق واصطفائه ويهدى الأسرار إلى مناجاته واجتنابه

وما لاحظ العبد من النور فإنه يَعْرِف به الله، ويعرف نفسه، ويشاهد به آثار الجمال والجلال، ويزن به الأفعال والأقوال ويحدد به موقعه من الحياة والدين، وبه يصير قادرا على نقد ذاته وإصلاح أحواله: **﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾**(٦) النور: آية ٤٠.

والنور جامع للجلال والكمال، وكل جميل فى الوجود فإنما هو أحد انعكاساته وأمداده وفيوضاته. يقول الله تعالى: **﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء﴾** النور: آية ٣٥.

يقول نفطويه فى أحد إشراقات هذه الآية هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه ﷺ يقول: «يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يقل قرآنا»، وقد سمى الله تعالى محمدا بالنور وبالسراج المنير فى موضعين من القرآن: **﴿ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾** الأحزاب: آية ٤٦. **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين* يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾** المائدة: الآيتان ١٥، ١٦.

وذلك لأن الله قد جعل النبى ﷺ نورا من نوره يهدى به الخلق إلى الله وإلى الصراط المستقيم.

البديع والقدوس والسلام

ومن أسمائه تعالى التى تتعلق بالجمال البديع والقدوس والسلام. أما البديع فهو الذى ليس له مثال، وهو الذى يبدع الأشياء على غير مثال سابق فى أجمل صورها، وأحكم صنعها يقول تعالى: **﴿بديع السموات والأرض﴾** البقرة: آية ١١٧، والقدوس هو الطاهر الجميل المنزه عن كل قبيح فى ذاته أو فى خلقه، والتقديس التطهير والتنزيه،

ولا يصدر ذلك إلا عن جميل، وحظ العبد من هذا هو طهارة الظاهر والباطن، والسلام من أسماء الله تعالى ومن معانيه سلامته عز وجل فى ذاته وأفعاله. وخلقه عن العيوب والقبائح.

فالله جميل، وكذلك فإن كل ما خلقه جميل باعتبار التجلى والصدور ومناسبة الخلق فى عموم المبدعات وحظ العبد منه الشعور بالسلام والسكينة والتخلق بخلق الرحمة.

وأما اسم الخالق فيدل على كمال علمه تعالى وعلى قدرته على الإيجاد من عدم، والبارئ يدل على كونه موجدا للذوات لا عن المادة، والمصور يدل على أنه هو الذى صور هذه الأشياء ووضعها بكيفياتها ووظائفها وآجالها، فالله تعالى لما أراد أن يخلق الإنسان عاقلا فاهما مكلفا ومخاطبا فإنه قدر تركيب ذاته بقدر مخصوص وصفات معينة وألف أعضاءه على وجه محكم مطابق للمصلحة أو للأمانة التى حمله إياها، فالله تعالى هو الذى أحدث جسم الإنسان ومزاجه وتراكيبه وسائر الأسرار التى يشتمل عليها هذا الجسم(٧)، وخلقه فى أحسن تكوين وأجمل صورة، وهذا يتعلق باسمه المصور سبحانه وتعالى، وحظ الإنسان من هذه الأسماء القدرة على صنع الأشياء الجميلة على أحسن وجه ممكن له، والشعور بتجليات الكمال الإلهى فى النفس أو فى الكون.

وينبغى أن نعلم أنه ليس فى خلق الله قبيح، وأما القبيح فى الأشياء التى نراها فإنه يكون بالاعتبار لا بالذات فقبح المعاصى على سبيل المثال إنما ظهر باعتبار النهى ومخالفة أمر الله، وقبح الرائحة المنتنة إنما هو باعتبار من لم بولائها طبعه، وأما هى فعند الجعل وعند من يلائمها طبعه لها من المحاسن وهكذا(٨).

جمال المخلوقات

جمال المخلوقات دليل على وجود الخالق تعالى وكماله وجلاله وقدسيته، وعلى إبداعه فى الخلق وعنايته بالمخلوقين، والله تعالى جميل فى ذاته يحب الجمال فى خلقه، وكل جميل فى هذه الحياة الدنيا فإنه اسم وإشارة إلى الجمال المطلق الذى ادخره الله تعالى للمؤمنين فى الدار الآخرة حس المؤمن دليله على ذلك.

والجمال دليل القدرة والإبداع والطهارة وهو عنوان الرقى والتحضر وهو أهم ما تقاس به وتعرف من خلاله أخلاق الشعوب، وإذا ما تحققت معانى الجمال فى حياة الناس تهذبت مشاعرهم وترقت أحاسيسهم وصفت عقولهم وتفتحت مداركهم، فأقبلوا على الحياة وتنافسوا فيها وأبدعوا فى العلوم والمعارف والصنائع، وزكت من ثم نفوسهم وأخلاقهم وتحسنت طباعهم، والله تعالى هو مصدر المال وقد أمرنا عز وجل أن نجمل ظاهرنا وباطننا وأن نطهر قلوبنا وأن نحافظ على جمال المخلوقات التى سخرها لنا، وعلى نظافة البيئة التى أوجدنا فيها الله تعالى.

فهذا الكون الجميل خلقه الله تعالى على أحسن نظام وأتم صنعة وأجمل هيئة وأمرنا بالحفاظ عليه فقال: **﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾** الأعراف: آية ٥٦، وعرفنا تعالى أن مايظهر فى الأرض من قبح وفساد فإنه من فعل الإنسان **﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس﴾** الروم: آية ٤١.

هذا الكون الذى خلقه الله لنا جميلا مزدانا متجددا متنوعا فى الخلق والوظائف والهيئات والتراكيب والمنافع ينبغى أن نحافظ عليه، لقد خلق الله فى هذا الكون كائنات من أنواع الحيوانات وأشكال الطيور وأصناف النباتات المتعددة والمتجددة، وهذه الكائنات والمخلوقات تضفى الزينة وتنثر البهجة والسرور على نسيج الحياة على سطح هذه الأرض، وتجدد نشاط

النفس الإنسانية وتثير الخيال وتنشط الحواس والأحاسيس فيقبل الناس على الحياة وتنشرح لها صدورهم، وتنفسح أمامهم آماد الآمال فينطلقون يعملون ويبدعون.

ولقد جعل الله تعالى الزمن فصولا خريفا تتساقط فيه الأوراق القديمة، وربيعا فيه تزدهر الأشجار وتتفتح الأزهار وتنضج الثمار وتنشط الأطيار فتحلق وتغرد، وفيه تلبس الأرض كسوة خضراء جديدة، ويزداد رونقها نضرة وجمالا، وما هذا كله إلا لتجديد عزم الإنسان وتقليب أفكاره ودفعه إلى العمل والتجديد دفعا. ولكل فصل من فصول العام سماته المؤثرة فى النفس والحس والخيال، ولكل فصل من فصول العام جوه ومدده، وللأبدان والأرواح والعقول حياة طيبة فى هذه الأمداد.

ولقد خلق الله تعالى هذه الطبيعة على مثال رائع من تجديده النفسى والمحافظة على أسباب الجمال والطهارة وعلى نحو تتخلص فيه من النفايات والعوادم وإلا لاختنق الإنسان، إذ أن هناك فى هذا الكون معامل طبيعية خلقها الله تعالى للتنظيف الذاتى للكرة الأرضية، فمن رياح تثير الفضلات وتذهب بالروائح النتنة والنفايات وتجدد الهواء، ومن أمطار ترش الأرض أو تغسلها أو تثبت غبارها، وتلقح زروعها وتخرج كوامنها من الثمار والزروع والحشائش وغير ذلك مما يطيب أنفاس الحياة ويحافظ على جمال البيئة وينفع الإنسان.

وقد أمرنا الله تعالى بالنظافة وجعل النظافة من الإيمان وجعلها من فروض الدين فليست تصح صلاة المؤمن إلا بها كما أخبرنا الله تعالى أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين.

يقول تعالى: **﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾** البقرة: آية ٢٢٢.

ويقول: **﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾** التوبة: آية ١٠٨.

ويقول: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾** الأحزاب: آية ٣٣.

وأمرنا تعالى أن نتزين فى الظاهر وأن نتجمل وأن نحافظ على صحتنا ونضارة وجوهنا واعتدال أمزجتنا.

يقول تعالى: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾** الأعراف: آية ٣٢.

ومظهر المؤمن ينبغى أن يكون جميلا ومخبره يجب أن يكون حسنا كذلك وأكله وشربه ينبغى أن يتوافر له حفاظا على صحته وسلامته البدنية والعقلية.

خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم، وأجمل صورة سواه بقدرته هيئة جميلة وأعضاء متناسقة متعاونة خلقه من تراب من حمأ مسنون ومن ماء مهين ثم درجه فى الخلق فى بطن أمه حتى إذا ما اكتمل بناء جسمه خلقه خلقا آخر فجعله حيا متحركا سميعا بصيرا ثم عاقلا متدبرا، ومبدعا متفننا.

والإنسان محل إعجاز وموضع عبرة فى خلقه ولذلك دعانا الله تعالى للنظر فى أنفسنا فقال: **﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾** الذاريات: آية ٢١، **﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾** فصلت: آية ٥٣.

فجعل الله تعالى فى هذه الآية الإنسان مقابلا للآفاق كلها وذلك لأن الإنسان يشتمل على أسرار قد تعدل أسرار الكون، ولننظر إلى أى عضو فى الإنسان مهما دق أو صغر فإننا سوف نجد فيه آية عظمى ودلالة كبرى ناطقة بلسان الحال عن الخالق عز وجل.

ولننظر إلى العينين على سبيل المثال وهما

متصلتان بمخ الإنسان اتصالا مباشرا فسوف نجد التنوع والتناسق والأسرار العجيبة فيهما وفى موضعهما من الوجه لننظر كيف يتحركان وكيف يتقلبان وكيف يفتحان وكيف يغلقان بوابتان طبيعيتان يتحكم فيهما الإنسان ورموش مرصوصة متناسقة وحواجب تجملان وتحددان وتحميان العين، والعينان فوق أنهما يؤديان وظيفة الإبصار فإنهما موضعا للسحر والدلال، وفيهما يظهر حال الإنسان من حزن أو سرور أو يأس أو أمل أو غضب أو رضا أو وعيد وتوعد، وبالعينين ينظر الإنسان إلى صنع الله ومن النظر يأتى الفكر والتعقل والتدبر.

ولننظر إلى شعر الإنسان الذى يتوزع جسمه ويتدرج من حيث الصغر والكبر والكثافة والخفة والنعومة، والخشونة، وكيف أن مجارى العرق تكون بجانب مجارى الدم فينضح هذا ولا يشغب ذاك ولا يخرج أحدهما من مجرى الآخر ولا يختلط به، على الرغم من دقة العروق والشرايين وتلاصقها ناهيك باللبن كيف يخرجه الله من بين فرث ودم سائغا للشاربين.

ولننظر كيف يتنوع الماء داخل جسم الإنسان بين دم ولبن ودمع ولعاب ومخاط ومنى وبول وعرق.

ومن رحمة الله تعالى أنه خلقنا على الفطرة ومن حيث الروح والقلب، وفى أحسن تقويم من حيث الصورة، وزودنا بوسائل الإدراك والفهم والتأمل والنظر وسائر الحواس وبالصوت، وما من عضو خلقه الله فى جسم الإنسان إلا وله إلى جانب وظيفته قيمة جمالية تلك القيمة هى التى تفرق بين إنسان وإنسان، فتبارك الله أحسن الخالقين، والجمال ليس فى تناسق الأعضاء وتماسكها فحسب وإنما هو أيضا فى الروح. يقول تعالى: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين* ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين* ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ المؤمنون: الآيات ١٢ ـ ١٤.

فالله تعالى قد خلقنا على هذا النحو الذى فى الاثنين، ومن المادة التى ذكرها وحتى أخرجنا فى هذه الصورة الجميلة، ولكى يعمق الله تعالى الإحساس بالجمال لدي أول مخلوقين، آدم وحواء أسكنهما الجنة قريبا منه ـ عز وجل ـ وإذا فالجمال أصل فى خلق الإنسان والقبح عرض يكتسيه الإنسان بالإهمال والتفريط فى حق الجمال، وما إن يفرط الإنسان فى الحياة الجميلة الكريمة حتى تتخبط صورته ومسيرته وتنحط حياته إلى أسفل سافلين ولا يمكن للإنسان أن ينهض من جديد إلا إذا جمل حياته وبيئته وطهر حسه ومسلكه وتعرف على أساس المنهج الربانى الذى وضعه الله له للحفاظ عليه كوجود وكقيمة.

الهوامش:

١ ـ التعريفات ص٨٨.

٢ ـ مفردات ألفاظ القرآن ص٢٠٢.

٣ ـ الأخلاق والسير في مداواة النقوس ص١٧٩.

٤ ـ نفس المصدر ص١٧٨.

٥ ـ التهانوى ـ جـ١ ص٣٤٨ ـ الجيلى ـ الإنسان الكامل جـ١ ص٨٩، الرازى ـ شرح أسماء الله الحسنى ص٢٧٦.

٦ ـ انظر المعجم الفلسفى ـ مجمع اللغة العربية ص٦٢.

٧ ـ الرازي: أسماء الله الحسنى ص٣٤٨.

٨ ـ الرازى ـ ص٢١٥.

٩ ـ نفسه ص٣٤٩.

حيرة
بغداد وهارون الرشيد

شعر: محمد التهامي

أكاد أُجنُّ من ألمي ... ومما ذاق إحساسي
ومن دوامة حيرى ... تحاول خنق أنفاسي
تسد منافذ الدنيا ... بليل حالك قاسي
ترد النجم.. تخنقه ... وتخفيه عن النّاس
كأن النور خاصمنا ... بقلب جاحد ناسي

* * *

ضربنا في مجاهلنا ... بأخماس وأسداس
لماذا الهول غطَّانا ... من الأقدام للرَّاس؟
ومن أين الرياح أتت ... وهزّت حصننا الراسي؟

* * *

هل الأعداء هزّوني ... وهزّوا كلَّ أقداسي؟
أهم حقا؟ أم استتروا ... بخناس ووسواس؟
أم الأقيال قد تاهوا ... فمدوا الرأس للفاس؟
أم اختلت أمورهم ... فما قاسوا بمقياس؟
وفاتونا على ظمأ ... ودسوا السمَّ في الكاس

* * *

مُضغنا في فم الدُّنْيا ... بأنياب وأضراس
ورنّت فوق دنيانا ... فضيحتنا بأجراس
وقد مُدَّت مطامعهم ... لنا من كلِّ أجناس
كأنَّا جنة عليا ... غدت من غير حُراس
فهانت رغم عزَّتها ... لمغتال ودوّاس
وصارت مثل جارية ... بكت في كف نخّاس
وكانت تاج مملكة ... تُحلى التاج بالماس
تضم المجد في عبق ... من النسرين والآس
فإن مرت بها سُحب ... فما في ذاك من باس
سيرجع خيرها سعيا ... على العينين والراس
فإنَّ الدار (بغداد) ... وإنَّ العنصر عباسي

الحضارة والعلوم

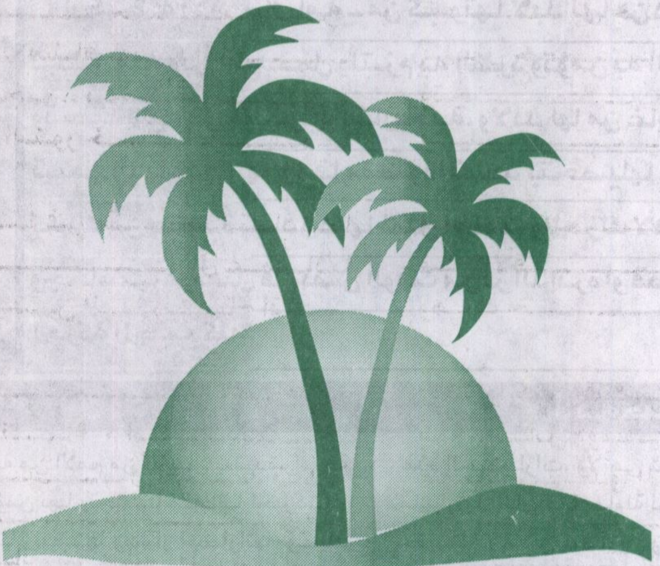

- من خصائص الحضارة الإسلامية
  تكريم الإنسان
- النوم.. آية من آيات الله فى خلقه
- وجعلنا من الماء كل شىء حى
- الاستنساخ وانفجار البشرية

من خصائص الحضارة الإسلامية

تكريم الإنسان

إن نهضة الأمم ـ أى أمة ـ من كبوتها لابد لها من فكر نظرى ننطلق منه وبرنامج عمل يلتزم به الفرد وتؤمن به الجماعة وتستند إليه فى مسيرتها التاريخية، ولابد لها من غاية مأمولة تسعى إليها وتجعلها هدفا مقصودا تسعد بتحصيلها، ولابد لها كذلك من عقيدة تصدر عنها تمثل الباعث والمحرك لأفراد الأمة وجماعتها، وتمثل فى نفس الوقت مركز الدائرة أو قطب الرحى لحركة المجتمع كله.

أ. د. محمد السيد الجليند

ولا تخلو أمة من الأمم من الإيمان بعقيدة راسخة فى أذهانها تؤمن بها وتجعلها منطلقا لحركتها التاريخية فى بناء نهضتها ومسار حضاراتها، وعليك أن تقرأ تاريخ الحضارات الإنسانية قديما وحديثا فلا تجد حضارة منها إلا وراءها عقيدة تصدر عنها، وتؤمن بها، وتجعلها نبراسا وضياء لها فى مسيرتها التاريخية، حدث ذلك فى الحضارة المصرية القديمة، وحضارات اليونان والفرس والرومان قديما، وحدث ذلك فى الحضارة الغربية المعاصرة، فكانت العقيدة عاملا محركا لمسيرة هذه الحضارات كلها، ولا فرق فى ذلك بين هذه العقائد سواء كانت صحيحة أو باطلة، مقبولة فى منطق العقل أو مزاولة، والأهم من ذلك عند أصحابها أنهم يؤمنون بها ويعتقدون صحتها ويتخذونها منطلقا لحركتهم التاريخية ويحددون فى ضوئها المعالم الرئيسية فى علاقاتهم بالأمم الأخرى.

والحضارة الإسلامية بدورها ليست بدعا من بين هذه الحضارات، ولا هى شاذة عنها، فهى بدأت مسيرتها التاريخية حاملة لواء عقيدة سماوية ذات حقيقتين وبعدين متمايزين ومتكاملين معا، فى نفس الوقت لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر لا فى الاعتقاد القلبى والتصديق العقلى، ولا فى السلوك العملى والعلاقات الاجتماعية.

أما الحقيقة الأولى: فقد جسدتها عقيدة التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى التى ملأت ـ وينبغى أن تملأ ـ على المؤمن قلبه ووجدانه، التوحيد الخالص لله ربا خالقا وإلها معبودا وفى دائرة هذه العقيدة ـ التوحيد الخالص ـ ينبغى أن يتكيف سلوك المؤمن، ويحدد علاقاته مع الله، ومع نفسه، ومع الكون ومع الإنسان، فإذا أحب أو كره، إذا والى أو عادى، إذا اقترب أو ابتعد، إذا تكلم أو سكت، فإنما ينبغى أن يكون ذلك كله من أجل الله الذى يمثله فى دنيا الناس سلوكا يقوم على كلمة الحق، وقول الصدق، وشهادة العدل، وأداء الأمانات، وهذه المعانى الأربعة

يتفرع عنها مفردات ولواحق تنظم حياة الناس كلها كما تنظم علاقة الحاكم بالمحكوم، والتى من أهم وظائفها سيادة هذه المعانى الأربعة وشيوعها لتسود حياة الأمة كلها.

أما الحقيقة الثانية فقد جسدها القرآن الكريم فى عقيدة تكريم الإنسان الذى استخلفه الله على هذا الكون وجعله أفضل المخلوقات جميعها، وخلقه على صورته، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له تكريما له وتفضيلا له، قال تعالى: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾** ص: الآيات ٧١ ـ ٧٣.

وهذه المنزلة الكريمة التى اختص الله بها الإنسان ليست بها ميزة لجنس دون آخر، ولا للون دون آخر، ولا لعرق دون آخر، وإنما هى منزلة تكريم وتفضيل وتشريف للإنسان من حيث هو إنسان أيا كان بصرف النظر عن جنسه ولونه وعرقه، قال تعالى: **﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾** الإسراء: آية ٧٠.

وقال تعالى: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** الحجرات: آية ١٣.

وقال ﷺ فى خطبة الوداع تقريرا وتعليما لهذه العقيدة القرآنية: «**أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود، الناس سواسية كأسنان المشط**» وحين سادت عقيدة التكريم للإنسان وتشربتها قلوب المسلمين فى صدر الإسلام، تلاشت الفوارق الطبقية وانمحت عادات الجاهلية التى كانت تسود العلاقات الاجتماعية بين الناس، وأخذ كل مسلم يستمد عزته من عزة خالقه، وأصبح ميزان التفاضل بين الناس مختلفا عما كان عليه قبل الإسلام، فليس المال ولا السلطة، ولا حسب القبيلة ولا نسبها، كل ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة فى المفاضلة بين السيد والعبيد، وإنما جاءت عقيدة تكريم الإنسان لتؤسس معيارا آخر للمفاضلة بين بنى البشر جسدتها الآية الكريمة **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**، هذا المعيار الجديد فى المفاضلة جعل عبدالله بن مسعود (وهو نحيف خفيف الوزن) يزن عند الله جبل أحد، وجعل بلالا الحبشى أفضل عند الله من سادة قريش ووجهائها، ولقد ترتب على إيمان المسلمين بهذه العقيدة أن عاش المسلم آمنا فى سربه معافى فى ماله وفى عرضه وفى بدنه، فاستقرت نفسه واطمأن قلبه وتحركت همته للتعمير فى الأرض والإنتاج والتنمية، فبنوا حضارة وأسسوا نهضة عمروا بها أركان المعمورة.

عادات الجاهلية الأولى:

أما فى العصر الراهن فقد غابت عنه عقيدة تكريم الإنسان، وابتعدت بها السبل عن مصدرها الإيمانى العقيدى لتكون رهنا بإرادة الشخص وخاضعة لأهوائه وعلاقاته فلا تضبطها قواعد العقيدة ولا تحركها عوامل الإيمان، وعادت إلى المجتمع الإنسانى مرة أخرى عادات الجاهلية الأولى التى فرضها القوى على الضعيف بقوة السلاح ليفرض على الناس الإيمان الزائف بأفضلية جنس على جنس، أو لون على لون ،أو عرق على عرق، وبين صوت المدفع والصاروخ فى العلاقات الدولية ضاعت عقيدة التكريم للإنسان التى هى شطر عقائد الإيمان، واحتل مكانتها فى عقول الناس الشعار السلطوى الذى أصبح شعارا دوليا رفعته الدول الكبرى عنوانا لسياستها مع الدول الأخرى.

لقد انمحت عقيدة التكريم للإنسان من قاموس العالم على مستوى الجماعات وعلى مستوى الأفراد، وأصبح الفرد غير آمن لا على نفسه ولا على ماله وولده، بل ولا على وطنه، وانعكس هذا الموقف النفسى فى سلوك الأمم والأفراد خوفا وهلعا. كما انعكس ذلك أيضا فى داخل المجتمع الواحد على سلوك الأفراد فأصبح كل فرد مشغولا بالبحث عن مصدر يجد فيه الأمن والأمان لنفسه وولده وترتب على ذلك كثير من الآثار النفسية السيئة وخاصة فى

حياة العلماء والمفكرين وأصحاب الرأى والكلمة، وبذلك تلاشى من المجتمع أول عامل من عوامل النهضة وأهم أسس بناء الحضارة وهو الاستقرار النفسى والأمان القلبى لقادة النهضة وروادها وهم العلماء وأصحاب الرأى، واختفى من بين صفوف الأمة أصحاب العقل المبدع والرأى الحر، والكلمة الصادقة، ليحتل مكانهم ومكانتهم من يجيدون فن التزلف والتسلق متسلحين فى ذلك بأخطر جهاز عرفته الإنسانية فى عصرنا وهو رفع الشعار المرغوب فيه عبر أجهزة الإعلام المسخرة لأصحاب النفوذ فقط دون غيرهم، وفى إصرار عجيب ظلت هذه النماذج المتسلقة تدندن حول «الشعار المرغوب فيه» تأصيلا له فى عقول الناس وتزيينا له فى قلوبهم حتى يتحول إلى عقيدة يدافع عنها الجمهور تعصبا وتزيينا وتزلفا وما أكثر وسائل الترغيب والترهيب التى اتخذها حكام الشعوب الإسلامية فى عصرنا هذا حتى يجعلوا من آرائهم وشعاراتهم عقائد وأديان يضحى فى سبيلها الشعب بالأرض والثروة فضلا عن النفس والروح وما تجربة العراق منا ببعيد.

حقائق ثابتة:

إن عقيدة تكريم بنى الإنسان حقيقة دينية وأصيلة فى كتاب الله وسنة رسوله، وهى الخطوة الأولى التى يعترف خلالها الإنسان بذاتيته ومكانته ودوره فى تحريك وعى أمته ويقظتها لينطلق منها إلى بناء النهضة وتشييد أركان الحضارة، وترسيخا لهذه العقيدة الدينية وقف الرسول ﷺ أمام الكعبة ليخاطبها قائلا لها: **«والله إنى أعلم حرمتك عند الله ولكن المسلم أعظم حرمة عند الله منك وأعلى مكانة».**

ومن منطلق هذه العقيدة الدينية فى تكريم الإنسان، نهض الرسول واقفا حين رأى جنازة تمر أمامه فقال له أصحابه يارسول الله إنها جنازة يهودى، فقال ﷺ: **«أليست نفسا»**، ومن هذه العقيدة الدينية فى تكريم الإنسان نزل القرآن الكريم ليعاتب الرسول ﷺ فى حادثة ابن أم مكتوم المشهورة فقال سبحانه: **﴿عبس وتولى* أن جاءه الأعمى* وما يدريك لعله يزكى* أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾** عبس: الآيات ١ ـ ٤.

وليس المقصود من عقيدة التكريم التى نبهنا إليها القرآن افتعال المواقف تكريما لشخص مرموق أو تأبينا لرحيل آخر، وإنما المقصود بذلك خلق البيئة الاجتماعية التى يحس الإنسان فيها بكرامته بعيدا عن المواقف الطبقية أو الفئوية أو الحزبية، وبعيدا أيضا عن التطلعات الشخصية المتمثلة فى الأمور المالية أو الاقتصادية، إن عقيدة التكريم للإنسان التى نبه إليها القرآن الكريم فوق ذلك كله وأكبر من ذلك كله. إنها إحساس وشعور، وأمان واطمئنان يعيشه الإنسان فى صباحه ومسائه، يعيشه الإنسان فى بيته وفى علاقاته الخاصة والعامة، إنه إحساس وشعور يعيشه المسلم فى العلاقات المتبادلة بين الراعى والرعية ـ بين الرئيس والمرءوس، بين الغنى والفقير، بين الكبير والصغير، فلا ييأس فقير من عدل الحاكم ولا يطمع فيه غنى، ولا تضيع الحقوق وتؤدى الأمانات، ولا يتوقع المرء إلا كلمة حق عند سلطان جائر وشهادة عدل عند ذوى السلطان، ويقينى أن ضياع عقيدة التكريم من قاموس الأمة واختفائها من أولويات المجتمع، قد أدى إلى اختفاء الإرادة الجماعية للنهوض، وأدى إلى انكفاء العلماء والمفكرين كل على نفسه وفى داخل ذاته يجتر أحزانه ويلوك آلامه على ما حل بالأمة من التخلف فى الوقت الذى تملك فيه كل عوامل النهوض.

إن هذه العقيدة ينبغى العمل على ترسيخها فى نفوس الشباب كأمر إلهى ومطلب شرعى وعقيدة دينية، إن كرامة الإنسان مستمدة من إحساسه بكرامة خالقه ومعبوده، وعزته مستمدة من إيمانه بعزة خالقه، وحريته وتكريمه يعتمدان على ولائه وعبوديته الخالصة لعزيز لا يذل، وقاهر لا يغلب، وفى إهانته نيل من مقام عبوديته لربه واستهانة بمخلوقيته ومكانته، التى خصها الله بالتكريم والتشريف فى أصل الخلقة على سائر مخلوقاته، وأهَّله بما منحه من أدوات ليكون خليفة له على كونه، ومهد له مفردات هذا العالم وجعلها ذلولا لإرادته وخاضعة لمشيئته، ليعمر بها حياته ويتنعم بما فيها من متاع طيب، وسخر كل مافى السموات

والأرض تكريما له وتلبية لحاجاته وقضاء لمصالحه وتحقيقا لمنافعه ليتحقق فيه ويتحقق به معنى العبودية الخالصة لربه وخالقه فى هذا العالم، ولقد احتفى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بمظاهر تكريم الإنسان باعتبار ذلك عقيدة ودينا يتمثله الإنسان فى حياته ويعيشه فى واقعه اليومى وفى علاقاته المتبادلة بين الناس جميعا، الكل يعمل على تكريم الكل فلا يعمل أحد على إهانة ما كرمه الله ولا يسخر أحد مما أعزه الله فإذا أخطأ إنسان أو سقط فى سلوكه فقد حدد له الشارع وسائل العقاب ومستوياته على درجات متفاوتة من التعازير والحدود حسب حجم الجرم الذى ارتكبه أو الخطأ الذى وقع منه، حتى لا تترك الأمور فى يد الحكام بلا ضوابط وبلا معايير، وحتى لا تترك مصائر الناس خاضعة لأهواء ذوى السلطان ونفوذهم.

إن تكريم الإنسان عقيدة ودين ينبغى أن يحتل مكانته فى أدبيات المجتمع وعلى ألسنة الدعاة وأقلام المفكرين حتى ننبه إلى بشاعة الجرم الذى يرتكب فى حق الإنسان والنيل من انسانيته التى كرّمها الله ورفع مكانتها على سائر المخلوقات، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذى خصه الخالق بأنه خلقه بيديه، قال تعالى لإبليس **﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين﴾** ص: آية ٧٥.

وهو الكائن الوحيد الذى اختصه الله بالخلافة على هذا العالم، وهو الكائن الوحيد الذى تحمل الأمانة التى أبت جميع المخلوقات عنها وأعرضت عن حملها وحملها الإنسان كما قال تعالى: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾** الأحزاب: آية ٧٢. وهو الكائن الوحيد الذى شرفه الله بخاصية العقل ليسود به ويسوس به هذا العالم، فلماذا الإصرار على إهمال عقيدة تكريم الإنسان والإصرار على إهانته.

إن هذه المعانى ينبغى أن تكون جزءا أساسيا من المنهج التربوى الذى يلتف حوله أبناؤنا فى مؤسساتهم التعليمية والتربوية، وينبغى أن نوضح لهم فى ضوء هذه المعانى كيف تقوم العلاقات بين الناس. كيف نرسم علاقات الرؤساء بالمرءوسين والحكام بالمحكومين. إن تربية الأجيال على هذه المعانى النبيلة والعقائد السامية تخلق فيهم صفات العزة فى غير غرور، وتجسد لهم معانى الشمم والإباء فى غير كبرياء، يعرفون كيف ومتى يقولون للمخطئ قف أنت على خطأ ويتصدون له أيا كانت منزلته ومكانته، وكيف ومتى يقولون للمحسن أحسنت ويشدون على يديه وينتصرون له ويؤازرونه، لابد أن نعمل على شيوع عقيدة التكريم للإنسان فى مناهجنا الدراسية لأن ذلك يؤدى إلى خلق الثقة بالنفس والاطمئنان للمستقبل ويقضى على الظواهر السلبية التى تفشت فى الأمة وعملت على هد كيانها وزلزلت أركانها وعدم الانتماء للأمة والوطن، وعدم الاهتمام بالشئون العامة والانكفاء على الذات والتقوقع داخل النفس مما قتل فى الإنسان المعاصر كل معانى الهمة والإرادة الجماعية والإبداع، إذ كيف يتأتى للعالم أن يفكر فى التعمير أو التنمية والنهوض والارتقاء بالمجتمع وهو يعيش حياته متقلبا بين هلع فى حاضره وخوف من مستقبله، كيف له أن يبدع وهو مهان فى مجتمعه غريب فى وطنه، كيف له أن يبنى فى الوقت الذى يجد كل شئ حوله يقف أمامه سدا منيعا يعوق حركته ويصد مسيرته.

إن عقيدة تكريم الإنسان هى نقطة البدء فى خلق الإحساس بالثقة والشعور بالانتماء ليجد فيها الإنسان نفسه ويحس بذاتيته وينتشل نفسه من هذا الإحساس القاتل الذى يعيشه صباحا ومساء ألا وهو الإحساس بالغربة الذى يعوق كل تفكير فى النهضة ويقضى على كل أمل فى البناء.

والله من وراء القصد وهو حسبى،،

المراجع:

١ - رواه الإمام أحمد فى مسنده.

٢ - رواه الترمذى فى كتاب البر، ابن ماجة فى كتاب الفتن، الدارمى فى كتاب المناسك.

٣ - ورد الحديث فى البخارى: (كتاب الجنائز: باب من قام لجنازة يهودى).

النوم آية من آيات الله فى خلقه

النوم نعمة كبرى من نعم الله الكثيرة على جميع مخلوقاته، خاصة الإنسان، يعرفها حق معرفتها من أدركه الأرق وجفاه النوم وبحث عنه بشق الأنفس فلم يجده. والنوم معجزة كبرى بكل المقاييس، لم يستطع أن يسبر غوره أو يقف على دقائق أسراره المنهمكون فى البحوث العلمية الكثيرة حول هذه الظاهرة المحيرة منذ أن بحث فيه فلاسفة اليونان وحتى الآن، فهو بحق آية من آيات الله فى خلقه ومعجزة كبرى تلخص كثيرا من العبر، ولكن لمن يريد أن يتدبر ويستبصر من البشر، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ الروم: آية ٢٣.

أ. د. محمد فتحى فرج بيومى

ثنائية الليل والنهار ونشاط الكائنات الحية:

يقول رب العزة فى كتابه الكريم فى سورة النبأ: ﴿وجعلنا الليل لباسا* وجعلنا النهار معاشا﴾ النبأ: الآيتان ١٠، ١١.

فهذه الثنائية المتكررة دوما، بين ليل يسكن فيه الإنسان ويخلد إلى الهدوء والراحة والنوم إلى نهار ينشط فيه ويزاول معاشه ويمارس مهامه، هى فطرة قد فطر الله عليها الإنسان وكثيرا من الكائنات، بما فيها من النباتات، تتماشى مع الناموس الذى وضعه الله تعالى وأجراه بقدرته على هذا الكون بأكمله، وهذا ما توصل إليه العلم بعد خمسة عشر قرنا من الزمان، حيث اكتشف مؤخرا خضوع الكائنات الحية بشكل فطرى لدورية تعاقب الليل والنهار يتقلب خلالهما النمو والسلوك ووظائف الأعضاء والنشاط العام للكائن على مدى ٢٤ ساعة، وقد لوحظ ذلك فى كل من النبات والحيوان والإنسان بل وعلى مستوى الخلايا المكونة لهذه الكائنات، وعلى سبيل المثال فإن كثيرا من النباتات تبدى نمطا من النمو الذى يتباين من وقت لآخر على مدى اليوم (٢٤ ساعة)، كما أن الحيوانات تبدى نمطا من السلوك يتأرجح بين النشاط والنوم يخضع لهذه الدورية اليومية بحيث

تستيقظ وتنشط فى وقت معين وتخلد إلى الراحة والنوم فى وقت آخر محدد (يلاحظ ذلك بشكل واضح مربو الطيور المنزلية)، أما على مستوى الخلية الحية فقد تم اكتشاف مجموعة من الظواهر التى تتغير بشكل دورى طبقا لتعاقب الليل والنهار وتشمل هذه الظواهر: النشاط الأنزيمى، الضغط الأسموزى، معدل التنفس، معدل النمو، النفاذية الغشائية، الحساسية لكل من الضوء ودرجة الحرارة، والاستجابة للعقاقير الطبية إلى غير ذلك من الظواهر والتأثيرات. وقد بات الأطباء على علم بأن مقدار الجرعة المناسبة لعقار ما قد تتغير تبعا للوقت الذى يتم فيه تعاطيه من اليوم، فإن الجرعة المناسبة والمفيدة فى وقت ما قد تصبح قاتلة فى وقت آخر من اليوم. كل ذلك أدى بالعلماء إلى الاعتقاد بوجود «ساعة حيوية» فى جسم الإنسان والكائنات الحية على وجه العموم تضبط سلوكها، وتتحكم فى نشاطها بشكل فطرى، طبقا لما خلقها الله عليه فى بيئتها التى تعيش فيها، ويؤدى ذلك فى النهاية إلى التوازن بين بنية الجسم ووظائفه والزمن وهو بعض ما تشير إليه الآية الكريمة التى تجمع بين ظواهر كونية وما يرتبط بها من أحوال البشر والمخلوقات.

المخ والنوم:

النوم هو حالة من اللاوعى التى يمكن إيقاظ المرء منها بالمثيرات الحسية القوية وذلك لتميزه عن حالة من الغيبوبة Coma، أو حالة من الحالات الأخرى التى تنجم عن تعاطى العقاقير، أو إصابات الرأس التى لا يمكن إيقاظ المرء منها، فالنوم يتميز بما يلى:

١ ـ انخفاض النشاط الجسمانى بشكل عام وكذلك انخفاض درجة حرارة النائم.

٢ ـ ارتفاع عتبة كثير من الأفعال المنعكسة وانخفاض درجة الاستجابة لمعظم أنواع المثيرات.

٣ ـ عدم إدراك الأحداث التى تمت أثناء النوم أو القدرة على تذكرها.

٤ ـ يتميز النوم أيضا بميل الكائن نحو إغلاق عينيه وإغماضها(١)، كما يصاحب النوم عادة عبوس الوجه الذى يمكن إحداثه أيضا بإثارة وجه النائم إثارة خفيفة. أما حالة الانبساط العضلى فهى سمة النائم على الرغم من أنه انبساط جزئى، فالنوم الطبيعى يتميز بقلة الحركة وليس غيابها تماما، وإن ما تبقى منها هو نوع نمطى لا يعتمد على النشاط الحرج لقشرة المخ.

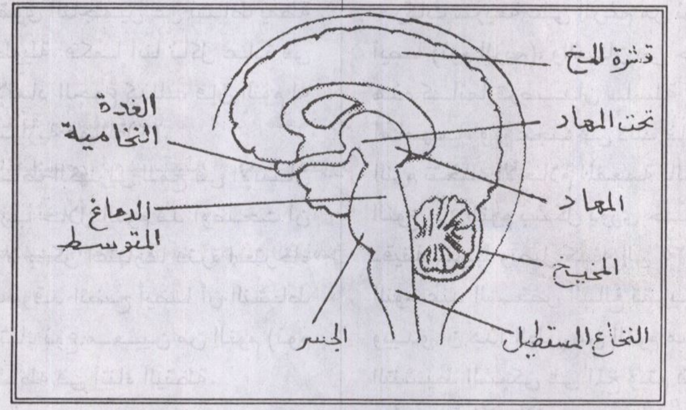

شكل رقم (١) يبين بعض أجزاء المخ المختلفة

وللمخ دور فى النوم واليقظة كشأنه فى مجموعة من الوظائف والأنشطة الأخرى كالتفكير والتذكر والحكم على الأشياء والمستويات المختلفة للمزاج كالابتهاج والخوف والاكتئاب إلى غير ذلك من حالات.

وتتولد هذه الحالات نتيجة لتنشيط أو تثبيط مناطق أو مراكز معينة فى المخ، بيد أننا سنقصر اهتمامنا هنا حول ظاهرة النوم، الذى تؤكد البحوث والتجارب العلمية أهميته للكائن الحى كأهمية الطعام له، فالنوم يفيد فى الحيطة ضد

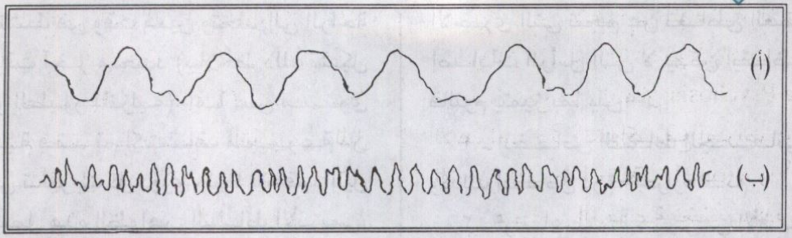

(شكل ٢ أ ـ ب) يمثل المخطط الكهربى للدماغ فى أثناء النوم العميق (أ) وهو نوم الموجة البطيئة. أما (الشكل ب) فيمثل المخطط الكهربى للدماغ أثناء نوم الحركة السريعة للعين (الريم) ويتميز مخططه بالموجات السريعة كما هو واضح بالشكل (لمزيد من التفصيلات انظر المتن)

الإنهاك، ونفاد القوى الناجمين عن نشاط يقظة امتدت لفترة طويلة، فكما أننا نأكل عادة فى ساعات محددة لإبعاد الجوع كذلك، فإن النوم له بلاشك وظيفة احترازية مماثلة(٢).

إن دراسة النشاط الكهربى للمخ فى الإنسان وحيوانات التجارب خلال النوم قد أوضحت أن النوم حالة معقدة لا يمكن اعتبارها فترة استرخاء وفقدان للنشاط. وقد اتضح أيضا أن النشاط الكهربى للمخ أثناء نوع معين من النوم (نوم الريم)(٣) يشبه نشاطه فى أثناء اليقظة.

أنواع النوم:

يوجد نمطان مختلفان للنوم، أما أولهما فيعرف بنوم الموجة البطيئة ويتميز هذا النمط ببطء موجات مخطط الدماغ (شكل ٢ ـ أ) عند تسجيلها بجهاز رسام المخ الكهربائى ويمثل هذا النوع معظم فترات النوم فى كل ليلة ويتميز بالعمق، ومن ثم فهو نوم يبعث على الراحة، ويحدث عادة خلال الساعات الأولى من النوم بعد فترة يقظة تقدر بعدة ساعات، وهنا لابد لنا من تعليق حيث تتطابق سنة النبى ﷺ مع هذه الحقيقة العلمية، فإن من تدبر نومه ﷺ وجده أعدل نوم وأنفعه للبدن والأعضاء والقوى، فقد كان النبى ﷺ ينام أول الليل حيث النوم العميق الذى يبعث على الراحة والسكينة وكان يستيقظ أول النصف الثانى للتهجد والعبادة(٤).

أما النمط الثانى للنوم فيعرف بنوم حركة العين السريعة (يسمى بذلك لأن العين فى أثنائه تتحرك حركات سريعة على الرغم من نوم المرء)، ويسمى أيضا (نوم الريم)، والعينان فى حركتهما السريعة هذه كأنما ترصدان سلسلة أحداث تجرى أمامهما، ولا عجب فى ذلك فإن هذا النمط من النوم تتخلله الأحلام المفعمة بالحيوية، ويتم هذا النوع من النوم بشكل دورى حيث يتكرر كل ٩٠ دقيقة تقريبا وتصل مدته إلى ٢٥٪ من مجمل زمن النوم عند الشخص البالغ تقريبا وهو نوم مريح ويبدو أن هذا الطور من النوم مستقل عن جهاز التنشيط الشبكى فى المخ ويتم فى جميع الأفراد ما عدا أولئك الذين حرموا نعمة الإبصار لعدة سنوات(٥).

وتعتمد طبيعة مخطط كهربية الدماغ EEG على درجة عمق النوم، فالنوم العميق يتميز مخطط الدماغ فى أثنائه بالموجات البطيئة، ولذا فقد يطلق عليه نوم الموجة البطيئة أما نوم الريم فيتميز المخطط الكهربى للدماغ خلاله بالموجات السريعة (انظر الشكل المرفق ٢ ـ ب).

وهناك كثير من الآراء حول ما يؤدى إلى النوم العميق، يعتمد معظمها على الخيال المحض، إن نوعية النوم لا يمكن تحديدها اعتمادا على خاصية واحدة، فهناك تنوع كبير فى طول مدة النوم عند فئة عمرية ما، بل وعند نفس الشخص من وقت لآخر، إلا أنه يمكن القول بأن ثمة نقصا متدرجا فى طول فترات النوم كلما تقدم العمر، كما أن كمية التحرك فى أثناء النوم تختلف أيضا، فإن الأشخاص الطبيعيين يتقلبون غالبا خلال النوم

الليلى، وهذا النوع من الحركة يتم بمعدل أكثر خلال النصف الثانى من الليل. أما عمق النوم فيتحدد عادة بعتبة الحساسية السمعية(٦)، كما أن عمق منحنيات النوم يختلف فى النصف الثانى من الليل عنه فى النصف الأول، أما الأحلام فتتم فى أثناء النوم الخفيف أو الجزئى (نوم الريم) وقد يسمى أيضا بنوم الأحلام، وربما تكون هذه الأحلام نتيجة لنشاط بعض مناطق قشرة المخ أثناء النوم(٧).

أثر الحرمان من النوم فى الإنسان:

للحرمان من النوم آثار ضارة على الإنسان قد تصل إلى حد الموت. وقد كان الصينيون يعذبون بعض المجرمين بحرمانهم من النوم لمدة طويلة إلى حد الموت أرقا. هناك تأثيرات فسيولوجية «ونفس حركية» Psychomotor وتغيرات كيموحيوية تبين أنها مواكبة للحرمان التجريبى من النوم مدة ١١٢ ساعة. هذا فضلا عن التأثيرات التى تظهر على النشاط الكهربى للمخ أو على شكل اضطرابات نفسية أو سلوكية. أما التغيرات التى تتم بدرجة أقل فتبدو جلية فى بعض المؤشرات الأخرى كالمهارات الحركية والقدرة على تحمل العمل الثقيل، كما تظهر أيضا فى اختلال مستوى كل من السكر والهيموجلوبين فى الدم وعدد كريات الدم الحمراء والبيضاء ووزن الجسم ومعدل التمثيل الغذائى القاعدى إضافة إلى درجة حرارة الجسم.

هذا، ويبدأ تأثر المخطط الكهربى للدماغ فيما بين ٣٦ إلى ٥٠ ساعة من الحرمان من النوم، وبعد ٤٠ ساعة من اليقظة المتواصلة قد تظهر على بعض الأشخاص أعراض تتشابه مع تلك التى تظهر على مرضى الفصام Schizophrenic أو مرض العصاب النفسى Psychoneurotic، ومرضى الهذاء (البارانويا)، وهذه الأمراض فى معظم الحالات، تكون خفيفة، بيد أنها قد تصل إلى درجة كبيرة فى القليل منها فتتشابه مع أعراض الفصام الهذائى الحاد، ومع ذلك فإن جميع الأشخاص قد عادت حالاتهم إلى طبيعتها بعد فترة نوم عميق.

ويبدو أن الأعراض الذهنية التى نجمت عن الحرمان من النوم تتشابه فى كثير من مظاهرها مع حال نوع من الذهان Psychosis لاسيما تلك الأعراض التى تتواكب مع أمراض معينة أو مع التجرع المفرط للعقاقير المخدرة، والأنواع الأخيرة من الأعراض الذهنية تخف عادة عند شفاء المريض من مرضه، أو عند تخلصه من العقار، وعلى ذلك فاحتمال اقتران الاضطرابات النفسية مع الحرمان من النوم نتيجة لتغير أو نقص فى بعض الوسائط الأيضية الوظيفية احتمال قائم كنقص مادة السيروتونين(٨) مثلا.

وخلاصة القول إن اليقظة الطويلة تؤدى فى أغلب الأحيان إلى خلل متزايد بوظائف الدماغ، بل إنها قد تؤدى أحيانا إلى سلوكيات شاذة للجهاز العصبى حيث يزداد تبلد التفكير كلما زادت فترة عدم النوم، بل إن الشخص يمكن أن يصبح هائجا أو حتى ذهانيا Psychotic بعد فترات طويلة من الأرق. وعلى ذلك يمكن القول إن النوم يحفظ (بطريقة غير معلومة حاليا) المستويات الطبيعية من النشاط والتوازن بين الأجزاء المختلفة للجهاز العصبى المركزى، لأن فرط استخدام بعض مناطق المخ فى أثناء اليقظة يمكن بسهولة أن يفقد هذه المناطق توازنها مع بقية الجملة العصبية، ولذلك يمكننا أن نفترض، عند غياب أى قيمة وظيفية واضحة للنوم، أن القيمة الأساسية للنوم تتمثل فى حفظ التوازن السوى بين المراكز العصبية(٩).

التلوث البيئى يؤدى إلى الأرق:

المسلم، من منطلق إيمانى، مطالب بالنظافة التى هى من الإيمان، فالطهارة التى تتضمن النظافة هى شرط من شروط العبادات المختلفة، وهى أيضا لازمة للحياة الهادئة المستقرة، التى تتميز بالسكينة والطمأنينة، أما التلوث بأشكاله المختلفة فإنه يؤدى إلى الوساوس والضيق مما يكون سببا فى إعاقة آلية النوم، بل وقد يؤدى إلى الأرق.

وغنى عن البيان أن التلوث السمعى يؤدى إلى كل ذلك بشكل مباشر بناء على الدور الذى تقوم به حاسة السمع فى حدوث أو امتناع النوم، وذلك بعد التقدم الذى شهده علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، إلا أن القرآن الكريم قد أشار إلى ذلك منذ خمسة عشر قرنا من الزمان حيث يقول الله تعالى فى سورة الكهف: ﴿**فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا**﴾ آية ١١.

فعزل البيئة المحيطة بالأذن يفقد الإنسان القدرة على التعامل معها مما يسهل معه النوم المتواصل(١٠) ولذلك نجد عجز الآية ٢٣ من سورة الروم يأتى على هذا النحو ﴿**إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون**﴾، فالنوم والسعى: سكون وحركة يدركان بالسمع، ومن ثم يتناسق هذا التعقيب فى الآية القرآنية مع الآية الكونية التى تتحدث عنها على طريقة القرآن الكريم كما يقول صاحب الظلال.

أما التلوث بالكيماويات كالعناصر الثقيلة مثل التلوث الرصاصى فإنه يؤدى إلى اختلال طور النوم الذى يتميز بالحركة السريعة للعين مما يؤدى إلى اضطراب النوم ومن ثم الأرق.

وقد ثبت الآن أن مادة كيميائية أخرى تسمى باراكلوروفينايل آلانين (PCPA) تسبب نقصا فى مادة السيروتونين وحدوث الأرق. وقد وجد أنه عند حقن حيوان التجارب بهذه المادة (PCPA)، فإن ذلك الحيوان لا ينام لعدة أيام، الأمر الذى أدى إلى الاعتقاد بأن للسيروتونين دورا فى عملية النوم.

وقد وجد أيضا أن تعاطى المخدرات والمهلوسات يؤدى إلى الأرق وذلك عن طريق تأثيرها السلبى على الخلايا العصبية السيروتونية، وقد سبقت الإشارة إلى دور السيروتونين فى عملية النوم.

وفى النهاية فإن نظرة الناس إلى النوم تتباين بحسب وجهات نظرهم فى الحياة ومسالكهم فيها، فهناك من يعتنق وجهة نظر عمر الخيام القائل:

فما أطال النوم عمرا ولا

قصر فى الأعمار طول السهر

وهناك صنف آخر ينطبق عليه وصف الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز حيث يقول:

نهارك يامغرور سهو وغفلة

وليلك نوم والردى لك لازم

وبين المسلك الأول والمسلك الثانى طيف متنوع بتنوع اتجاهات البشر ومعتقداتهم وثقافاتهم، إلا أن المعيار الصحيح والتوجه السليم هو التوسط والاعتدال اللذان هما من سمات المسلم الحق، حتى يستطيع المرء أن ينهض بما كلف به، ويؤدى الأمانة التى اؤتمن عليها.

المراجع:

1- Morgan, C.T. (1965) Physiological Psychology. McGraw Hill Kogakusha, LTD. Tokyo.

٢ ـ بوربيلى، أ. (١٩٨٦) أسرار النوم. دار المروج، بيروت. ص٢١١.

٣ ـ الريم (REM) اختصار للجملة rapid- eye - movement وتعنى نوم الحركة السريعة للعين.

٤ ـ ابن قيم الجوزية (١٩٨٣م) الطب النبوى. تعليق د. عبدالمعطى قلعجى. دار الوعى حلب. ص٣٩٣.

5- Dement, W.C. (1960) Paradoxical sleep and dreams. Science, 131: 1705.

٦ ـ عتبة الحساسية السمعية: هى أقل أصوات يمكن أن تتبينها أو تحسها الأذن، وكلما كان النوم عميقا تطلب ذلك رفع درجة الصوت ليتم الاحساس به عن طريق الأذن، وهذا معناه زيادة عتبة الحساسية السمعية أثناء النوم العميق والعكس صحيح.

7 - Loomis et al. (1937): Cerebral state during sleep. J. Psychol. 21: 127.

٨ ـ السيروتونين: مركب فينولى أمينى ذو وظائف متعددة فهو هرمون موضعى له دور فى تجلط الدم، وناقل عصبى للإشارات بين الخلايا العصبية وبعض أجزاء المخ، وله وظائف أخرى عديدة، وهو كناقل عصبى قد يعمل لتنشيط أو تثبيط الخلايا العصبية معتمدا فى ذلك على جزء المخ الذى يظهر فيه، ففى الجسم الصنوبرى قرب مركز المخ يعمل كمادة مثبطة، أما فى مراكز المخ التى تنظم العواطف فيعمل كمادة منشطة.

9 - Guyton, A,G. (1991): Texbook of Medical Physiology, 8th ed W.B. Saunders Co. Philadelphia. P661.

١٠ ـ عبدالباسط الجمل ـ داليا الجمل (٢٠٠٠) موسوعة الإشارات العلمية فى القرآن الكريم والسنة النبوية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص٧٩.

وجعلنا من الماء كل شيء حي

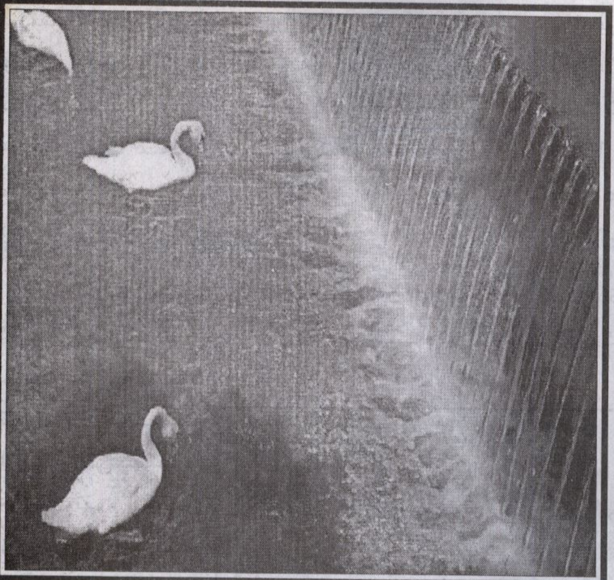

أ. د/ عبدالمعبود عمارة

جاء ذكر الماء فى آيات الكتاب الكريم فى مواضع كثيرة ليذكرنا الله تعالى بأصل الخلق وبدايته فقال سبحانه: ﴿وجعلنامن الماء كل شىء حى﴾ الأنبياء: آية ٣٠.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ النور: آية ٤٥.

وقال جل من قائل: ﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا﴾ الفرقان: آية ٤٥.

والماء سر من أسرار الخالق العظيم، منه خلق الإنسان والحيوان والنبات وبدونه لا تستقيم الحياة، فالإنسان وهو سيد المخلوقات على الأرض خلق من ماء مهين ـ وهى النطفة ـ وجسم الإنسان يحتوى على نسبة كبيرة من الماء تبلغ حوالى ٥٥ إلى ٧٠٪ من وزن الجسم وتقل نسبة الماء فى السيدات والأشخاص المفرطين فى السمنة، وتكون مرتفعة فى الأطفال حديثى الولادة ثم تنخفض كلما زاد السن.

والماء الموجود فى جسم الإنسان لا يكون على الصورة التى تشربه بها ولكنه يدخل فى تكوين الخلايا بجميع أنواعها ويكوِّن سوائل الجسم المختلفة كالدم والسوائل خارج الخلايا، ويتكون منه البول. وإذا تعرض الجسم لفقدان كمية كبيرة من السوائل فجأة، فإن ذلك يضر بالجسم ضررا بالغا جدا ويلاحظ ذلك بوضوح فى النزلات المعوية فى الأطفال حديثى الولادة نظرا لاحتواء أجسامهم على كمية كبيرة من الماء.

كيف يدخل الماء الجسم: « ١٥٠٠ سم٣ يوميا »

يحتاج الشخص عن طريق الشرب إلى حوالى ٨٠٠ سم٣: ١٥٠٠سم٣ من الماء يوميا؛ وكلما زاد العرق احتاج الشخص إلى كميات أكبر، كما يحدث فى فصل الصيف، كما أن الفاكهة والخبز واللحوم تكسب الجسم حوالى ٣٠٠سم٣ من الماء لاحتوائها

الماء سر من أسرار الخالق العظيم بدونه لا تستقيم الحياة

على نسبة عالية من الماء؛ كما أن الجسم يكتسب حوالى ٢٠٠ سم٣ من الماء الناتج عن عملية التمثيل الغذائى فمثلا عند احتراق المواد السكرية فى الجسم فإنها تتحول إلى ثانى أكسيد الكربون وطاقة وماء.

توازن كمية الماء بالجسم:

يحتفظ الجسم بكمية ثابتة تقريبا من الماء فى الأحوال العادية بفضل التوازن الذى خلقه الله تعالى من كمية الماء التى تدخل الجسم والكمية التى يفقدها الجسم. وتقوم الكليتان بدور هام فى حفظ التوازن بواسطة التحكم فى كمية البول التى تفرزها؛ وهذا بتوجيهات الحارس الأمين الذى خلقه الله تعالى فى الجهاز العصبى، وهى الغدة النخامية وهى التى تفرز الهرمون المضاد للتبول فى حالة الجسم إلى الماء.

كيف يتوزع الماء داخل الجسم:

أ ـ يوجد الماء على هيئة سوائل أو ماء بداخل الخلايا وهو يكون فى بروتوبلازم الخلايا؛ ويوجد به أملاح البوتاسيوم والفوسفات والصوديوم.

ب ـ يوجد على هيئة سوائل أو ماء خارج الخلايا وذلك فى سائل البلازما أو فى السائل بين الخلايا؛ ويوجد به أملاح الصوديوم والكلور والبيكربونات والبوتاسيوم أيضا بكمية قليلة جدا، والبلازما جزء هام جدا فى تركيب الدم وهى تدور فى الدورة الدموية وتحمل المواد الغذائية ويحدث بينها وبين السائل بين الخلايا تبادل المواد المكونة لهما خلال جدار الأوعية الدموية الشعرية ـ كما يحدث تبادل للمواد بين السائل بين الخلايا والسائل داخل الخلايا خلال الغشاء الخلوى للخلايا.

كيف يتخلص الجسم من الماء (فقد الماء):

أ ـ يفقد الماء بالتبول لحوالى ١٥٠٠سم٣ ويجب ألا تقل كمية البول عن ٥٠٠ ـ ٨٠٠ سم٣ حتى يمكن التخلص من المواد الضارة كالبولينا ومادة الكرياتنين وغيرها من الأملاح والتى يضر وجودها فى الجسم.

ب ـ تفقد كمية من الماء عن طريق العرق الذى يفرز بواسطة الغدد العرقية الموجودة فى الجلد.

وأهم وظائف العرق هى تنظيم درجة حرارة الجسم والتخلص من الماء الزائد والمواد الضارة والأملاح.

وتختلف كمية العرق من إنسان لآخر ومن فصل إلى آخر وحسب طبيعة عمل الإنسان؛ وتختلف فى الشخص نفسه من وقت لآخر تبعا لكمية ونوع النشاط الذى يقوم به، ونظرا لاحتواء العرق على كمية كبيرة من أملاح الصوديوم فيجب على الأشخاص المعرضين للعرق الشديد مثل عمال المخابز وعمال البناء، شرب الماء بكثرة مضافا إليه كمية من ملح الطعام.

٣ ـ تفقد كميات من الماء لاشعوريا فى هواء

الزفير على هيئة بخار ماء؛ وتبخر الماء يحدث أيضا عن طريق الجلد، ويتوقف على درجة الحرارة ورطوبة الجو وملابس الإنسان، وينظم حرارة الجسم وليس له علاقة بالعرق.

كما يفقد الماء بوساطة التبرز وخاصة فى النزلات المعوية والإسهال الشديد، ويعوض بمحلول معالجة الجفاف إذا رأى الطبيب ذلك.

تنظيم كمية الماء فى جسم الإنسان:

تقوم الكليتان بدور هام وإيجابى فى تنظيم كمية الماء فى الجسم؛ وكذلك هناك دور سلبى للرئتين والجلد.

وتقوم الغدة النخامية بالتحكم فى كمية البول التى يتبولها الإنسان؛ فتقل كمية البول إذا زاد إفراز العرق كما فى الجو الحار؛ وتزيد كمية البول إذا تناول الإنسان كمية كبيرة من الماء، وهذا من فضل الله تعالى على خلقه.

وقد يفقد الإنسان بعض الماء فى حالات مرضية مثل حالات الحروق وحالات القىء والإسهال.

ويجب القيام بنقل السوائل طبقا لنوع الحالة ونوع المرض وطبقا لخريطة السوائل وفى بعض الحالات المرضية وبعض العمليات الجراحية يجب عمل كشف يسمى «كشف توازن السوائل»، للمريض؛ ويثبت به السوائل التى يفقدها الجسم والسوائل التى تعطى للمريض سواء عن طريق الفم أو الحقن وحتى لا تزيد كمية السوائل داخل الجسم.

والسوائل التى تفقد يجب أن تراعى فيها ما يفقد عن طريق البول والبراز والعرق.

والماء المفقود عن طريق الزفير وعن طريق الجلد وكذلك الماء المفقود فى القىء والإسهال أو سطح الجلد فى حالات الحروق.

والسوائل التى تعطى يجب أن تعادل الكمية المفقودة إما بواسطة الفم أو بالحقن الوريدى؛ ويجب أن تحتوى السوائل على الأملاح الضرورية للجسم حسب توجيهات الطبيب المعالج.

فقدان كمية كبيرة من السوائل من جسم الطفل نتيجة الإصابة بالنزلات المعوية يحدث أضرارا بالغة

وبعد: فإن كان هذا هو الماء الذى به نحيا الحياة الدنيا فإن لماء الجنة وأنهارها وما فيها من لذة ونعيم مقيم مالا نستطيع وصفه ويكفينا قول الحق تبارك وتعالى: **﴿مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾** محمد: آية ١٥.

نسأل الله لنا ولكم الجنة ونعيمها وأن يسقينا سبحانه وتعالى من حوض رسول الله ﷺ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الاستنساخ وانفجار البشرية

إذا كان الإنسان فى بدائة فكره الأول وتاريخه السحيق قد أبدى تعلقا روحيا ونفسيا بالدين على مدار الحقب المتوالية من عمر البشرية على ظهر هذه المعمورة - إنما كان هذا التعلق لكونه مطويا على إحساس فطرى بشدة الحاجة إلى المعبود القادر الذى يتعهده بالرعاية والنظر والحدب.

كان الدين هو الملاذ الأوحد للإنسان - ولايزال - الذى يضوى إليه يحتمى به من أوضار الحياة وظروفها القاسية، وعوارضها المرعبة فى كثير من الأحيان، حيث شعر أن الكثير والكثير من الأرواح الشريرة فى الكون تطارده صباح مساء وتترصده ليل نهار تعمد إلى تكدير صفوه، وإرهاقه وإلحاق العنت به.

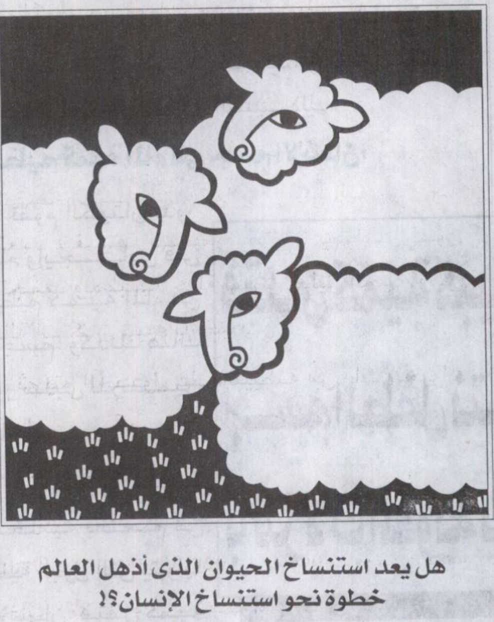

هل يعد استنساخ الحيوان الذى أذهل العالم خطوة نحو استنساخ الإنسان؟!

د/ السيد الجميلى

وتتوارد المشكلات على الإنسان بين فينة وأخرى ويزداد محيط الفكر إلى أن يبلغ غاية المدى فى الآونة الأخيرة وتنتهى به الأمور إلى أخطر قضايا العلم حرجا وحساسية ولعل أهمها وأجدرها وأولاها بالنظر والتحليل إنما هى قضية الاستنساخ، وهى من آخر ما وصل إليه العلم الحديث حيث يتم نسخ مخلوق مماثل ومطابق فى الشكل والتكوين تماما (صورة كربونية) من كل الأوجه والزوايا من أصله.

وكنا قرأنا فى المصادر الأولية، والمراجع الثانوية حول هذا الموضوع إرهاصات دقيقة منذ ما ينيف على ربع قرن من الزمان لكنها كلها كانت فى إطار المجال النظرى ليس إلا، ولم يكن يجرى فى خاطر أو ينسج فى فكر أن تكون محلا للتطبيق على أرض الواقع العملى بحال.. إذ أن الثابت فى كثير من القضايا العلمية أن تكون تقديرية أو تصويرية ومن المتعذر أن تنزل إلى العالم الواقعى التطبيقى لأسباب موضوعية.

بيد أن الذى حدث كان مذهلا، وهو على خطورته لم يكن ليحدث عرضيا ولا عفويا تلقائيا وإنما هى مرحلة متصلة وحاقة مديدة من البحوث والتجارب البعيدة التى تظاهرت جميعا وأدت فى النهاية إلى ما انتهت إليه من ثمرة مبهرة.

وعملية الاستنساخ تتم على عشر خطوات، وهذه المراحل العشر إذ يعمد الباحثون بادى الرأى إلى تحضير الخلية من ثدى أو ضرع الحيوان المُعطى (المانح)، ثم تفصل الجينات وهى المودعة فى الكروموسومات، وهذه الجينات هى المعوَّل عليها والمطلوبة لإعداد النسخة المماثلة للحيوان المستهدف بالاستنساخ أو النسخ.

ثم تنمو الخلايا المطوية على الجينات المذكورة، فتنقسم انقسامات متوالية، وهذا النمو نتيجة التعهد بتغذيتها المستمرة حتى لا يطولها الكمون والجمود ويصيبها حالة تسمى تعليق الحياة وهى حالة استكنان شبيه بالخمود.

ثم يتم الحصول على البييضة من ذات الحيوان أو من حيوان آخر غيره، وتحفظ هذه البييضة غير المخصبة فى طبق فى المعمل.

تُزال النواة وتفصل تماما فى إطار عملية Nuclear Extraction from the Ovum، وتدمج نواة الخلية الثدية مع البييضة من خلال الاستحثاث الكهربائى حيث تقوم جزئيات البييضة ببرمجة الجينات فى الخلية الثدية لإنتاج الخلية الأولية للجنين، ثم ينمو هذا التجمع الخلوى فى أولى مراحله وينقل بعد ذلك إلى رحم حيوان آخر حيث تتم صيرورته جنينا كاملا، ويظل كذلك حتى يولد ولادة عادية، وهو بذلك يكون صورة مطابقة لأصله تماما أى للحيوان الأول المأخوذ منه الخلايا الثديية.

وقد عمد فريق من الخبراء والعلماء الأمناء الباحثين بمعهد روزالين باسكتلندا لأول مرة ـ باستنساخ بأسلوب النقل النووى للخلايا.

وقد تم بموجب هذه الطريقة أخذ خلية من ضرع النعجة، وعمدوا بعد ذلك إلى فصل النواة من هذه الخلية.. ثم حصلوا على بويضة من نعجة أخرى، وفرغوها بتطويح محتواه من النواة فصارت خلية بلا نواة، ثم عملوا على دمج نواة الخلية الأولى «التى فصلوها من الخلية الأولى» المستخلفة من ثدى ضرع النعجة الأولى، ثم أقحموها وأدمجت فى الخلية منزوعة النواة الثانية المأخوذة من النعجة الثانية. ثم تم دمج النواة الأولى (للنعجة الأولى) بالبويضة (من النعجة الثانية) فصارت بذلك خلية جديدة تمت زراعتها ونقلها إلى رحم نعجة ثالثة.

وفى رحم النعجة الثالثة شرعت الخلية فى النمو والتحول تدريجيا رويدا رويدا حتى صارت جنينا مكتملا، ثم ولد بعد ذلك ولادة طبيعية تماما، وقد كان صورة كربونية مماثلة تماما للأصل.

لئن كانت الأسس العلمية والعملية التطبيقية لهذا الاستنساخ قابلة للتطبيق الفعلى على أرض الواقع فى كل أصناف وأنواع الكائنات الحية ـ فإن أخطر منعكساتها، وأعنف مردوداتها وتداعياتها هى على الجنس البشرى باستنساخ نسخة مطابقة للأصل كما أسلفنا من ذات الشخص.

ومن ثم فإن الصفات الوراثية كلها مركوزة فى النواة المستخرجة من المعطى، ولا توجد أية صفات ألبتة فى صاحبة البويضة المستخلصة منها، وبدهى لا توجد أدنى صفات وراثية لذات الرحم المحتضن للبويضة المخصبة بنواة (مطوية على الصفات الوراثية) للمعطى المشار إليه.

من هذا كله فإن المستنسخ هو صورة مطابقة لصاحب النواة باعتباره ناقلا لكل صفاته وأسس خلقته وجبلته الخلقية والفطرية التكوين.

وقد قوبلت عملية الاستنساخ أو النقل النووى

برفض عام حاسم، واعتراض دولى مجمع عليه، وهو اعتراض غير مسبوق من جميع الأمم والهيئات والمؤسسات والجمعيات ومراكز البحوث والجامعات على مستوى العالم أجمع.

هذا الرفض الساحق ليس استهجانا ولا مجردا «على سبيل الكراهة» ولكنه شجب قاطع ورفض مطلق وليس صادرا عن عاطفة إنما هو الرد الموضوعى الطبيعى من رموز القيم الانسانية من علماء وباحثين ومفكرين وعلى رأسهم جميعا رجال الدين لكل الأديان والمذاهب والملل، ذلك لأن التداعيات لهذه الطفرة إنما هى مردودات حرجة ليست مقصورة على طائفة دون طائفة. أو جنس دون آخر ولكنها تهدد البشرية بعامة فى كل هوياتها ومختلف مشاربها.

إن القيم العليا والأخلاق السامية مهددة بالتدهور والتصدع والانفلات منها على يد هذا الاستنساخ الذى يفرز أنماطا معدومة الهوية، مجردة من الأصالة والتأصيل الذى هو قوام العنصر البشرى.

ولأجل هذه المخاوف وتلك المحاذير كان رجال الدين الإسلامى والمسيحى واليهودى هم أول من ابتدر وسارع إلى استنكار هذا الاستنساخ لكونه يمثل جموحا صارخا وعدوانا شرسا على الأخلاق والقيم مما يترتب عليه شيوع الفوضى وانفراط عقد الترابط والتواصل الإنسانى بمفرزات همجية غير محمودة المغبة، وغير مأمونة العواقب.

إن التخوف من هذه الطفرة المخيفة، والثورة المثيرة على الشرائع الدينية والمنظومة الإنسانية والوشائج الاجتماعية ـ هذا التخوف له ما يبرره إذ أن المستقبل القريب والبعيد على حد سواء قد يحمل فى أطوائه من الأخطار والمحاذير مالا يخطر على بال أو يسنح فى خاطر، حيث ينعدم الأمن والأمان النفسى وتطيح المروءات وتفشو الرذائل والمقابح، وتذوب الهويات والمشارب الأصيلة فى مهامه ومتاهات التخليط، وهى فتنة مروعة بكل المقاييس. ولا يمكن أن يتصور أحد مآل المجتمعات والجماعات فى وقت ما يسودها هذا التخليط والعبث غير المسبوق بمقدرات الديانات والركائز القيمية، والثوابت والأعراف العالمية التى تظاهر عليها وأقرها الفكر الإنسانى منذ أقدم العصور ولم يتزحزح عنها عبر العصور وعلى مدار التاريخ.

إن أية طفرة من الطفرات التى تخترق الناموس، وتضاد أو تصطدم بالنمطيات السائدة قد يكون من مضامينها وجه من وجوه الفائدة أو النفع والمصلحة بحال من الأحوال، وقد يكون نفعها أدنى كثيرا من ضررها، وربما يكون ضررها أقل من ضرر غيرها لكن هذا الاستنساخ أخطاره غير المحدودة، وتوابعه المحرقة تتفشى وتتغلغل فى كل اتجاه لتفسد كل إصلاح، وتبيد كل معمور، وتحرق كل أخضر ويابس.

إن حجم الكارثة فوق التصور ومن ثم كان المعارضون لها كثيرين لأن كل الناس فى كل مكان يرهبون تداعياتها ومنعكساتها، وهى نازلة ماحقة لا تبقى ولا تذر، والرفض المطلق لها لابد أن يكون نصيبا مفروضا، كما أن الشجب والاستنكار والمطلق الحاسم حقيق بها وهى محقوقة به، ولا سلامة من زمن ووقت تفشى فيه المقابح، وتعم بسفوله البلوى، إلا بالانزواء والكمون والانطواء على النفس، إيثارا للعافية والنجاة.

شخصيات إسلامية

- نفحات صوفية: فى مجلس أبى الحسن الشاذلى
- فقيه المتكلمين ومتكلم الفقهاء.. أبو منصور البغدادى

«نفحات صوفية» في مجلس أبي الحسن الشاذلي

نحن فى الأسكندرية، والمسجد غاص بذوى العلم والتقوى، وأبو الحسن الشاذلى يتهيأ لإلقاء الدرس، وهو يتمتم بدعوات لا يسمعها أحد، ثم قرأ البسملة، وحمد الله، ورفع يديه إلى السماء داعيا فقال:

«اللهم إنا نتوسل بك إليك، اللهم إنا نقسم بك عليك، اللهم كما كنت وكيلنا عليك فكن شفيعنا إليك، اللهم إن حسناتنا من عطائك، وسيئاتنا من قضائك، فجد بما أعطيت على ما به قضيت!» .

ودهش السامعون لعظمة المعانى، ودقتها، وكان أبو العباس المرسى أخلص تلاميذه بين يديه، وقد بان على وجهه التأثر الشديد، فسأله أبو الحسن مبتسما، ماذا بك؟ تكلم، فبعد العسر يسر!

د. محمد رجب البيومى

قال أبو العباس: أنا فى ضيق نفسى لا أدرى مأتاه، فهل غضب علىَّ ربى؟

وتطلع الحاضرون إلى سماع الرد، فأشرق وجه أبى الحسن وقال فى هدوء:

تعلم ياأبا العباس أن الله خلق آدم بيده، وأسجد له الملائكة وأسكنه الجنة أمدا طويلا، ثم نزل به إلى الأرض بعد هذا النعيم، فهل كان غاضبا عليه!

فسكت القوم حائرين، فقال أبو الحسن: وهل نزل الضيق بصدر آدم؟ فسكت القوم، فقال أبو الحسن: لم يغضب ربُّ العزة على آدم، ولم ينزل الضيق بصدره، لأن الله أنزله إلى الأرض ليكمله ويهيئه للرسالة التى أعده لها؟ ألم يقل للملائكة من قبل إنى جاعل فى الأرض خليفة: كان ذلك قبل دخوله الجنة؟ فلما جاء التنفيذ نزل إلى الأرض، والعبد قد ينزل من السرور إلى الحزن، ومن السعة إلى الضيق، فيأسف، ولو علم أن إرادة الله جاعلة من الضيق فرجا، ما اكتأب لما نزل به. أفهمت ياأبا العباس فأشرق وجه مريده، وصاح: الحمد لله رب العالمين!

ثم قال أبو الحسن بعد فترة: توبوا إلى الله، فرفع الجميع أكفهم إلى الله تائبين، ولاحظ الشيخ تلميذا من مريديه يبتسم، فقال له: قل مافى نفسك يابنى، نحن يساعد بعضنا بعضا على الفكر بإذن الله! قل ولا تخش اعتراضا من أحد!

فقال التلميذ، ياسيدى، دخل فى روعى هاجس، هو أن التوبة تكون للمذنبين، وقد يكون بيننا من لم يذنب، فلم يتوب؟

قال الشيخ: قوّى الله ثقتك فى نفسك يابنى، وأرجو أن يكون حسن حظك بالله سديدا، ثم إنى أقرأ عليك قول الله عز وجل ﴿**لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب**

عليهم ليتوبوا إنه بهم رءوف رحيم﴾ التوبة: آية ١١٧.

فهل أذنب النبى ﷺ حتى يتوب الله عليه، هل أذنب المهاجرون والأنصار حتى يتوب عليهم، لم يذنب غير الذين تخلفوا عن غزوة تبوك! ولكن الله عز وجل ذكر توبة من لم يذنب حتى لا يستوحش من أذنب، ولو قال الله عز وجل لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا لتفطرت أكبادهم حزنا! هذه هى المواساة فضج القوم بالتكبير، وصاحوا ما سمعنا بهذا من قبل! هذا إلهام! هذا إلهام فنكس الشيخ رأسه وقال: أرجو أن أكون قد وفقت! فأنا مع الله فى حساب شديد!

ثم سأل الشيخ عن الآية الكريمة التى وقف عندها فى آخر الدرس الماضى، فقال أبو العباس لقد كان آخر ما شرحت قول الله - عز وجل - فى سورة الضحى: ﴿ألم يجدك يتيما فآوى* ووجدك ضالا فهدى﴾، وقلت فى تفسير الضلال ما شرح الصدور، وبقى أن تبدأ بقول الله: ﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾؟ فابتسم الشيخ، وقال لمن جاوره من المريدين؟ ما تقول أنت فى الآية الكريمة ياأخى:

قال المريد، لقد كان رسول الله ﷺ فقيرا فأغناه الله! ولعل ذلك حين اقترن بخديجة أمّ المؤمنين؟ قال الشيخ: أهناك من رأى آخر؟ فسكت الجميع، وانتظروا ما يقول أبو الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

لم يكن الفقر والجوع من همّ رسول الله ﷺ، فهما أهون من أن يكونا فى خاطره، ألم يشد على بطنه بالحجر من شدة السغب! وما جعل لذلك أثرا فى نفسه! إن الغنى فى الآية الكريمة يرشد إلى الثراء الروحى، والخير المعنوى، مما فاز به الرسول ﷺ إن الغنى هو الدرجة العليا التى نالها سيد الأنبياء، حين عرج إلى السماء ليلة الإسراء، حين بلغ سدرة المنتهى، ورأى الجلال والبهاء، إذ يغشى السدرة ما يغشى! ما كذب الفؤاد ما رأى! مازاغ البصر وما طغى! أفتمارونه على ما يرى! إن رسول الله بشر لا كالبشر، كما تقولون إن الياقوت حجر، ولكنه لا كالحجر!

وأخذ القوم انجذاب وجدانى، فظلوا يهللون ويكبرون! حتى إذا هدأت العاصفة الروحانية قال الشيخ وقد رفع يده إلى السماء، سأدعو فأمنوا علىَّ، ثم استهل يقول:

اللهم لولا عطاؤك لكنا من الهالكين، ولولا قضاؤك لكنا من الفائزين، إلهى ما أطعناك حتى رضيت، وما عصيناك حتى قضيت، أطعناك بإرادتك والمنة لك علينا، وعصيناك بتقديرك والحجة لك علينا، فبوجوب حجتك، وانقطاع حجتنا إلا ما رحمتنا، وبفقرنا إليك، وغناك عنا، إلا ما كفيتنا، ربنا إننا ظلمنا أنفسنا، فاغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا فى أمرنا، أحاط علمك بجميع المعلومات، وعلت قدرتك على جميع المقدورات!

وأذن المؤذن، فخشعوا للأذان، وقاموا إلى الصلاة!

وانتهت الصلاة، وخفّ الشيخ لمجلسه، فرأى أناسا لم يعهدهم من قبل، ورأى فى ملامحهم ما يدل على الاعتراض، إذ رأوه شيخا غريبا دخل الإسكندرية فانتزع مكانتهم، وهم من أدعياء التصوف، وشاهدوا التفاف العامة والخاصة من حوله، فأرادوا أن يحرجوه بأسئلة تثبت خروجه عن المتصوفين فى ملبسهم ومأكلهم، وما يعتبرونه من سمات القوم! وقد فكر الشيخ مبتسما فيمن وفدوا عليه غاضبين، ولم يطل الموقف، حتى وقف شيخ منهم يلبس المرقعات المهلهلة، وتقدم حتى حاذى الشيخ، فلمس جبته الصوفية الجميلة، ذات المرأى النظيف، وصاح به ياشيخ: أهذه ملابس شيخ صوفىّ؟

فنظر الشيخ متفرسا، وقال: هل للصوفى ملبس خاص؟ فقال: نعم، انظر إلى ملبسى المتواضع، وانظر إلى ثوبى المهلهل؟

فعاجله الشيخ يقول بصوت مرتفع! ملبسى الحسن النظيف، يدعو الناس إلى أن يأخذوا منّى، فأنا غنى عنهم بفضل الله، وملبسك المرقع المهلهل يدعو الناس إلى أن يعطوك، فأنت تستعين به على الحاجة! فأى الملبسين أجدر بالمسلم، ملبس المعطى أم ملبس الآخذ!؟

فبهت المعترض وجلس! وانتهز الشيخ هذه السانحة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: انظروا إلى قول الله عز وجل **﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾** الأعراف: آية ٣٢، ياقوم إن الله قد قال هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا، ومعنى ذلك أن المؤمن لا يسرف فى ترك الدنيا فتغشاه ظلمتها، وهو محتاج لها لا محالة، فيرجع إلى معانقتها أشد ما يكون اشتياقا، وهذا هو الانحراف! اعرف الله ياعبدالله، وكن كيف شئت متى اجتنبت المحرمات!

فتبسم أحد السامعين من الوافدين وسأل الشيخ وكأنه يعترض عليه!!

ومن أين يجىء للصوفى هذا الرزق الواسع فيلبس الصوف، ويركب الخيل، ويتعطر بالطيب كما تفعل ياأبا الحسن؟

فقال الشيخ: أنا أزرع الأرض بيدى، وأتاجر فى الحيوان، ويصلنى الرزق من باب شريف فآكل مما يباح، وألبس مما يتاح فماذا فى هذا؟

قال المعترض: إذا قضيت وقتك فى الزراعة والتجارة، فأين تجد من الوقت ما تتجه به إلى الله عابدا مبتهلا؟

فأجاب الشيخ على الفور: العمل عبادة كالصلاة والصوم، إذا حرثت الأرض فأنت عابد، وإذا دخلت المتجر مكتفيا بالكسب الحلال، فأنت عابد، كل أوقات المؤمن عبادة، إذا كانت فى حدود ما أحل الله!

بدت البشاشة على وجوه الوافدين، وقد اقتنعوا بما قال، فأقبل أكثرهم على يد الشيخ يقبّلها، ومنهم من همَّ باحتضانه، وانقلب المعارضون فى لحظة عين إلى مؤيدين، فارتاح الشيخ لما رأى وحمد الله على ما وفق، ثم رأى فتى يهم بالكلام، ولا يتسرع بالقول، فعرف أنه يريد أن يسأل، فاستدناه، وقال له قل مافى صدرك يابنى، فلابد للمحزون أن ينفث!

فتشجع الفتى وقال: إنى أكابد ما أكابد فى الدعوة إلى الله! حتى اعتقلت بضعة أيام، فهل لقى الشيخ فى شبابه صعوبات تعترضه كما اعترضتنى من قبل!

قال الشيخ: الحديث عن النفس ثقيل يابنى إذا كان فى مجال المباهاة! ولكنه خفيف مقبول إذا كان فى مجال العظة والاعتبار، ولن أتحدث عن جميع ما لاقيته، فذلك ما يمضى به القول إلى غير انتهاء. ولكنى سأكتفى بمثل واحد أوجزه ولا أطيل!

فتطلع القوم إلى أبى الحسن، وقد نظر إلى وجوههم المستبشرة، فسره أن يجد منهم هذا الإقبال، وهم بعدُ ضيوف غرباء!

ثم ابتدأ بالحمد والثناء على الله كعادته، وانطلق يقول:

من أصعب ما لاقيت فى هذه الحياة، موقف ابن البراء منى، وهو عالم تونسى، وقاضى الجماعة بها، وصاحب الأمر لدى سلطان تونس أبى زكريا، وموضع الحظوة منه، فقد رأى إقبال الناس على مجلس وعظى، وسعى العلماء فى

تونس إلى لقائى، وتدوين كل ما أنطق به فى الدرس، ثم علم ازدحام الناس حولى إذا مشيت فى الطريق، ولم أكن قد دعوتهم إلى ذلك، ثم إنى لا أقدر على منعهم، فدعا قضاة المدينة وأصحاب العلم فيها، يسألهم عن أمرى، فكلهم أجاب بما يدل على التقدير، وحاول أن يثير الفتنة باعتراضاتهم علىّ فى مجالس الدرس، فقالوا له: إنهم تلاميذ بالنسبة إليه، وانفض المجلس على غير مايريد!

لقد قال ابن البراء فى نفسه: إن سلطان تونس إذا جلس إلى الشيخ، ورأى علمه وتقواه فسيعينه قاضى الجماعة، أى قاضى القضاة، وسأنبذ بالعراء، وإذا فلابد من مكيدة، ومن ثم فقد سارع إلى السلطان يخبره عنى مما لم يكن يطرأ على بال أحد، إذ زعم أنى أريد ملك البلاد بما أجمع من أعداد، ومايسير خلفى من حشود، وأننى دسية لحاكم أجنبى، يعادى السلطان، واجتمع السلطان بى، واطمأن إلى دينى واستقامتى! ولكن ابن البراء دبر شهودا قالت الكذب، فأثارت غضب السلطان، وأمر باعتقالى!

وشاء القدر أن تموت جارية للسلطان كانت موضع الحظوة من نفسه، ثم تلاها نشوب حريق فى منزله فحار فى أمره، ودنا منه أحد أصدقائه، فقال له: لقد ظلمت الرجل واعتقلته دون جريرة، فإذا أطلقته فقد رفعت الظلم عن إنسان مستقيم، ويكون فى ذلك، صلاح أمرك. لأن الله مع المحسنين، واستجاب السلطان فأطلقنى، وخرجت كارها الإقامة، فارتحلت إلى مصر، ولم تهدأ مكيدة ابن البراء، إذ كتب إلى أولى الأمر فى مصر يحذرهم منى ويخبرهم أنى أثرت الفتنة فى تونس، وخرجت منها طريدا، ورانت الشبهة على قلب السلطان المصرى كما رانت على قلب السلطان فى تونس! وفرج الله آت لا محالة! فقد حدثه المخلصون فى أمرى فأطلقنى من اعتقال مكثت فيه بضعة أيام! والحديث يطول! فلأكتف بهذا؟

قال أبو العباس المرسى يستدرج الشيخ للحديث:

هذه بعض أنباء المحن، والله يجعل بعد العسر يسرا، فهل لنا أن نسمع عن يوم بهيج لقيت فيه سرور النفس وانتعاش الفؤاد.

قال أبو الحسن، هيه ياأبا العباس! سألت ولابد أن أقول: كان أسعد أيامى فى واقعة المنصورة حين هاجمها لويس التاسع بجيشه الكثيف، ورأيت أن أسير مع إخوانى العلماء، شيخنا العز بن عبدالسلام، ومجد الدين القشيرى، ومحيى الدين ابن سراقة، ومجد الدين الإخميمى إلى حومة المعركة، لنشجع المحاربين، ونتلو من آيات الجهاد ما يدفع إلى الكفاح! وكان شيخنا العز يقرأ سورة الأنفال، وكنا نرددها وراءه أملا فى أن يحقق الله النصر كما تم فى بدر! ورأيت أثناء المعركة رؤيا منامية! رأيت نورا على هيئة مصابيح يتألق فى الجو، ويمضى إلى جهة النيل فى جزيرة الورد بالمنصورة، والناس مبتهجون يكبرون، فعلمت أن النصر قادم! وبشرت إخوانى العلماء، فتفاءلوا، وتحقق الفوز المبين! ان يوم الفوز أسعد الأيام!

ثم رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم إنا نسألك إيمانا دائما، وقلبا خاشعا، وعلما نافعا، ويقينا صادقا، ونسألك دوام العافية، والشكر على العافية، والغنى عن الناس! اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها، فذكرنا بالخوف منك قبل هجومنا عليها، واحملنا على النجاة منها، والكراهة لها ياأكرم الأكرمين!

وسكت الشيخ بعد الدعاء، فعلم القوم أن المجلس قد انتهى، وتهافتوا على يده لاثمين،! ثم تهيأ أبو الحسن إلى المسير!

فقيه المتكلمين ومتكلم الفقهاء: أبو منصور البغدادى

نسبه:

أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى - هكذا ذكره ابن كثير.

أو هو الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن محمد البغدادى - كما سجله ابن خلكان.

وبدأ الذهبى ترجمته بقوله:

ابن طاهر، العلامة البارع المتقن الأستاذ أبو منصور البغدادى.

نشأته وحياته:

نشأ فى بغداد، ونزل خراسان، وذهب مع أبيه إلى نيسابور، واختتم حياته فى إسفرايين وبها دفن عام ٤٢٩ هجرية - ١٠٣٧م.. وله حظ وافر من فنون العلم المختلفة، فهو فقيه شافعى، ومن أئمة الأصول الفقهية والكلامية، وكان ضليعا فى علم المواريث، وأديبا لغويا وشاعرا، واشتهر فى علم الحساب..

أ. د. محمد المسير

قال عنه ابن خلكان: صنف فى العلوم، وأربى على أقرانه فى الفنون، ودرس فى سبعة عشر فنا.

شيوخه وتلاميذه:

من أهم شيوخ البغدادى - أبو إسحاق الإسفراييني، الفقيه الشافعى المتكلم الأصولى، الذى وصف بأنه أحد من بلغ حد الاجتهاد من العلماء لتبحره فى العلوم واستجماعه شروط الإمامة.. ولما توفى أبو إسحاق الإسفراييني عام ٤١٨ هجرية جلس مكانه أبو منصور البغدادى، وتصدر للإملاء والفتوى..

ومن أكبر تلاميذ البغدادى - أبو بكر البيهقى الذى وصف بأنه أوحد زمانه، وفرد أقرانه فى الفنون، وكان من أكثر الناس نصرا لمذهب الشافعى، وقال فى حقه إمام الحرمين: ما من شافعى المذهب إلا وللشافعى عليه منة، إلا أحمد البيهقى فإن له على الشافعى منة..

ثناء العلماء عليه:

أثنى العلماء كثيرا على أبى منصور البغدادى، قال عنه ابن خلكان:

كان ذا مال وثروة أنفقه على أهل العلم والحديث، ولم يكتسب بعلمه مالا..

وقال الذهبى:

يضرب به المثل، وكان رئيسا محتشما. مثريا.. ونقل الذهبى عن أبى عثمان الصابونى قوله:

كان الأستاذ أبو منصور من أئمة الأصول وصدور الإسلام بإجماع أهل الفضل، بديع الترتيب، غريب التأليف، إماما، مقدما، مفخما.

مؤلفاته:

ذكر بروكلمان آثار البغدادى على النحو التالى:

١ - كتاب الناسخ والمنسوخ.

٢ - كتاب الفرق بين الفرق.

٣ - كتاب الملل والنحل.

٤ ـ كتاب أصول الدين.
٥ ـ كتاب تفسير أسماء الله الحسنى.
٦ ـ فضائح القدرية.
٧ ـ كتاب فى المساحة.
٨ ـ التكملة فى الحساب.
٩ ـ تأويل المتشابهات فى الأخبار والآيات.

نماذج من فكره:

لأبى منصور البغدادى كتاب يسمى «أصول الدين» يشرح عقيدة الأشعرية فى خمسة عشر أصلا، تشمل التوحيد والنبوات والإمامة وأحكام الفرق الأخرى.

والكتاب يمثل الفكر الكلامى الأشعرى الذى يجمع بين العقل والنقل، ويناقش مذاهب الفلاسفة وقضايا السفسطة والجواهر والأعراض، ومسائل الحس والنظر.

وفى مسألة حدوث العلم يستعرض جميع الاتجاهات الفكرية فى حركة الأرض والكواكب، ويختار وقوف الأرض، وينقل عن أصحابه أن الله تعالى وقفها لا على جسم وليس الهواء المحيط بها حاملا لها، وأنه يجوز وقوف كل جسم لا فى مكان!!

وتوالت بعد ذلك مباحث حول صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، ثم انتقل إلى النبوات وذكر إجماع أصحاب التواريخ من المسلمين على أن أعداد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا كما وردت به الأخبار الصحيحة!!

ولسنا نعرف صحة هذه الأخبار ولا ندرى من أين أتى البغدادى بهذا الإجماع..

ثم تكلم عن تشريعات الإسلام ما اتفق عليه وما اختلف فيه، وبيَّن أن إنكار ما اجتمعت الأمة عليه عن نص من القرآن والسنة ـ كفر، وأن مخالفة شىء مما اختلف فيه سلف الأمة ليس كفرا.

وأتبع ذلك بالحديث عن أحكام التكليف والأمر، ثم وصل إلى أحكام العباد فى المعاد والبعث وما يعاد من الأجسام الأرواح والحيوانات، وحكم الأطفال ومن لم تبلغه دعوة الإسلام، وبيان من يقطع بإيمانه من أهل الإيمان.

ثم شرع فى أحكام الإمامة وشروط الزعامة ونقل عن الجمهور الأعظم من أهل السنة والمعتزلة والخوارج أن طريق ثبوت الإمامة الاختيار من الأمة باجتهاد أهل الاجتهاد منهم واختيارهم من يصلح لها، وأنه كان جائزا ثبوتها بالنص، غير أن النص لم يرد فيها على واحد بعينه.

فصارت الأمة فيها إلى الاختيار..

وقسم البغدادى دار أهل الأهواء إلى قسمين:

١ ـ كل دار غلب عليها بعض الفرق الضالة ينظر فيها فإن كان أهل السنة فيها ظاهرين يظهرون السنة بلا خفير ولا جوار من مجير، ولا خوف على النفس والمال فهى دار إسلام، واللقيط فيها حر مسلم، لا يسترق، ويجب تعريف اللقطة فيها..

٢ ـ إن لم يقدر أهل السنة على إظهار الحق إلا بجوار أو مال يبذلونه فهى دار حرب وكفر، واللقيط فيها كاللقيط فى دار الحرب، وما يوجد فيها فهو فىء يخمس!

الفرق بين الفِرق:

سجل البغدادى فى كتابه هذا آراء الفرق الإسلامية وحفظ لنا تراثا ضخما لهذه الجماعات وقد التزم البغدادى بنص العدد الوارد فى حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة فأوقعه ذلك فى قبض وبسط وتكلف وعسر.. فأخرج فرق الفقهاء الذين اختلفوا فى فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين، كما أخرج عن دائرة الإسلام فرق الباطنية وغلاة الروافض والخوارج، ثم إنه دمج بعض الفرق فى بعض.

وأفتى البغدادى بأن المعتزلة والخوارج والرافضة الإمامية والزيدية والبخارية والجهمية والضرارية والمجسمة من الأمة فى بعض الأحكام، وهو جواز دفنه فى مقابر المسلمين وفى أنه لا يمنع حظه من الفىء والغنيمة إن غزا مع المسلمين، وفى أنه لا

يمنع من الصلاة فى المساجد.

وليس من الأمة فى أحكام سواها، فلا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه، ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية..!!

ولا ندرى ماذا أبقى البغدادى لهؤلاء من إسلام؟!

لقد كان البغدادى مسرفا فى التكفير.

وكان البغدادى دقيقا وعميقا فى عرضه للباطنية وأساليبهم وزعمائهم ودعوتهم ومآربهم، الأمر الذى يجمعهم اليوم مع الماسونية الحديثة والصهيونية العالمية فى سعيها للسيطرة على العالم، وإخراج الناس عن أديانهم، والزج بهم فى متاهات الحيرة والقلق.

وفى ختام هذا الكتاب حدد البغدادى أصول أهل السنة التى اجتمعوا عليها، وهى:

● التبرى من القدر والاعتزال والتشبيه والتعطيل.

● إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار، والحشر من القبر، وسؤال القبر وعذابه ونعيمه، وإثبات الحوض والصراط والشفاعة وغفران الذنوب دون الشرك.

● كلام الله صفة أزلية غير مخلوق ولا محدث ولا حادث.

● دوام نعيم الجنة على أهلها، ودوام عذاب النار على الكفرة.

● إمامة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وحسن الثناء على السلف الصالح.

● وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة وإجماع الصحابة.

● من مات حتف أنفه أو قتل فإنما مات بأجله.

● جواز المسح على الخفين.

● من أكل شيئا أو شربه فإنما تناول رزقه حلالا كان أو حراما.

● تحريم المتعة.

● الإيمان برفع عيسى إلى السماء، ونزوله إلى الأرض بعد خروج الدجال.

● وقوع الطلاق الثلاث.

● الحوادث قبل حدوثها لم تكن أشياء ولا أعيانا ولا جواهر، ولا أعراضا.

● وجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية.

ونلاحظ أن بعض الآراء التى ذكرها البغدادى لأصول أهل السنة يمكن مناقشتها ولا تعد ركنا من أركان الدين، ويجوز حولها الخلاف والاجتهاد.

آراؤه الفقهية:

ساق السبكى نماذج من آراء أبى منصور البغدادى فى الفقه منها:

● التسمية المسنونة فى الوضوء عند غسل الكفين هى: بسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله ﷺ.

● لا تشترط الطهارة فى الصلاة على الجنازة.

وعلق السبكى قائلا: وفى مسألة الغسل وجوه شهيرة، أصحها وجوب الغسل.

وفى هامش الطبقات الكبرى ذكر المحققان أن لأبى منصور البغدادى كتابا فى نقض ما عمله أبو عبدالله الجرجانى فى ترجيح مذهب أبى حنيفة، وعمل البغدادى جاهدا لترجيح مذهب الشافعى.

ولكن ابن الصلاح قال:

وكل واحد منهما لم يخل كلامه عن ادعاء ما ليس له، والتشبع بما لم يؤته، مع وهم كثير أتياه.

أهم المراجع:

١ ـ الأعلام ـ الزركلى ـ المجلد الرابع ص٤٨.

٢ ـ أصول الدين ـ أبو منصور البغدادى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير جزء ١٢ صفحة ٤٤ مكتبة المعارف ـ بيروت.

٤ ـ تاريخ الأدب العربى ـ بروكلمان ـ القسم الرابع صفحة ٢٤ ترجمة د. محمد عونى وآخرين.

٥ ـ سير أعلام النبلاء ـ الذهبى ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى جزء ١٧ صفحة ٥٧٢ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٦ ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ السبكى. جزء ٥ صفحة ١٣٦. تحقيق محمود محمد الطناحى وعبدالفتاح محمد الحلو.

٧ ـ الفرق بين الفرق ـ أبو منصور البغدادى ـ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد.

٨ ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ جزء ٣ صفحة ٢٠٣ تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.

دور الصوفية الصالحين فى مؤازرة السلطة ومقاومة الفساد

كانت للمجاهد الصوفى (سهل التسترى) جهود ضخمة ضد جماعات المبتدعة المارقين أدعياء الصلاح والزهد الذين يطلبون الدنيا - مع التظاهر بالزهد - من أخس الطرق، وأسوأ السبل، وقد أصدر كتابا عنوانه: «المعارضة والرد على أهل البدع وأهل الدعاوى فى الأحوال»(١).

وقد وقف كثير من الزهاد فى مواجهة موجات الفساد والمنكر والنفاق. وللتسترى فى كتابه (التراث الصوفى) كلام طيب فى هذه المجالات، ومنه قوله «واعلموا يقينا أنكم لن تجدوا فى زمانكم من عمل بعلمه إلا ما شاء الله، وكل من كان أكثر علما كان أسوأ حالا»، قيل: وكيف ذلك؟ ولم صار هكذا؟ قال: «لأنهم صيروا علمهم مأكلة لحم، أو طلب رياسة، أو متاع الدنيا، أو رياء وسمعة، وتركوا الأمر الأول، وآثروا الدنيا على الآخرة»(٢).

أ.د/ عبدالحليم عويس

ويقول التسترى أيضا: «سيكون فى آخر الزمان العلماء ثلاثة أصناف: صنف منهم عرفوا المنكر فأنكروه بقلوبهم، وقوم منهم عرفوا المنكر فيهم فخالطوهم عليه، وقوم عرفوا المنكر فأنكروه بالعلم جهدهم، وهؤلاء أعز من الكبريت الأحمر(٣).

وقد كان الإمام الحسن البصرى رضي الله عنه إماما فى باب تغيير المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد كان يفضل سياسة تغيير المنكر بأقل قدر ممكن من الخسائر؛ لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، فلهذا كان يقول للناس:

«إن الحاكم الظالم إما أن يكون عقوبة من الله، والعقوبة لا ترد بالثورة عليها، وإما أن تكون بلاء يستأهل الصبر حتى يحكم الله».

وحين سنحت للحسن البصرى الفرصة ليعظ الوالى ابن هبيرة نصحه بأحكم قول وأشجعه على خلاف مداراة صاحبيه فى نصيحة ابن هبيرة وهما: ابن سيرين والشعبى. ومن الطريف أن ابن هبيرة أعطى الحسن أعطية أكثر من زميليه مع أنهما قالا له قولا لينا، فقال زميلاه تعليقا على ذلك: سفسفنا له فسفسف لنا(٤).

وعلى خُطى الحسن البصرى كان الفضيل بن عياض مع خلفاء بنى العباس نصحا وتوجيها.. وكان يقول: لو أن لى دعوة مستجابة ما صيرتها إلا فى الإمام (يقصد أن فى صلاح الإمام صلاحا للعباد والبلاد).

وحكايات الفضيل بن عياض مع هارون الرشيد عديدة ومتنوعة، وعندما قال له هارون الرشيد: عظنى، قال له الفضيل: ماذا أعظك؟ هذا كتاب الله بين الدفتين: انظر ماذا عمل بمن أطاعه وماذا عمل بمن عصاه؟.. إنى رأيت الناس يغوصون على النار غوصا شديدا ويطلبونها طلبا حثيثا.. أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها. فقال

له هارون: عُدْ إليَّ، قال الفضيل: لو لم تبعث إليّ لما أتيتك وإن انتفعت بما سمعت منى عدت إليك.. وقد قال له الرشيد يوما: ما أزهدك فقال له الفضيل أنت أزهد منى فقال الرشيد وكيف ذلك قال الفضيل لأني أزهد فى الدنيا، وأنت تزهد فى الآخرة، الدنيا فانية والآخرة باقية(٥).

وقد كان (لذى النون المصرى) مواقف أيام الخليفة المتوكل العباسى، كما كانت (لحاتم الأصم) مواقف أيام الرشيد أيضا. وقد رفض (سهل التسترى) أن يعالج الحاكم (ابن الصفار) حتى يرد كل مظلمة للناس عنده، ثم لما عالجه عرض عليه مالا وثيابا فلم يقبلهما(٦).

وقد كانت للإمام أبى حامد الغزالى مواقف رائعة فى الثبات على الحق والجهر فى وجه المنكر، دون أن يخشى فى الله لومة لائم.. ومن ذلك نصحه لأحد ملوك خراسان، فقد قال له: يا أسفا! إن رقاب المسلمين كادت تسقط بالمصائب ورقاب خيلك كادت تسقط بالأطواق الذهبية. كما كتب الغزالى إلى أمير مدينة طوس بخراسان يقول له: «اعلم أن مدينة طوس أصبحت خرابا بسبب المجاعات والظلم، وإن دعاء المدينة (طوس) مجرب بالخير والشر.. فاتق الله».

وقد كانت للشيخ الجيلانى مواقف مع بعض الخلفاء، وعندما ولى الخليفة المقتفى قاضيا ظالما قال له من فوق المنبر: «وليت على المسلمين أظلم الظالمين، ما جوابك عند رب العالمين أرحم الراحمين».. فارتعد الخليفة وبكى وعزل القاضى الظالم»(٧).

وعلى الدرب نفسه من الجهاد بالكلمة والأمر بالمعروف، كان أبو الحسن الشاذلى، الذى كانت له مواقف مع السلاطين كثيرة مشهورة.

وقد كان للصوفية فى اليمن خلال القرنين السادس والسابع الهجريين أثرهم البالغ فى تغيير نظام الحكم وأسلوبه.

تغيير المنكر بأقل قدر من الخسائر لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة

(من آراء الإمام الحسن البصرى)

والمؤرخون يذكرون تلك الصداقة الوطيدة بين مؤسس الدولة الرسولية الملك المنصور بن عمر بن على بن رسول (٦٢٩ ـ ٦٤٧هـ) وبين الفقيه الصوفى محمد بن أبى بكر الحكم (م: ٦١٧هـ) وصاحبه الصوفى محمد بن حسين الجلينى (م: ٦٢١هـ)، ويقال إنهما اللذان قويا عزمه فى الاستيلاء على الحكم بعد مشاهدتهما تعنت نظام الحكم السابق وفساده، وبهذا تدين الدولة الرسولية للصوفية الصالحين فى ظهورها(٨).

وأيا كان الأمر، فقد اجتهد كثير من الصوفية فى تغيير الأحوال وتربية أنفسهم وذويهم، وفى الإصلاح الاجتماعى بالوسائل الحكيمة.. وقد وجدوا أن من بين منافذ التغيير الاجتماعى نصح الحكام وتوجيههم وهو أمر يتطلب صدقا مع الله وشجاعة لا يملكها إلا الزاهد فى الدنيا(٩).

وقد كان الطابع الروحى بارزا فى فكر الفيلسوف المجدد والمؤسس الفكرى والروحى لدولة باكستان (محمد إقبال) صاحب فلسفة الذات المسلمة.

وقد عرف «إقبال» حقيقة الإنسان وقيمته فأراد أن يلقنه درس الإنسانية الحقة بما تنطوى عليه من جانب إلهى، وقد دعا الناس إلى أن يتخلقوا بأخلاق الله، وأن يكتسبوا صفاته حتى يكتب لهم الخلود..

«وهنا تصبح العقبات والمشكلات فى طريق الرقى الروحى للإنسان لا شىء، فلا الزمان ولا المكان ولا العلم المادى بأسره، ولا الشيطان نفسه بقادر على أن يثنى الإنسان عن عزمه على الرقى الروحى الدائم وشوقه إلى الاتصال بالحقيقة الخالدة والوصول إلى الله(١٠).

اجتهد كثير من الصوفية فى تغيير الأحوال وفى الإصلاح الاجتماعى بالوسائل الحكيمة

وكما يقول أستاذنا الإمام أبو الحسن الندوى: فقد تربى إقبال فى مدرستين إحداهما تقليدية هى مدرسة الشهادات، أما المدرسة الأخرى فهى مدرسة توجد فى كل زمان، وهى أقدم مدرسة على وجه الأرض، إنها مدرسة داخلية تولد مع الإنسان فيحملها الإنسان معه فى كل مكان هى مدرسة القلب والوجدان، وهى مدرسة تشرف عليها التربية الإلهية، وتمدها بالقوة الروحية(١١)، ومعلمو هذه المدرسة يتمثلون فى الإيمان والحب الجارف للرسول ﷺ والقرآن بما له من مآثر لا توجد إلا فيه(١٢).

الهوامش:

١ ـ نشرة الدكتور محمد كمال جعفر بالقاهرة، سنة ١٩٨١م.

٢ ـ سهل التستري: التراث الصوفى ٩٣/٢، القاهرة، ١٩٨٦م، بتحقيق محمد كمال جعفر.

٣ ـ من التراث الصوفى ١٣٥/٢.

٤ ـ انظر الحلية ١٤٩/٢ نقلا عن الدكتور أبى اليزيد العجمى (الأصول الفكرية للجانب الاجتماعى فى التصوف الإسلامى) رسالة دكتوراه بدار العلوم ص٣٤٥، جامعة القاهرة.

٥ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ترجمة رقم ٥٠٤.

٦ ـ د. أبو اليزيد العجمى الأصول الفكرية للجانب الاجتماعى فى التصوف الإسلامى (رسالة دكتوراه) ص٢٥١.

٧ ـ المرجع السابق ص٣٥٠.

٨ ـ المرجع السابق، ص٣٥٥.

٩ ـ أبو اليزيد العجمى: الأصول الفكرية للجانب الاجتماعى فى التصوف الإسلامى (رسالة دكتوراه بدار العلوم ص٣٥.

١٠ ـ د. محمد السعيد جمال الدين: رسالة الخلود لإقبال، المقدمة. وانظر د. أبو اليزيد العجمى: مجلة المسلم المعاصر، عدد ٣٣، الكويت، دراسة عن الزهاد المسلمين.

١١ ـ روائع إقبال ص٢٥، وما بعدها، ط الكويت، ١٩٧٨م.

١٢ ـ المكان السابق.

العقاد والتفكير فريضة إسلامية

نظرة إلى أم القضايا

«ولقد كرمنا بنى آدم..» الإسراء: آية ٧٠. هذه آيةٌ قرآنيةٌ بيّنة، أنزلها المولى - عز وجل - من فوق سبع سموات لتُعلى من قدْر الإنسان وترفع شأنه. إذ أسبغ عليه سبحانه من فضله - دون سائر مخلوقاته - نعمة «العقل»، وهى من أجلّ النعم وأعظمها على الإطلاق.. ذلك أن:

● «العقل» هو مناط التكليف، الذى جعل الإنسان أهلا لحمل الأمانة!

● و«العقل» هو الذى يميّز الطيب من الخبيث، ويعلم الحلال والحرام، ويفرّق بين الحق والباطل!

كمال عبدالوهاب

● وأيضا «العقل» هو أداة التفكير الإنسانى، من حيث هو بحثٌ وتدبير، وفحصٌ وتقدير.. ومن ثمّ اختيارٌ وتقرير!

ولكن.. هل هناك من تصادم أو تضارب بين الفكر والدين.. أو بمعنى آخر بين العقل والإيمان؟.. بالقطع لا، بل العكس هو الصحيح..

- فـ«العقل» - كما ألمحنا - هو وسيلة استدلال.. يقترب من كل شىء فى حذر وشك، فلا يقبل التسليم بقضية عقيدية ما من غير سند يؤكد، أو برهان يُثبت!.. (هذا السلوك العقلى يفتح الباب -

بعد التثبت - إلى الإيمان الكامل فى يقين).

- أما «الإيمان» فهو تصديق قلب، وإذعان جوارح - بفطرية وعفوية - مهما كان من طيف هواجس أو نزغ وساوس!

(هذه الحالة الإيمانية تدعو الإنسان - وهو ينعم بالصفاء والسلام - إلى التأمل والتفكر والنظر).

إذن ليس هناك من خلاف بين العقل والإيمان، بل هو اختلاف فى طبيعة كلٍّ منهما.. مجرد اختلاف يظهر - فقط - على السطح ويطفو، ولكن فى العمق تلاقٍ وإفضاء!

■■■

وليأذن لى القارئ - إحساسا بالأهمية القصوى لهذا الموضوع - أن أضع أمامه - فى عجالة - نقاطا مركزة وسريعة، هى أشبه بومضات كاشفة تضىء خلفية الموضوع المزمع استعراضه، وذلك قبل أن ننتقل إلى مسرح العرض ذاته!

■■■

● لا أكون مغاليا إذا قلت: إن الأزمة التى تواجه أمتنا الآن، هى - فى صميمها - أزمة فكرية!

● إن واقع العالم الإسلامى - الآن - يعكس حالة من فقر الفكر أو فكر الفقر (إذا جاز لى هذا التعبير)، وهى حالة تجعله فى حيرة وحرج، بين رؤية ضيقة وغائمة يؤمن بها ولا يجد لها بديلا، وبين فكر مشوّش جامد وعاجز لا وسيلة له إلا التقليد والتلفيق وعيش العالة على فكر الآخرين وإنتاجهم.

● تأثر الفكر الإسلامى بما وقع فيه العقل المسلم من أخطاء فادحة تمثلت فى إهدار طاقاته بالخوض فى الغيبيات والإلهيات والسفسطات الفلسفية. لقد تخلى هذا العقل - قسرا أو طوعا - عن دوره الحيوى المأمول فى الفرز والتطوير والإضافة.. ولنا أن نسأل:

أين دور العقل (مثلا) :

- فى تنقية الماضى من موروثاته المعوّقة؟!..

- وفى التعامل مع الحاضر بمشكلاته الضاغطة؟!..

- وفى الاستعداد للمستقبل بتحدياته الماثلة.. والمتجددة؟!

بل أين دور العقل - قبل ذلك أو بعده - فى تأسيس منهجية علمية مفتقدة فى دراساتنا الاجتماعية الإسلامية؟!.. لقد تخلى هذا العقل المسلم - كما أشرت - عن دوره الأصيل فى بناء الإنسان، صانع العلم والثقافة والفن.. صانع الحضارة والعصر!

● إذا لم يتغير منهج التفكير وتصحح منطلقاته، فسوف يبقى العقل المسلم عاجزا عن النظر الناقد والرؤية النافذة!.. ولذلك لابد من إحداث هذا التغيير المنهجى الحضارى المنشود، ليُخرج الفكر الإسلامى من جزئيته، مع فتح باب الاجتهاد، والقضاء على روح التقليد وانعدام حس المبادأة.

● كانت منهجية العقل المسلم على عهد الصدر الأول منهجية تلقائية متكاملة تستند إلى حكمة الوحى وتوجيهه، مع سلامة اجتهاد هذا العقل. أليس عهد النبوة والخلافة الراشدة شاهدين على ذلك؟!

● من المهم أن نميز بين الانبهار الفكرى الحضارى وما يحمله من سمات الاتكالية والتقليد الأعمى، وبين الاقتباس الفكرى الحضارى النافع. ففى حالة الانتقاء الواعى، فإن المسألة العقيدية وقضية الهوية والمنطلقات والثوابت ليست موضع جدل أو تفريط. أما ماعدا ذلك فيُختار - بعناية - من الحضارات الأخرى، لكى يوضع فى موضعه

الصحيح من قائمة احتياجات الأمة الحضارية، وهو بذلك يمثل انفتاحا مدروسا منضبطا. وهذا هو حال كل تلاقح حضارى ناجح بين الأمم.

● أخيرا.. إن الأمانة فى نقد الذات أمرٌ مؤلمٌ ومر، ولكن ليس لنا منه مفر!.. خاصة وأنه لن يساعدنا أحدٌ إلا بالقدر الذى نساعد به نحن أنفسنا!.. فضلا عن أن الزمن ليس فى صالحنا إن ظللنا - هكذا - نقيم فى نفس البناء الفكرى المتداعى. والقابل للانهيار فى أية لحظة!

■■■

والآن.. وقبيل رفع الستار، نكتفى بهذا القدر من الحديث، فقد طفنا حول الموضوع، لم نقترب منه أكثر فنلامسه وتشدنا تفاصيله، ولم نبتعد عنه كثيرا فيفلت منا ولا نراه!.. بل كنا فى هذا الطواف بين هذا وذاك، نحوم حول كتاب **«التفكير فريضة إسلامية»** للعقاد، تكيفا مع أجوائه وتوجهاته، ومعايشة لأضوائه وظلاله!

■■■

يستهل «العقاد» عرضه بأن يوضح أن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا فى مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به، ولا تأتى الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة فى سياق الآية، بل هى تأتى فى كل موضع من مواضعها جازمة باللفظ والدلالة. ولا يأتى تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد، بل هى تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها إذ هى جميعا مما يمكن أن يحيط به العقل الوازع والعقل المدرك والعقل المفكر.. فمن خطابه سبحانه وتعالى إلى العقل الوازع قوله تعالى:

﴿وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾ المؤمنون: آية ٨٠، **﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾** العنكبوت: آية ٤٣، **﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير﴾** الملك: آية ١٠.

إن هذا الخطاب المتكرر إلى العقل الوازع يضارعه فى القرآن الكريم خطاب متكرر مثله إلى العقل المدرك الذى يقوم به الفهم والوعى، وهما أعمق وأعم من مجرد الإدراك. وكل خطاب إلى ذوى الألباب فى القرآن الكريم هو خطاب إلى هذا العقل المدرك الفاهم. كما جاء فى قوله عز وجل: **﴿لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾** يوسف: آية١١١، **﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾** البقرة: آية ٢٦٩، **﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولى الألباب﴾** البقرة: آية ١٩٧.

أما العقل الذى يفكر ويستخلص من تفكيره زبدة الرأى والروية، فهو الفكر والنظر والبصر والتدبر والاعتبار والذكر والعلم.

﴿قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون﴾ الأنعام: آية ٥٠، **﴿انظر كيف نُصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾** الأنعام: آية ٦٥، **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾** الغاشية: آية ١٧، **﴿مَن إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾** القصص: آية ٧٢، **﴿أفلم يدّبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين﴾** المؤمنون: آية ٦٨، **﴿وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكَّرون﴾** الأنعام: آية ١٢٦، **﴿خلق الإنسان* علمه البيان﴾** الرحمن: الآيتان ٣، ٤.

بهذه الآيات وبغيرها تقررت فريضة التفكير فى الإسلام، وتبين منها أن العقل الذى يخاطبه الإسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويوازن بين الأضداد.

إن الدين الإسلامى دين لا يعرف الكهانة ولا يتوسط فيه السدنة والأحبار بين المخلوق والخالق، ولا يفرض على الإنسان قربانا يسعى به إلى المحراب بشفاعة من ولى متسلط أو صاحب قداسة مطاعة. لا هيكل فى الإسلام ولا كهانة حيث لا هيكل. ودينٌ بلا هيكل أو كهانة لن يتجه فيه الخطاب - بداهة - إلى غير الإنسان العاقل حرا طليقا من كل سلطان يحول بينه وبين الفهم القويم والتفكير السليم.

▪▪▪

ثم ينتقل بنا «العقاد» إلى فصل آخر بعنوان: «الموانع والأعذار». فيذكر أنه حين يكون العمل بالعقل أمرا من أوامر الخالق يمتنع على المخلوق أن يعطل عقله مرضاة لمخلوق مثله، أو خوفا منه.

والموانع التى تعطل العقل من هذا القبيل كثيرة، فمن سلم منها أوشك أن يسلم من كل مانع يحجر على عقله. وهذه الموانع تتجمع فى ثلاثة موانع كبرى هى:

أ - عبادة السلف التى تسمى بالعرف.

ب - الاقتداء الأعمى بأصحاب السلطة الدينية.

جـ - الخوف المهين لأصحاب السلطة الدنيوية.

إن الإسلام لا يقبل من المسلم أن يلغى عقله ليجرى على سنة آبائه وأجداده، ولا يقبل منه أن يلغى عقله خنوعا لمن يسخره باسم الدين فى غير ما يرضى الدين، ولا يقبل منه أن يلغى عقله رهبة من بطش الأقوياء وطغيان الأشداء، ولا يكلفه فى أمر من هذه الأمور شططا لا يقدر عليه. إذ القرآن الكريم يكرر فى غير موضع أن الله لا يكلف نفسا مالا طاقة لها به. **﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾** البقرة: آية ٢٨٦.

إن قوام الأمر كله، بل قوام جميع الأمور فى جميع التكاليف أن النفس تحاسب على ماتستطيع ولا تؤمر بغير ما تطيق.

▪▪▪

وفى انتقالة تالية، نجد «العقاد» يشير فى فصل تحت عنوان: الفلسفة، إلى أن فلسفة (التاريخ، واللغة، والأخلاق، والرياضة،.. إلخ)، وغيرها من أنواع الفلسفات مصطلحات حديثة يراد بها البحث فى النظريات والأفكار التى تقوم عليها تلك العلوم، أو التى تفسر تلك العلوم وتبين وجهتها وغايتها. إلا أن الفلسفة التى نعنيها هنا أعم من الفلسفات الأخرى جميعا، لأنها قد تشملها من وجهة النظر فى الأصول وتجاوزها إلى البحث فيما وراء الحقائق المحسوسة، مما يسمى أحيانا بالبحث فيما وراء الطبيعة أو البحث فى كنه الوجود كله على التعميم.

ويلاحظ فى التاريخ المتواتر أن هذه الفلسفة العامة - فلسفة ما وراء الطبيعة - شاعت فى بعض الأمم القديمة وقل شيوعها فى أمم أخرى. ويلاحظ كذلك أن بلاد الدول الكبار لم تكن بيئات صالحة لنشأة هذه الفلسفة ونبوغ فلاسفتها، وأن الأمر لا يرجع إلى اختلاف درجات الحضارة.

فسر الإسلام هذا الفارق بين الأمم فى عنايتها العامة بالفلسفة فى طريقته العملية حين قامت فيه الدولة بغير كهانة، فكانت دولة الإسلام أرحب الدول صدرا وأسمحها فكرا مع الفلسفة على عمومها، والفلسفة اليونانية فى جملتها.

وتتجلى سعة الدين الإسلامى فى موقف الفلاسفة منه كما تتجلى فى موقف الدين من الفلاسفة. فإن كبار الفلاسفة المسلمين قد خاضوا غمار الأفكار الأجنبية بين يونانية وهندية وفارسية، وعرضوا لكل مشكلة من مشاكل العقل

والإيمان، وتكلموا عن وجود الله ووجود العالم ووجود النفس، وخرجوا من سبحاتهم الطويلة فى هذه المعالم والمجاهل فلاسفة مسلمين دون أن يعنتوا أذهانهم فى التخريج والتأويل. ومنهم من ترجم أرسطو وأفلاطون إلى الإسلام فكرا وتقديرا، فلم يعسر عليه أن يذهب معهما إلى أقصى المدى فى رأى العقل دون أن يخرج من حظيرة الدين.

إن موقف الإسلام من الفلاسفة واضح كل الوضوح، فهو لا يضيق بها لأنها تفكير فى حقائق الأشياء، لأن التفكير فى السموات والأرض من فرائضه المتواترة، ولكن المذاهب الفلسفية قد يظهر فيها ما يضيق بالإسلام ويخالفه حينا، ولا تثريب على عقيدة تخالفها بعض العقول، لأن العقائد لا تطالب بموافقة كل عقل على سواء أو على انحراف، وحسبها من سماحة أنها لا تصد عقلا عن سواه.

ثم يأخذنا «العقاد» إلى فصل جديد تحت عنوان: العلم حيث يوضح أن العلم الذى أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التى يدركها الإنسان بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق من شىء.. ويشمل الخلق هنا كل موجود فى هذا الكون ذى حياة أو غير ذى حياة **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت* وإلى السماء كيف رفعت* وإلى الجبال كيف نصبت* وإلى الأرض كيف سطحت﴾** الغاشية: الآيات ١٧ ـ ٢٠.

فالعلم فى الإسلام يتناول كل موجود، وكل ما يوجد فمن الواجب أن يعلم، فهو علم أعم من العلم الذى يراد لأداء الفرائض والشعائر، لأنه عبادة أعم من عبادة الصلاة والصيام، إذ كان خير عبادة الله أن يهتدى الإنسان إلى سر الله فى خلقه، وأن يعرف حقائق الوجود فى نفسه ومن حوله.

ولهذا قال النبى ﷺ فى فضل هذه العبادة: **«فقيه واحد أشدعلى الشيطان من ألف عابد».**

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء».**

وقال ﷺ: **«من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع».**

إن موقف الإسلام من العلم ـ أو من العلوم عامة ـ يتبين من موقف علمائه المجتهدين فى كل حقبة من تاريخه الذى تعاقبت به الأجيال بين القوة والضعف والنشاط والجمود. فقد مرت بالأمم الإسلامية عصور متخلفة جهلت فيها الإسلام نفسه فجهلت فضل العلم كما جهلت فضل الدين، ولكن الإسلام لم يخل قط تاريخه من أئمة مجتهدين استمدوا حرية الفكر من ينبوع تلك القوة الحيوية التى لا تستنزفها المحن، فحفظوا رسالة هذا الدين ولا فرق بينها وبين رسالة العلم، وأوجبوا على المسلم أن يتعلم حيث وجد العلم، وأن ينظر إلى الحكمة كأنها ضالته، عليه أن يبحث عنها ويجدها «وأينما وجدها فهو أحق بها» كما تعلم من رسول الله ﷺ.

إن موقف الإسلام من العلم ـ كتابا وسنة ـ لا يحتاج إلى بيان، فالآيات تشير، والأحاديث تشرح ـ وهذه ناحية ـ أما من ناحية أخرى (عملية وتطبيقية)، فإن الدين الإسلامى روح ينبث فى الأخلاق والتقاليد إلى جانب النصوص والأحكام، ومن هذا الروح يظهر عمل الدين فى الواقع، وروح الإسلام الذى بثه بين أتباعه يتراءى فى تاريخه الطويل سماحة تعصمهم من تلك النقمة التى انصبت على ألوف من الخلق لاستباحتهم من المعارف ما تحرمه عليهم معتقداتهم الدينية.

وروح الإسلام فى العصور الأخيرة ظاهرة فى موقف المسلمين من العلوم الحديثة، التى عرفت باسم العلوم الأوروبية يوم كانت أوروبا كلها حربا على العالم الإسلامى. فكان خليقا بهذا العداء أن يتمثل فى نفوس المسلمين عداء لكل وارد من القارة الباغية، ولكن علوم الحضارة الأوروبية لم تجد من المسلمين إلا كل ترحيب وتقدير دون إفراط.

إن القرآن الكريم يأمرنا بالبحث والنظر والتعلم والإحاطة بكل معلوم يصدر عن العقول، ولكن ليس من الحق أن نزعم أن كل ما تستنبطه العقول مطابق للكتاب مندرج فى ألفاظه ومعانيه. فإن كثيرا من آراء العلماء التى يستنبطونها أول الأمر لا يعدو أن يحسب من النظريات التى يصح منها ما يصح ويبطل منها ما يبطل.

■■■

ثم يحدثنا «العقاد» فى فصل آخر عن «المعجزة»، فنراه يؤكد على أن الإسلام دين متناسق مستجيب للفهم والموازنة بين الأمور، فهو دين المعجزات فى كل شىء، ولكنه ليس بدين المعجزة التى تفحم العقل ولا تقنعه، لأنه دين العقل فى الأساس.

والإسلام يضع المعجزة فى موضعها من التفكير ومن الاعتقاد، فهى ممكنة لا استحالة فيها على الخالق المبدع لكل شىء، ولكنها لا تهدى من لم تكن له هداية من بصيرته واستقامة تفكيره. فمن مرت به آيات الأرض والسماء، ولم ينظر إليها، ولم يعرف منها دينا خيرا من دين الوثنية، فلن تزيده الآية الخارقة إلا ضلالاً على ضلال!

وقد كان جواب النبى ﷺ لمن يطالبونه بالمعجزات كما جاء فى القرآن الكريم من سورة الحجر: **﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾**، وفى سورة يونس: **﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إنى معكم من المنتظرين﴾**.

إن عقيدة المسلم فى الغيب أنه شىء يعلمه الله ولا يعلمه الإنسان، ولكنه لا يناقض العقل ولا يلغيه. فليس الغيب ضد العقل لو عرفه وانكشف له الغطاء عنه، ولكنه فوق عقل الإنسان. وكأن «العقاد» يريد أن يقول: أنَّى يدرك العقل البشرى القاصر الضعيف عوالم علوية لا نهائية، وأسرارا ربانية كبرى، اختصها سبحانه لذاته وحده، ولم يطلع عليها بشرا؟!

■■■

وبعد.. فقد عشنا مع «العقاد» ودعوته، بل دعوة الإسلام إلى «التفكير» التى حث عليها، وجعلها فريضة واجبة.

لقد رأينا بأعيننا ماذا آلت إليه أحوالنا، عندما تعطلت لدينا ملكة «التفكير»، فصرنا نتعثر فى خطانا، وألفينا أنفسنا - فجأة - فى مؤخرة الركب الإنسانى.. نمد أيدينا طلبا للمساعدة: ● إما توسلا للأخذ بها عونا! ● وإما تسولا بما يوضع فيها عطفا!

ومن هنا .. كانت الدعوة إلى «التفكير»، دعوة حقيقية إلى الحياة الحرة الكريمة.. أليس «التفكير» هو الفاصل بين المذلة والكرامة.. بين التخلف والتقدم.. بل بين أن نكون أو لا نكون؟!

فقط.. ننبه إلى أن العقل مهما بلغ إعجازه، فإن له خطوطا حمراء وحدودا يجب أن يُكبح جماحه عندها ولا يتجاوزها، حتى لا يقع فى خطأ - أو خطيئة - المحظور!.. ذلك أنه ليس من المعقول - مثلا - أو المفهوم أن يفكر المحدود فى اللامحدود، أو يحيط المتناهى باللامتناهى، أو المقيد بالمطلق؟!.. فقط ننبه ولا نزيد!

لماذا أسلم هؤلاء؟

فاطمة الإنجليزية

هى المهندسة: هيلين سام شامبر، المولودة عام ١٩٤٩م بالعاصمة الإنجليزية لأسرة ثرية، وفرت لها تعليما بأرقى المدارس وخصصت لها مربيات على مدى سنوات عمرها إلى أن تخرجت فى الجامعة، حاصلة على البكالوريوس فى الهندسة الإلكترونية، رفضت العمل فى مؤسسات أسرتها، ليس لأن أسرتها كرهت دخولها فى الإسلام بعد تخرجها بقليل، لكن لأنها أرادت أن تعمل فى جو إسلامى، ولنتركها تحكى لنا قصتها مع الإسلام أين وصل بها.

حقوق الإنسان الحقيقية.. فى خاتم الأديان!

أحمد حامد

تقول الإنجليزية هيلين: تعودت من أسرتى أن تستجيب لكل طلباتى، وما كان يمر عام دون زيارة بلاد الشرق الجميلة، وتوقفت فى باكستان كثيرا، وشعرت أن المرأة هناك تتميز بأشياء كثيرة، والإسلام هو الذى ميزها، وأعطاها كل الحقوق، وتعرفت وأنا بالجامعة على زميلة باكستانية، مسلمة، لم تبهرها الحضارة الأوروبية التى يعيشها زملاؤنا فى العاصمة البريطانية، ولم تغير زيها التقليدى، ورحت أتعرف على الإسلام من خلال زميلتى الباكستانية، وبدأت أنضم لأسرتها التى تعيش فى لندن، وتعرفت على عالم الصدق الحقيقى، والأخلاق العالية الرفيعة من خلال تعامل الأسرة مع بعضها، وتعاملهم مع كل الناس الذين يعايشونهم، ومع عشقى للإسلام من خلال هذه الأسرة الباكستانية، إلا أننى قرأت كثيرا عن الإسلام وعاداته وتقاليده، وكتابه وشريعته، واستمتعت برحلة حياة رسوله ﷺ، الذى أرسى قواعد الإسلام ورسخها، وتقول:

الإسلام دين جمع كل القيم والأخلاق ولا سبيل إلى حياة آمنة بدونها

الإسلام فى حقيقة أمره هو الدين الذى يجب أن يعمل به الناس جميعا، ولن يكتب للعالم الاستقرار إلا باتخاذ الإسلام منهجا فى الحياة، فهو الدين الذى جمع كل القيم والأخلاق ولا سبيل إلى حياة آمنة بدون القيم والأخلاق.

وتقول المهندسة الإنجليزية هيلين: أراد الخالق

سبحانه أن يكرم الإنسان، فكان الإسلام ومازال هو الطريق الحقيقى لكرامة الإنسان ـ الرجل والمرأة ـ فقد كانت المرأة قبل الإسلام كما مهملا، وكانت تورث كالأرض والعقار، وجاء الإسلام، ليعطى المرأة حقوقها فى حياة آمنة، تتساوى مع الرجل فى الحياة لأنها شريكته فى الحياة، فهى أمه، وأخته، وزوجته، وأم أولاده، وعليها العبء الأكبر فى تربية الأبناء والتربية السوية، ومن هذا المنطلق كان على المرأة الواجب المقدس فى توجيه الأولاد إلى ما يريده الله للإنسان من حياة آمنة سوية، بعيدة عن التفسخ وعدم الاستقرار، الذى كابدته المرأة وكابده الأبناء قبل الإسلام. فالظلم الذى وقع على المرأة لابد أن يقع بالتالى على الأبناء، ومن ثم المجتمع. والإسلام ورسوله وكتاب الإسلام ـ يريدون مجتمعا صالحا خاليا من الشرور التى ترتكب بسبب انحراف المرأة.

وتقول هيلين: إن الإسلام قدم أفضل الحقوق للإنسان، التى لو اتبعت لفاقت بكثير حقوق الإنسان الوضعية، التى يهرب منها الإنسان، لأنها من وضع الإنسان، لكن لو عرف العالم حقوق الإنسان التى جاء بها القرآن، لسار عليها وتفوق بها على نفسه إذا طبقها.

الكل أمام الله سواء

وتقول هيلين: المساواة فى الإسلام مبدأ شديد الأهمية، فالكل أمام الله سواء، إلا من كان أكثر تقوى، فهو الأقرب عند الله، وكذلك المساواة فى تطبيق العقوبات وأمام القاضى. فهذا رسول الله ﷺ رفض شفاعة فى مخزومية سرقت، وكان حادا فى رفضه إذ قال لأسامة بن زيد:

«أتشفع فى حد من حدود الله..» وقال خاطبا فى الناس: **«إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».**

> **اخترت «فاطمة» اسما لى لأنها كانت أحب بنات الرسول ﷺ إلى قلبه وزوجة على بن أبى طالب رضي الله عنه**

إلى هذا الحد لم يقبل رسول الله ﷺ، المعلم الأول للمساواة فى الحقوق والواجبات، أن يتنازل عن تنفيذ حد من حدود الله حتى لو كانت أحب بناته إلى قلبه وعقله.

والمساواة فى التقاضى شىء شديد الأهمية أيضا، ولأضرب لك مثلا فى ذلك: حينما ذهب يهودى يشكو «على بن أبى طالب» رضي الله عنه إلى «عمر ابن الخطاب» رضي الله عنه، فنادى عمر اليهودى باسمه، ونادى على عليٍّ قائلا: هيا اجلس أمامه ياأبا الحسن. فامتعض على لأنه لم يناده باسمه كما نادى اليهودى باسمه، قائلا: لماذا لم تسو بيننا، لقد فضلتنى عليه، وناديتنى «أبا الحسن» وكان المفروض أن تنادينى «ياعلى».

وتقول الإنجليزية هيلين: إلى هذا الحد كان أصحاب النبى ﷺ يطبقون المبدأ الإسلامى الخطير «المساواة» عليهم ليصيروا قدوة للناس، فى تطبيق حق الله فى مخلوقاته، وحق مخلوقات الله فى وجودها الحقيقى فى هذه الدنيا، بعيدا

عن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

وتقول: الإسلام عطاء لا ينتهى حتى قيام الساعة، فهذا هو الدين القادر الذى يقدم للإنسانية أعظم القيم والمبادئ، ليؤلف بين الأجناس والألوان فى هذا العالم دون تفريق إلا بالتقوى، وفيها فليتنافس الناس جميعا، فالناس كما يقول رسولنا الكريم ﷺ فى خطبة الوداع: **«الناس سواسية كأسنان المشط».**

«كلكم لآدم، وآدم من تراب».

ولأن الله سبحانه وتعالى خلق الناس من أب واحد وأم واحدة قال سبحانه فى سورة الحجرات: **﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾** آية ١٣.

ويقول سبحانه فى سورة النحل: **﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** آية ٩٧.

وتقول هيلين: لقد أبهرتنى المساواة فى الإسلام لدرجة غير عادية خاصة بعد دراستى للإسلام دراسة متأنية، وقراءتى للقرآن بلغته العربية التى تعلمتها على يد زوجى المصرى، الذى جمعتنى به الطائرة من لندن إلى نيودلهى فى إحدى زياراتى المتعددة إلى الشرق الجميل، الذى أحيا فى نفسى كل ما أحببت فى هذا الدين العظيم.

وتقول: ليت العالم كله يتعرف على هذا الدين الذى يؤكد وحدانية الخالق وقوته وانفراده بالخلق وانفراده بيوم تقوم فيه ساعة كل إنسان فى هذا العالم، وباليوم الذى تقوم فيه الساعة، لكن الله يهدى من يشاء من عباده إلى هذا الدين العظيم كما قال فى كتابه الكريم: **﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾** القصص: آية ٥٦.

وتقول: لقد هدانى ربى، وعرفت الإسلام، وأعلنته على الملأ دينا لى اخترته عن اقتناع، غير مكرهة عليه، راضية بكل تعاليمه، مؤمنة بكل الأديان التى مهدت له، ليتم البناء على يد آخر الأنبياء سيدنا محمد ﷺ الذى كان ومازال المثل الأعلى للإنسان الكامل، فقد اختاره الله من بين بنى البشر جميعا ليهدى بالإسلام العالم.

لو عرف العالم حقوق الإنسان التى جاء بها القرآن لسار عليها وتفوق بها على نفسه

وتقول هيلين: لقد أكرم الله الناس، برسول كريم حياته منذ أن كان جنينا معروفة بالطهارة، إلى أن أتم الله عليه النعمة بالرسالة التى جهر بها فواجه الصعاب جميعا، لكن نصر الله لدينه الخاتم ولرسوله الخاتم كان ومازال أقوى من كل العراقيل التى وضعت ومازالت توضع فى طريق الدعوة إلى دين الله الخاتم.

وتقول هيلين: أكرمنى الله بأولاد ثلاثة: محمد، على، حسين، أربيهم مع زوجى على الإسلام وتعاليمه، وقد زاد الله فى كرمه لى بحياتى التى عشتها فى مصر، وبأدائى فريضة الحج أكثر من مرة.

وتقول: حينما أردت تغيير اسمى إلى اسم إسلامى، اخترت اسم فاطمة لأنها كانت أحب بنات الرسول الكريم ﷺ إلى قلبه، وكانت زوجة على بن أبى طالب إمام المتقين.

رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشورى الجزائرى:

علينا التمسك بصحيح الدين

د. محيى الدين عميمور
رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشورى بالجزائر

هو أحد مناضلى ثورة الجزائر الشقيق التى قدمت لشعوب العالم تجربة نضالية غير مسبوقة توجت بنيل الاستقلال الوطنى بعد فترة استعمار امتدت إلى قرن من الزمان و٣٢ عاما..

إنه المفكر الجزائرى محيى الدين عميمور - رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشورى الجزائرى حاليا - وقبلها كان وزيرا للإعلام والثقافة.

كان لمجلة «منبر الإسلام» هذا الحوار حول قضايا الأمة العربية والإسلامية.

حوار/ محسن عبدالفتاح

إننا مطالبون كعرب مسلمين بتأكيد شخصيتنا وانتمائنا ليس فقط بالمظهر ولكن أيضا بالمسلك

■ **كيف كان الحال بالجزائر الشقيق قبل الابتلاء بالاستعمار الفرنسى الاستيطانى الذى امتدت فترة احتلاله أكثر من قرن من الزمان، هل كانت مرحلة من التخلف والفقر والأمية كما أشاع الفرنسيون؟**

- يثبت التاريخ أن الجزائر لم تكن تعرف الأمية فى القرن الثامن عشر وكانت بلدا مزدهرا إلى درجة أنه أقرض نابليون بونابرت آلاف القطع الذهبية ليضمن مرتبات جنده، وكانت فرنسا مدينة للجزائر مقابل محاصيل زراعية فى مقدمتها القمح. ولذلك افتعلت فرنسا حادثة ضرب «داى» الجزائر لسفير فرنسا «بالمروحة» لتبرر غزوها واحتلالها للجزائر عام ١٨٣٠م.

وفى عام ١٩٤٨م أصدرت سلطات الاحتلال الفرنسية تقريرا عن حالة التعليم فى الجزائر أكد أن نسبة من تعلموا الفرنسية بعد قرن وثمانية عشر عاما من

الاستعمار كان ستة فى المائة من مجموع السكان الذين دمرت زواياهم وكتاتيبهم وحرموا من تعلم لغتهم العربية فى محاولة فاشلة لسلبهم انتمائهم الحضارى العربى الإسلامى، والآن شعب الجزائر عربى الهوية مسلم الانتماء كما كان من قبل.

■ **تعيش الأمة العربية والإسلامية هذه الأيام حالة من الضعف لم يسبق لها مثيل، كيف ترون الخروج من هذه الحالة لكى نستعيد مكانتنا بين الأمم الأخرى؟**

ـ هناك حديث عن الرسول الكريم ﷺ يقول: «**لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها**»، إذن علينا لكى نستعيد أمجاد الماضى وانتصارات المسلمين الأوائل الذين فتحوا البلاد ونشروا الإسلام فى الأمصار البعيدة، علينا أن نتمسك بصحيح الدين، وأن نتكاتف وتتقارب الدول الإسلامية بعضها مع بعض لتصبح كالبنيان المرصوص. كما علينا أن نتجاوز عن صغائر الأمور والرؤى الضيقة، ونبتعد عن التشدد والغلو فى أمور الدين التى تنفر المسلم عن دينه وتعطى صورة غير حقيقية عن الإسلام السمح المعتدل العادل الذى جاء كافة للناس.

علينا أن نقترب أكثر فأكثر من الإسلام الحقيقى إسلام الرسول ﷺ والصحابة، وأن نبتعد أكثر فأكثر عن إسلام الدراويش والمتاجرين بالدين، وبالتالى يكون لنا القوة التى تفرض على الآخر احترامنا ونتحاور معه من موقع الندية والاحترام المتبادل.

لابد من الحوار مع بعضنا البعض قبل الحوار مع الآخر وأن نقترب من صحيح الدين ونتمسك بثوابته

لقد شعرت يوما بالفخر والاعتزاز وأنا أرى شيخا من رجال الأزهر الشريف يسير فى عاصمة أوروبية وهو يرتدى اللباس الدينى المميز للجامعة الإسلامية العريقة، ولم يخفه فى الحقيبة كما يفعل البعض ويرتدى لباسا أوروبيا!

إننا مطالبون كعرب مسلمين بتأكيد شخصيتنا والتمسك بانتمائنا ليس فقط بالمظهر ولكن أيضا بالمسلك الذى يعبر عن حقيقة ديننا السمح.

■ **خاض الشعب الجزائرى الشقيق منتصف القرن الماضى تجربة غير مسبوقة للكفاح المسلح، وقدم مليون ونصف المليون شهيد ثمنا لحرية الوطن، ما هى أسس نجاح هذا الكفاح، وكيف استعدتم الهوية العربية والانتماء الإسلامى بعد نيل الاستقلال؟**

ـ خوض أى تجربة نضالية لكى تنجح لابد لها من توافر أسس تنطلق منها أولها وضوح الموقف، ثانيها وضوح الهدف، وحدة الصف تحديد الأولويات، هذه أهم الأسس لنجاح أى تجربة نضالية. هذه الأسس تبناها الشعب الجزائرى فى كفاحه ضد المستعمر الفرنسى لتحرير بلاده وضحى مليون ونصف المليون شهيد بأرواحهم ثمنا للحرية والاستقلال وتحرير البلاد.

لقد نجحنا فى جهادنا الأصغر وتحررت الجزائر من الاستعمار بعد قرن ومائة واثنين وثلاثين عاما من الاحتلال الاستيطانى وبدأ الجهاد الأكبر بعد الاستقلال حيث واجهنا الكثير

من التحديات وأعاق انطلاقنا الكثير من العقبات: وكانت عملية استعادة الهوية الإسلامية واسترجاع اللغة العربية من أهم التحديات التى واجهتنا، وقد بدأت مسيرة استرجاع الهوية واللغة منذ الأيام الأولى للاستقلال وقطعنا شوطا لا بأس به فى السنوات الأولى، ولكن بعد وفاة الرئيس الراحل بومدين تعثرت المسيرة خاصة فترة نهاية الثمانينات حيث افتعلت أحداث كان من نتيجتها صدام بين بعض الشباب المغرر به من قبل تيارات متفرنسة بدعم من قوى خارجية وبين رجال الأمن أدت تلك الأحداث إلى عدم تحقيق النجاح المتوقع، وكان من نتيجة ذلك محاولة استعداء الشعب على مسيرة التقدم المرجو. ولكن مؤخرا ونتيجة لوعى الشعب الجزائرى وكشفه لأبعاد المؤامرة والأهداف الخبيثة التى هدفت لتحقيق التيارات الأجنبية تم محاصرة هذه التيارات المتفرنسة والعملية والداعية للتفرنج وصوتت جموع الشعب الجزائرى لصالح الاتجاه العربى والهوية الإسلامية والتوجه الوطنى، وهذا أكد أن شعبنا الجزائرى العربى الإسلامى الواعى لا ينساق وراء دعاوى التغريب والانسلاخ عن عروبته.

لقد كانت الاستجابة من قبل الشعب الجزائرى بجميع فئاته لدعوى الرئيس بوتفليقة للمصالحة الوطنية استجابة طيبة، أكدت أن القلة التى لم تتجاوب مع هذه الدعوى هى بالتأكيد مستفيدة من وضعية الفرقة والخصام والشقاق. وهذه الدعوى للمصالحة الوطنية التى وجهها الرئيس بوتفليقة مؤخرا مازالت تجد استجابة من بقية الفئات الوطنية، وهذا ما يؤكد أن المؤسسة الحاكمة على الطريق الصحيح.

لكى نستعيد أمجاد الماضى علينا أن نتمسك بصحيح الدين ونتكاتف كأمة إسلامية

■ وماذا عن الحوار مع الآخر، وكيف نحاوره من موقع القوة والندية؟ وهل هناك ضرورة للحوار مع بعضنا البعض قبل الحوار مع الآخر؟

- تماما وكما قلت لابد أن نتحاور مع بعضنا البعض كعرب ومسلمين قبل أن نتحاور مع الآخر، وهذا المؤتمر الذى نحن بصدده الآن هو أحد الجهود المبذولة للاقتراب من بعضنا البعض ونبذ الخلافات التى من شأنها أن تفرق فيما بيننا، وأن يفهم كل منا وجهة نظر الآخر ويحترمها حتى لو كانت مخالفة لرأى أخيه العربى، ونعمل على الاتفاق على ثوابت الدين ونهضة أمتنا، ونبتعد عن القضايا الخلافية التى من شأنها زيادة الفجوة وتعميق الهوة بين أبناء الأمة الواحدة، فكما ترون معى يوجد فى هذا التجمع - وهو شكل من أشكال التفاهم فيما بيننا - مفكرون ورواد ثقافة وأهل دين يتعارفون أكثر، ويتحاورون أعمق، ليخرجوا برؤيا ترتضيها الأغلبية تعبر عن هويتنا الحقيقية وتعرف بإسلامنا السمح أمام العالم، لنواجه الآخر ونحن أكثر قوة بمبادئنا دون تشنج أو تعصب أو أدنى استجداء، ولنسمع له بروح سمحة وصدر رحب وقلوب مفتوحة.

إن من أهم أسباب تعثرنا فى مواجهة الآخر أن هذا الآخر يتعامل مع الأحداث بعد الدراسة

ما وقع بالمنطقة مؤخرا كان تغطية لما يجرى من إبادة لأبناء الشعب الفلسطينى فهذه هى الجريمة الكبرى!

المتأنية العميقة التى تأخذ كل المعطيات بعين الاعتبار، ومن ثم تضعنا أمام طريق مسدود يفرض علينا اتخاذ موقف بعينه كرد فعل انفعالى يحقق أكبر حجم ممكن من أهداف الخصوم والأعداء!

■ ماذا عن الأحداث التى وقعت بالمنطقة مؤخرا وانعكاساتها على القضية الفلسطينية، والوطن العربى بشكل عام؟

- ما يحدث اليوم فى فلسطين لا يماثله إلا جرائم فرنسا الاستعمارية فى الجزائر والتى وصلت إلى حد جمع المواطنين فى مغارات جبلية وإضرام النار فى مداخلها ليحترق من يحاول النجاة ويختنق الباقون بالدخان!

من هنا كان لابد من أحداث رهيبة تستقطب أنظار العالم بعيدا عن عمليات الإبادة المنظمة التى تقوم بها القوات الإسرائيلية والتى كادت أن تكون عمليات تطهير عرقى تستأصل فيه كل العناصر النضالية التى تشكل العمود الفقرى للشعب الفلسطينى.

إن الأحداث التى وقعت مؤخرا بالمنطقة واستهدفت العراق الشقيق ليؤكد أن الهدف الأول لتلك الأحداث الرهيبة هو التغطية على جريمة القرن الحقيقية وهى الإبادة المنظمة لأبناء الشعب الفلسطينى.

وهذا يعنى من بين ما يعنيه أن استهداف العراق الشقيق لا علاقة له بأسلحة دمار مزعومة.

كما أن التكامل على المستوى العربى فى جميع المجالات الاقتصادى والثقافى والعسكرى من شأنه أن يظهر قوتنا التى نتغافل عن الاستفادة بها فى ظل ظروف دولية بالغة الخطورة، وعالم يتسيد فيه قطب واحد أوحد!

■ بصفتكم رئيسا للجنة الشئون الخارجية بمجلس الشورى الجزائرى هل أنتم راضون عن مستوى العلاقات بين الدول العربية بعضها البعض على كافة الأصعدة؟

- مما لاشك فيه أن حجم العلاقات بين الدول العربية بعضها البعض على المستوى الاقتصادى والثقافى والسياسى مازالت دون مستوى طموحات الشعوب العربية. وهنا أود أن أنوه بالعلاقات الجزائرية المصرية التى تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ ورغم أنها فى مستوى طيب على المستويين الرسمى والشعبى، إلا أن طموحات الشعبين أكبر مما هو على أرض الواقع الآن، ونتمنى المزيد والمزيد من هذه العلاقة على كافة الأصعدة الاقتصادية والثقافية والسياسية والدينية. وأود بالمناسبة أن أشيد بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ومؤتمره السنوى العام الذى يدعو فيه علماء من كافة أنحاء العالم الإسلامى للتشاور والتحاور فى أمور أمتنا العربية وشعوبنا الإسلامية.

الدعوة والدعاة

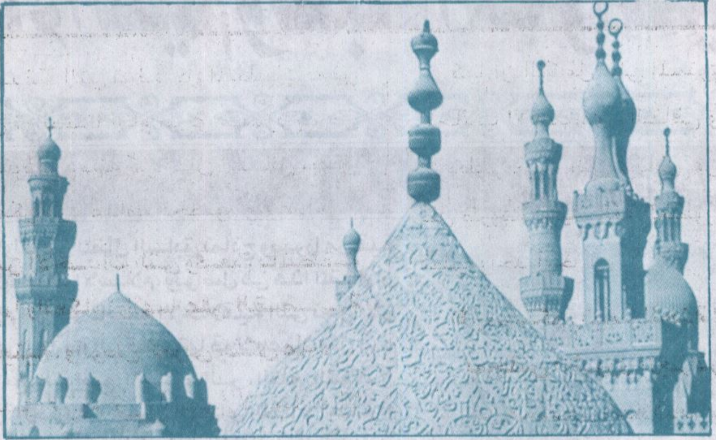

- دور الدين فى بناء القيم وضبط السلوكيات
- نحو رؤية مستقبلية لنظام الوقف فى الإسلام
- حث الإسلام على الإنفاق فى سبيل الله
- المجتمعات الإسلامية فى أوروبا الشرقية
- القصص القرآنى حقائق وأحداث واقعية

دور الدين في بناء القيم وضبط السلوكيات (٣)

أ. د/ سعاد إبراهيم صالح

تناولنا فى المقال السابق نماذج وصورا من قيم وأخلاقيات الإسلام، ونواصل فى هذا المقال أن الإسلام الزاخر بالقيم الأخلاقية التى نحن الآن فى أشد الحاجة إلى تطبيقها قولا وعملا مثل قيم التسامح، التواضع، الحياء، البر، العلم، التفكير، العمل، الحرية، العدل، الوفاء، النظام، احترام الوقت، الاحترام، التعاون، النظافة، الصداقة، الشكر، الانتماء، البشاشة، الأمل، الترويح عن النفس، مما يتطلب كتابة بحث لكل قيمة منها. ولكننا إتماما للفائدة سنذكر بعض هذه القيم إجمالا وما تقوم عليه من دليل من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ. ثم نعقد مبحثا خاصا لبيان السلوكيات المتعلقة بالمحافظة على البيئة حيث إن البيئة بمفهومها العام هى الوسط الطبيعى (الجغرافى والمكانى والأحيائى) الذى يعيش فيه الكائن الحى بما فى ذلك الإنسان ومن حيث تعرض الإسلام للمبادئ العامة للمحافظة على البيئة والعوامل العارضة التى تؤدى إلى إفسادها.

قيمة التسامح: تنطوى على احتواء الاختلاف فى الرأى الذى هو سنة من سنن الله فى الكون ﴿**ولا يزالون مختلفين* إلا من رحم ربك**﴾ هود: الآيتان ١١٨، ١١٩، عن طريق الحوار.. بمعنى الاحترام المتبادل بين أطراف الحوار. ولا جدال فى أن الحوار قد أصبح فى عصرنا الحاضر أكثر إلحاحا من أى وقت مضى.. فليس سبيل إلى حل المشكلات وتجنب النزاعات إلا من خلال الحوار.

قيمة التواضع: خلق الله سبحانه وتعالى الناس من ذكر وأنثى ليكونوا شعوبا وقبائل.. وجعل ميزان التفاضل بينهم **«التقوى»** لأنهم ينتسبون جميعا إلى أصل واحد. فلا توجد فروق جوهرية بين بنى الإنسان.. ولكن هناك فروقا فى المستوى الثقافى أو الاجتماعى أو المادى بصفة عامة. ومن هنا كان خلق التواضع كمقابل لسلوك التكبر والاستعلاء، فالتواضع إذن يعنى احترام آدمية

الناس بصرف النظر عن أوضاعهم الأخرى.. ومن هنا فإنه لا يعنى الضعف بأى حال من الأحوال.. بل هو على العكس من ذلك يدل على قوة الشخصية وعلى ثقة الشخص المتواضع بنفسه.. والرسول الكريم ﷺ كان أول من طبق خلق التواضع.. روى عنه - صلوات الله وسلامه عليه - أنه قال: «**إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفجر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد**» رواه أبو داود فى كتاب الأدب. إن الثراء الداخلى - الذى يحمل الإنسان على التواضع - هو ذم الله سبحانه وتعالى لسلوك التعالى فقال تعالى فى سورة القصص: ﴿**إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين* وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين* قال إنما أوتيته على علم عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون* فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتى قارون إنه لذو حظ عظيم* وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون* فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين* وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون* تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين**﴾ القصص: الآيات ٧٦ - ٨٣.

ويفهم من الآيات ما يأتى:

١ - البغى والاستعلاء مرتعه وخيم، والظلم مؤذن بخراب العمران والديار.

٢ - إن كثرة المال محنة وبلاء، وسبب للطغيان والفساد.

٣ - الجاهل الذى لا علم لديه أو علمه ناقص هو الذى يغتر بماله ويبطر عند النعمة، فإن الله تعالى يعاقب الأشرين الأبطرين الذين لا يشكرون نعمة الله عليهم.

٤ - إن أصول الحضارة الإسلامية أربعة: العمل الصالح ابتغاء ثواب الآخرة، وعمارة الدنيا بإتقان دون أن تستولى على مشاعر الإنسان، والإحسان إلى الناس إحسانا ماديا ومعنويا أو خلقيا، وقمع الفساد والعصيان والخراب (التفسير المنير جـ٢٠ ص١٦٢، ص١٦٣).

وقوله تعالى فى سورة لقمان: ﴿**ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور**﴾ لقمان: آية ١٨، وفيها النهى عن الكبر، والأمر بالبعد عن التعالى فكل منهما نقيصة فى خلق المسلم.

قيمة العلم:

للعلم منزلة مقدسة فى نظر الإسلام.. وردت فيه الأدلة من الكتاب والسنة لبيان منزلته ومكانته لدى المسلمين.. قال تعالى: ﴿**يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا**﴾ البقرة: آية ٢٦٩.

وقال سبحانه: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾ آل عمران: آية ١٨، فبدأ سبحانه بنفسه، ثم ثنى بالملائكة، ثم ثلَّث بأهل العلم، وكفى بذلك شرفا وفضلا وتكريما.

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهَّل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض، حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على فضل العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء. وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» رواه

الترمذى وأبو داود.

والإسلام لم يجعل العلم والثقافة حكرا على طبقة أو فئة من الناس. وإنما جاء عاما وشاملا وداعيا الجميع إلى العلم والمعرفة والتأمل والنظر فى الكون. قال تعالى: **﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون﴾** يونس: آية ١٠١.

قيمة التفكير:

الإنسان كائن مفكر، والتفكير والعقل أهم ما يميز الإنسان.. والتفكير يعنى استقلال شخصية الكائن البشري، فهو يفكر لنفسه ويحاول أن يفهم ويدرك ما يدور حوله.. ثم يتخذ قراره بعد تفكيره ويتحمل مسئولية هذا العقل الذى أقدم عليه بعد تفكيره. ولقد حث الإسلام على التفكير واعتبره فرض عين على كل مسلم. ودعت الآيات إلى التفكر والتأمل والتدبر فى كل ما يحيط بالإنسان. منها قوله تعالى: **﴿وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** الجاثية: آية ١٣.

وإذا كان التفكير يعنى استقلال شخصية الفرد، فإن التقليد يلغى شخصيته لأنه يسلم قياده إلى غيره ليفكر له. وهذا أمر لا يليق بكرامة الإنسان. ومن شأن انتشار التقليد الأعمى انتشار الجهل والأمية الدينية والثقافية والعلمية والاستسلام للخرافات والأوهام وهو ما يرفضه الإسلام قال تعالى: **﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾** فصلت: آية ٥٣.

قيمة العمل:

لقد أراد الله سبحانه وتعالى للإنسان أن يكون خليفته فى الأرض فيعمرها ومهدها للعيش فيها. ولا يكون ذلك إلا بالعمل.. والعمل أحد مسئوليات الإنسان الأساسية التى لا غنى عنها فى هذه الحياة.. وقد وردت أدلة كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لإقرار قيمة العمل.. حيث قال سبحانه: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾** التوبة: آية ١٠٥.

وقال عز وجل: **﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾** آل عمران: آية ١٩٥، والمطلوب من كل فرد أن يقوم بالعمل الذى يتناسب مع قدراته البدنية ومواهبه العقلية **«فكل ميسر لما خلق له»** رواه مسلم. وليس من المقبول ولا من المعقول أن يستخف الإنسان بقيمة العمل وأهميتها البالغة للحياة والأحياء. وقد ورد أن النبى ﷺ رأى فى المسجد رجلا يتحامل على الناس فسأل عنه فقالوا: هذا عابدنا، فسأل عمن يرعاه ويؤكله؟ قالوا: كلنا يارسول الله.. فقال: **«كلكم خير منه»**.

وهذا يعنى أن ترك العمل بحجة العبادة يعد لونا من ألوان التنطع فى الدين، فالعمل نفسه عبادة، لأنه امتثال لأمر الله تعالى للإنسان بإعمار الأرض فى قوله تعالى: **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾** هود: آية ٦١، أى طلب منكم عمارتها.

قيمة النظام:

من بين القيم التى كادت أن تختفى من حياتنا قيمة النظام، وغياب هذه القيمة من شأنه أن يؤدى إلى أن تصبح الحياة خليطا عجيبا من الفوضى والاضطراب على العديد من المستويات. وعندما يغيب النظام يسود الارتجال والعشوائية والتخبط.. ويؤدى ذلك إلى اختلال الموازين فى المجتمع وضياع الحدود بين الحقوق والواجبات وبين ما يجوز ومالا يجوز.

وفى حياتنا المعاصرة نرى أمثلة كثيرة لعدم الالتزام بالنظام حيث يبتعد الناس عن الانضباط وخاصة فى مواعيد العمل المحددة. والحق أن الله تعالى قد خلق الوجود على نظام محكم وجعله يسير وفقا لقوانين لا تتخلف **﴿كل شىء عنده بمقدار﴾** الرعد: آية ٨، **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾** الأنبياء: آية ٤٧. ومن هنا فالله لا يرضى لعباده الفوضى ولا الارتجال أو العشوائية..

ومن ثم حرص الدين كل الحرص على أن يغرس فى نفوس الناس حب النظام، وأن يدربهم عليه حتى يصير سلوكا حياتيا لهم. فإذا نظرنا مثلا إلى العبادات فى الإسلام نجدها ترسم لنا صورة مثلى فى النظام، فالصلاة - على سبيل المثال - لها أوقات محددة لأدائها ومعروفة بكل دقة، ولها نظام مخصوص لا يجوز الخروج عنه أو الزيادة أو النقصان، وكذلك الصوم والحج.. ولا ننسى نظام الله فى الكون وهو نظام محكم معجز.

أثر القيم والأخلاق فى صحة الإنسان والبيئة:

تعتبر البيئة من أهم موضوعات العصر الحديث بما تثيره من ضرورة حمايتها ابتغاء توفير مناخ صحى وحياة سعيدة للإنسان.. ومن هنا فإننا لا نستطيع أن نفصل الإنسان عن البيئة التى يعيش فيها ومدى تأثيرها على صحته. وقد استخدم علماء المسلمين كلمة «البيئة» استخداما اصطلاحيا منذ القرن الثالث الهجرى، وربما كان ابن عبدربه - صاحب العقد الفريد - هو أقدم من نجد عنده المعنى الاصطلاحى: وهى الوسط الطبيعى (الجغرافى والمكانى والأحيائى)، الذى يعيش فيه الكائن الحى، بما فى ذلك الإنسان. وللإشارة إلى المناخ الاجتماعى (السياسى، الأخلاقى، والفكرى)، المحيط بالإنسان، (الإسلام والبيئة. د. إبراهيم على حسن ص١٢).

والمتتبع لآيات الله الكريمات وأحاديث الرسول ﷺ يجد حرص الإسلام على المحافظة على بيئة الإنسان.. مثل قوله تعالى: **﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون﴾** الروم: آية ٤١، وقوله تعالى: **﴿ياأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾** يونس: آية ٢٣، وقوله سبحانه: **﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾** الأعراف: آية ٥٦.

ويقول الرسول ﷺ:

«وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا».

«.. وإماطة الأذى عن الطريق صدقة».

«الناس شركاء فى ثلاث، الماء والكلأ والنار».

«اتقوا الملاعن الثلاث؛ البراز فى الموارد، وفى قارعة الطريق، وفى الظل».

«لا يبولن أحدكم فى الماء الراكد ثم يغتسل فيه».

«إذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها».

«لا ضرر ولا ضرار». صدق رسول الله ﷺ.

القواعد المنظمة لاستعمال عناصر البيئة:

١ - المحافظة على الماء.. وقد حثنا الله سبحانه وتعالى على المحافظة على الماء لخطورة ما يرد عليه من تغير فى لونه، أو طعمه، أو رائحته. فقال سبحانه وتعالى: **﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون* أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون* لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾** الواقعة: الآيات ٦٨ - ٧٠، وبذلك يوضح المولى جل وعلا أن الماء يلزم أن يكون نقيا صافيا مثلما أنزله من السماء فلا تلحق به أملاح فيصبح أجاجا - أى شديد الملوحة - أو شوائب تغير من طبيعته وصلاحيته للاستخدام الذى أعد له.

ولذلك نهى الرسول ﷺ عن التبول فى الماء الجارى أو الماء الراكد، وذلك بهدف المحافظة على نقاء الماء ونظافته من التلوث. فقال ﷺ: **«لا يبولن أحدكم فى الماء الراكد ثم يغتسل فيه»** رواه البخارى.

٢ - المحافظة على الأرض اليابسة:

والمقصود بذلك التربة الزراعية والأرض اليابسة. فلا ينبغى تدنيس الأرض بالمخلفات استنادا إلى قوله ﷺ: **«وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا»**، وقد اعتبر الإسلام التبرز فى الطريق سببا للعن صاحبه. ففى حديث رسول الله ﷺ: **«اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الماء، وفى قارعة الطريق، وفى الظل»**، وفى رواية أخرى: **«فإن ذلك يستوجب لعنة الله وملائكته والناس أجمعين»**.

وإزالة المخلفات ـ بما فى ذلك القمامة من الطريق ـ مبدأ أوجبه الإسلام فيقول الرسول ﷺ: **«وإماطة الأذى عن الطريق صدقة».**

وبهذا الحديث الكريم يتقرر مبدأ تحريم تلويث الطريق بصفة عامة. كما يتضمن التزاما إيجابيا دينيا بإزالة سبب التلوث الذى يحدث أذى للناس فى طريقهم، وهو ما ينصرف كذلك لكل المخلفات سواء كانت صناعية، أو زراعية بتحريم إلقائها فى اليابسة أو الماء بما يسبب أذى للناس، ويلزم الإسلام كذلك برفع الأذى من موقعه استجابة للقاعدة الشرعية: **لا ضرر ولا ضرار.**

٢ ـ المحافظة على الهواء:

الهواء نعمة من نعم الله على عباده وهو أساس الحياة، وحماية الهواء من الملوثات ـ فى الإسلام ـ يعد فرض عين على كل مسلم ومسلمة لما فيه من المحافظة على مقاصد الشريعة الإسلامية وهى حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وأول ملوثات البيئة الهوائية التقليدية هى الحرائق والعوادم من غازات وأبخرة وأتربة، وذلك لما تحدثه من أضرار مادية وصحية على الإنسان.

وللإسلام منهج آخر فى معالجة تلوث البيئة، ويقوم على مبدأ دينى باعتبار أن التدخل بتغيير الحالة الطبيعية لأى من عناصر البيئة هو إفساد لها.

والفساد والإفساد من الأمور التى حذر منها الإسلام ونهى عنها، فالله سبحانه وتعالى منح عباده الخير الكثير الذى يجب إنماؤه والمحافظة عليه. كما أنه يجب ألا تقابل نعم الله بالفساد فى الأرض، فيقول جل شأنه: **﴿وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾** القصص: آية ٧٧.

وينبه سبحانه للعاقبة الوخيمة على المفسدين فيقول سبحانه: **﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾** النمل: آية ١٤. ويؤكد ذلك المولى عز وجل بتوجيه الخطاب للكافة فيقول: **﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾** الأعراف: آية ٨٦، وتبدو عظمة القرآن فى تحليله لظاهرة الفساد وأسباب ظهوره وسوء عاقبته فيقول سبحانه وتعالى: **﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون﴾** الروم: آية ٤١، ففى هذه الآية الكريمة بين سبحانه أن للفساد عناصر ثلاثة: ● **ظهوره** ● **وأسبابه** ● **ونتائجه.**

فالفساد بظهوره لا تقف أمامه مساحة كونية معينة، فهو يغطى البر كما يغطى البحر.. وسببه يرجع إلى فعل الناس ومردوده على الإنسان سواء صدر الفساد منه أو من غيره من بنى الإنسان، وهو ما عبر عنه سبحانه فى آية أخرى بإهلاك الحرث والنسل فقال جل شأنه: **﴿وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾** البقرة: آية ٢٠٥، وقد ورد فى تفسير هذه الآية أن الحرث هو محل نماء الزروع والثمار، والنسل: هو نتاج الإنسان والحيوان، فمن أهلك الحرث والنسل أفسد الحياة ودمرها (الإسلام والبيئة د. إبراهيم على حسن ص١٣٢).

فالجيل الجديد فى حاجة إلى نماذج يسترشد بها وقدوة يتأسى بها، والقيم الأخلاقية هى الركيزة الأساسية التى لا غنى عنها للتنمية فى جميع مجالات الحياة. ومن الظلم ـ كل الظلم ـ أن ينصرف المسلم عن الالتزام بهذه القيم فتهتز المجتمعات الإسلامية وتلحق بها التهم وتوصف بالتخلف والتراجع عن ركب الحضارة والمدنية، فهناك تكامل ـ فى شريعة الإسلام ـ بين التنمية المادية والتنمية الأخلاقية والدينية، وهذا ما ينبغى أن يستقر فى وعى الأفراد والجماعات حتى ينطلق الجميع إلى البناء من أجل تحقيق أهداف المجتمع وتوفير الأمن والاستقرار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

كيفية تطوير وإصلاح الوقف

إن من يمعن النظر فى رصد اندفاع جل الدول الإسلامية - اتساقا مع الاتجاه السائد لدور الدول الحديثة - فى الحلول محل الأفراد، فى القيام بالأنشطة الاجتماعية، وما أدى إليه من انسحاب الدور الاجتماعى للأفراد المسلمين فى المشاركة فى الأعباء الاجتماعية، يدرك من واقع الخبرة والتجربة حجم الخسارة التى منيت بها الأمة من جراء ذلك، ومدى المعاناة التى تتحملها الدول الإسلامية فى هذا الشأن، وأخصها الغرق فى مستنقع الديون، وبالذات الخارجية منها، والأثر المدمر لذلك على مكانتها واستقلال إرادتها، وتمييع هويتها، ومسخ شخصيتها فضلا عن الوقوع فى براثن التخلف فى شتى مرافق الحياة الاجتماعية وهى مساوئ كان يمكن لهذه الدول تلافى بعض آثارها لو لم تحرم نفسها من عطاء الأفراد، وجهودهم الحثيثة النابعة من إيمانهم بمبادئ دينهم، واستلهام النظم والشرائع الإسلامية بمنظومته الحضارية فى الكون.

أ. د/ محمد الشحات الجندى

إن الوصول إلى هذه الحقيقة، يتطلب الوعى بواقع مشكلة الوقف وتشخيص داءاتها، ورسم الحلول والإصلاحات لعلاج التقهقر المتردى الحاصل للوقف، والأزمة التى تواجهها الأمة الإسلامية بالنسبة للوقف، بكل ما أفرزته من تداعيات عمت آثارها، وألقت بأوزارها على حاضر الأمة من تفشى الآفات المهلكة من الجهل والبطالة والمرض والتسول والعوز.. الخ.

الانطلاق من رسم السياسات وبناء الاستراتيجيات

إن السبيل للخروج من هذه الدائرة الخانقة والمكبلة لأداء دور الوقف كرسالة تنموية مؤسسة على فكرة أن الواجب يسبق الحق، وأن العطاء هو ركيزة العمل الاجتماعى فى الإسلام، يتطلب بناء استراتيجية واضحة المعالم تكفل إحياء سنة الوقف والنهوض به من خلال التلاحم بين العمل الرسمى والعمل الشعبى، وفق الثوابت الشرعية ومعطيات الحاضر ومتطلبات المستقبل.

والغرض من بناء هذه الاستراتيجية هو وضع الإطار والصيغ التى تدور فى نطاقها الأنشطة الوقفية، إلى جانب تحديد الوسائل والآليات الموصلة لتحقيق هذه الاستراتيجية، وترجمتها فى المناشط الحياتية المختلفة.

وهذا التوجه الجديد للتعامل مع الوقف والعمل على إحياء دوره فى مجتمعات المسلمين، يقصد

منه تحقيق التجاوب الفاعل مع العصر الذى نعيش فيه، مع الحفاظ على هوية المجتمعات العربية والإسلامية وعلى وحدتها وتماسكها، وأداء دور إيجابى فى حركة نموه، ومواجهة مشكلاته الأساسية، والنهوض به فى جميع المجالات.

ونظرا لغلبة الدور الذى يساهم به الأفراد فى عملية الأوقاف، فإنه ينبغى أن يكون للواقف الدور الفاعل فى إدارة شئون الوقف وتوجيه أنشطته، وتحديد مصارفه فى إطار المقاصد الشرعية، والمصلحة العامة للمجتمع، إلى جانب تدخل الدولة بالإشراف على شئون الوقف، وضبط مساره ووضعه على الطريق الصحيح، وكفالة وفائه بالأهداف الشرعية ومصلحة المجتمع والتنسيق بين مرامى الواقف وتنفيذ شروطه، وبين توجهات المجتمع وأوضاع السياسة العامة الاجتماعية والاقتصادية فيه، وبذلك يتلاحم النشاط الفردى والجماعى وتتضافر الجهود الخاصة والعامة لبناء مؤسسة الوقف كصرح متميز ومتكامل للنهوض بالمجتمع.

ومن المهم فى هذا الصدد، أن تتلاقى وتتفاعل هذه الاستراتيجيات المرسومة فى الدول العربية والإسلامية، وأن تتبادل هذه الدول خبراتها وأن تتحو نحو التكامل والتساند، حيث إن هدفها فى النهاية واحد، وهو إبراز الهوية الإسلامية للوقف، واحترام إرادة الواقفين، وتحقيق المقاصد الشرعية، ومصلحة الأمة.

وقد يكون من الضرورى لإحياء دور الوقف، وتقديمه كعلم بارز للعمل الاجتماعى فى الإسلام، أن تقوم الدول العربية والإسلامية بإنشاء مجلس عالمى أو اتحاد عالمى للأوقاف الإسلامية للتنسيق والمتابعة من أجل تطوير الأوقاف على المستوى العالمى(١)، وفيما يتعلق بتنفيذ استراتيجيات الوقف فى الدول العربية والإسلامية، فليس من المحتم إفراغ الإدارة أو الجهة التى تضطلع بالتنفيذ فى قالب واحد، أو أن تتبع وسائل وآليات متطابقة، فضلا عن اتخاذها لمسمى بعينه، ذلك أن التعدد والتنوع الذى يتسم به كل قطر إسلامى، قد يتطلب الاختلاف والتباين فى ذلك، بل لعله من المفيد أن ترتسم الخصوصية للإقليم والبيئة، واحتياجات المكان فى شكل وطبيعة عمل هذه الجهات، فقد تكون فى شكل هيئة عامة أو أمانة عامة أو مجلس الأوقاف أو لجنة عليا للوقف، يناط بها الإشراف على الوقف وتنفيذ أهدافه المرسومة، فى ظل تبادل الخبرات، والتباحث المتواصل من أجل بلوغ أقصى نفع ممكن لنظام الوقف، وتطوير برامجه، وابتكار وسائل وآليات جديدة.

ومن أجل ضمان أداء كفء ورشيد، للجهة المنوط بها الإشراف على الوقف، وتحقيق أهدافه، فلا نرى قصر تشكيل أعضاء هذه الهيئة أو الأمانة أو اللجنة من مسئولين حكوميين فقط، ولكن من الشخصيات الحكومية والعامة، ومن رجال الفكر والأعمال، تكون مهمتها تحديد الأهداف والأولويات التى يجب الوقف عليها، وتنشيط الوقف على الخيرات وإعطائها اختصاصات محدودة لتسهيل الوقف وتفعيله(٢). كما أن عليها أن تعيد النظر فى تجربة الوقف برمتها، وأن تقيم أداءها، وأن تقدم الحلول والبدائل التى من شأنها الارتقاء بالوقف وتعظيم دوره الحياتى فى المجتمع حسب مقاصد الشرع.

وبالقطع، فإن النهوض بالوقف فى ظل المعطيات الراهنة، والظروف السائدة ليس بالأمر الهين، فإن أمام هذه الجهة مسئوليات ينبغى عليها القيام بها، فهى بحاجة إلى:

- نشر الدعوة إلى الوقف، وبعث الوعى بين الناس، بجميع وسائل الاقناع اللازمة بالحكمة والوعظة، والنزول إلى المواقع المختلفة، وبيان الأثر

الإيجابى والبناء على الوطن والأمة.

- أن يكون الأعضاء قدوة فى دعم رسالة الوقف، عن طريق تقديم النموذج الصحيح، بقيام العضو بوقف بعض ممتلكاته، ومن خلال السلوكيات الرشيدة والإدارة السليمة للوقف.

- تحفيز الناس إلى الوقف بانتهاج الأطر الجارية على مقتضى الشرع، ومن قبيل ذلك:

- السماح بالوقف الأهلى فى حياة الواقف أو على أولاده، وتوجيهه بعد مماته إلى جهات البر والخير، بالإضافة إلى ارتياد آفاق وقف الأموال المنقولة جنبا إلى جنب مع الأموال العقارية، حيث تزايدت أهمية بعض الأموال المنقولة، وارتفعت قيمتها فى العصر الحاضر. كذلك السماح بوجود مؤسسات أهلية، فضلا عن المؤسسات العامة وتؤدى كل منها خدمة للناس، وتقوم بجزء من الاحتياجات العامة، فى نطاق مصلحة الوطن والأمة.

وينبغى أن يكون توجه الجهة المعنية بشئون الوقف، تمكين الأفراد من القيام بدورهم فى مجتمع الإسلام، وأن تتيح أمامهم السبل للإبداع والابتكار للإسهام فى ترسيخ هوية المجتمع، وصناعة الحضارة الإسلامية، وأن يمكن المجلس العالمى للأوقاف - وليكن فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى - الأمة من المشاركة فى صنع حاضرها، وتوجيه مستقبلها، والنهوض برسالة الإسلام الاجتماعية والإنسانية، استقلالا عن الدول، وإبراز طاقاتها الخلاقة، دعما ومساندة لمهمة الدولة، وتحت مظلة الأهداف الشرعية للوقف ومصلحة الجماعة المسلمة.

وتجدر الإشارة إلى أن الجهة المعنية بشئون الأوقاف - أيا كان مسماها - ينبغى أن تضع نصب عينيها الأهداف الآتية:

١ - إحياء سنة الوقف، واستعادة دوره، من خلال جذب الفرد المسلم إلى القيام بوقف بعض أمواله، بإضافة أوقاف جديدة ذات صيغ متنوعة، تعزيزا لقيم الخير، ومساهمة فى خدمة الدين، وبناء الوطن وغرس مفاهيم العمل التطوعى فى المجتمع المسلم.

٢ - تنمية الأصول الوقفية، وتطوير طرق استثمارها، فى نطاق صيغ الاستثمار الجائزة شرعا، بأفعل الوسائل وأكفأ النظم وأفضل العناصر، التى تزيد وتعظم من أصول هذه الأموال الوقفية.

٣ - الارتقاء بالعنصر البشرى القائم على تسيير شئون الوقف وإدارة مرافقه، بواسطة تعليمهم بحقيقة ومقاصد الوقف الإسلامى، وتزويدهم بأحدث نظم الإدارة التى تمكنهم من بلوغ أقصى معدلات النفع بالوقف لصالح الوطن والأمة.

٤ - توجيه أموال الوقف إلى العديد من المجالات التنموية، عن طريق دعم المرافق الاقتصادية والاجتماعية ذات العائد المرتفع، وفى نفس الوقت ذات المردود الاجتماعى التنموى على الفرد والمجتمع، فى نطاق التقيد بشروط الواقفين، والمقاصد الشرعية للوقف.

٥ - وجوب ربط الوقف بقضايا التنمية الشاملة، وضرورة تطوير أساليبه.

٦ - المشاركة الشعبية والأهلية جنبا إلى جنب مع المؤسسات الوقفية ذات المردود الاجتماعى على الفرد والمجتمع فى نطاق التقيد بشروط الواقفين، والمقاصد الشرعية للوقف.

من نماذج تطوير الوقف فى العصر الحالى

طرأ متغير جديد يمثل قاسما مشتركا بين الأوقاف فى كل الدول الإسلامية فى العصر الحالى، ألا وهو تدخل الدولة بقدر ما فى تنظيم وإدارة شئون الأوقاف وتوجيهه بما يحقق المصلحة

العامة، ولو كان ذلك على حساب إرادة الواقفين وشروطهم، وظهر ذلك بالتحكم فى إرادتهم، وإجراء تغيير فى مصارف الوقف أو فى عدم الاعتداد ببعض الشروط، **وقد رأينا طرفا من ذلك فى صنيع وزارة الأوقاف المصرية، حيث خول لها قانون الوقف(٣) تعديل النظر على الأوقاف الخيرية وتعديل مصارفها على جهات البر، عندما نص على أنه: إذا لم يعين الواقف جهة البر الموقوف عليها أو عينها ولم تكن موجودة، أو وجدت جهة بر أولى منها، جاز لوزير الأوقاف أن يصرف الريع كله أو بعضه إلى الجهة التى يعينها دون التقيد بشرط الواقف.**

وإذا كان هذا النموذج للتدخل من جانب الدولة قد أدى إلى إحجام الناس عن الوقف فإن هناك تدخلا آخر محمودا، تمثل فى تحرى الدولة لتحقيق مقاصد الوقف الشرعية، وجريانه فى نطاق المصلحة العامة، وهو ما يتطلب إشراك الأهالى والجهود الشعبية فى الإدارة الرسمية مع الهيئة المعنية بتسيير شئون الأوقاف، وقد عرضنا لبعض منها فى قوانين الأوقاف المصرية. ومهما كان الأمر فإن تضافر الجهود الشعبية والرسمية وتكاملها، فى تطوير الوقف، وتوظيفه بالحصول على أقصى نفع ممكن بحسب مقاصده الشرعية، ومصلحة الناس، تصبح مسألة على قدر كبير من الأهمية، وهو ما سعت إليه الكويت بالنسبة لتجربة الصناديق الوقفية، وهو ما نعرض له بإيجاز فى السطور الآتية:

أ- الصناديق الوقفية

مفهوم الصناديق الوقفية:

هى أجهزة تنظيمية تتمتع باستقلال نسبى، تختص بالدعوة للوقف، والقيام بالأنشطة التنموية فى المجالات التى تحدد لكل صندوق، وذلك من خلال رؤية متكاملة تراعى احتياجات المجتمع وأولوياته، وتأخذ فى الاعتبار ما تقوم به الجهات الرسمية والشعبية من مشروعات.

أولا: أهداف الصناديق الوقفية:

تستهدف الصناديق الوقفية المشاركة فى الجهود التى تخدم إحياء سنة الوقف، عن طريق طرح مشاريع تنموية فى صيغ إسلامية للوفاء باحتياجات المجتمع، وطلب الوقف عليها.

بالإضافة إلى حسن إنفاق ريع الأموال الموقوفة لتلبية الاحتياجات الاجتماعية التى يفرزها الواقع من خلال برامج عمل تراعى تحقيق أعلى عائد تنموى، وتحقق الترابط فيما بين المشروعات الأخرى التى تقوم بها الأجهزة الحكومية وجمعيات النفع العام.

فضلا عن مراعاة التوجهات الاستراتيجية للأمانة العامة للأوقاف، والتى تعتبر حلقة من حلقات الرؤية الشاملة لقطاع الشئون الإسلامية فى الدولة.

ثانيا: مجالات عمل الصناديق:

تتسع مجالات عمل الصناديق الوقفية لتشمل متطلبات تنمية المجتمع وما يلزم للوفاء بمختلف الاحتياجات الشعبية.. ويأتى فى مقدمة هذه المجالات:

- خدمة القرآن الكريم وعلومه.
- رعاية المساجد.
- التنمية العلمية وتطوير التعليم.
- تنمية المجتمعات المحلية فى المناطق السكنية المختلفة.
- البحوث والدراسات التنموية.
- التنمية الصحية.
- تنمية البيئة.

- قضايا الثقافة والفكر.

- التنمية الأسرية.

- رعاية ذوى الاحتياجات الخاصة.

- دعم التعاون الإسلامى الخارجى.

ثالثا: النتائج المتوقعة لنشأة الصناديق

ثمة أهداف خاصة بنشاط كل صندوق، حسب المهمة المنوطة به، وما خصص الصندوق من أجل تحقيقه، وأهداف عامة تشمل نشاط الصناديق ككل، وتكون منطلقات استراتيجية لها، لتحقيق النتائج المرجوة.

ومن النتائج المتوقعة لإنشاء الصناديق الوقفية:

١ - إحياء سنة الوقف بتجديد الدعوة لها، من خلال مشروعات ذات أبعاد تنموية، تكون أقرب إلى نفوس الناس، وأكثر تلبية لرغباتهم.

٢ - تجديد الدور التنموى للوقف فى إطار تنظيمى يحقق التكامل بين مشروعات الوقف، ويراعى الأولويات وينسق بينها.

٣ - تطوير العمل الخيرى من خلال طرح نموذج جديد يحتذى به.

٤ - تلبية احتياجات المجتمع والمواطنين فى المجالات غير المدعومة بالشكل المناسب.

٥ - إيجاد توازن بين العمل الخيرى الخارجى والعمل الخيرى الداخلى.

٦ - تحقيق المشاركة الشعبية فى الدعوة للوقف وإدارة مشروعاته.

٧ - منح العمل الوقفى مرونة وانطلاقا، من خلال مجموعة قواعد، تحقق الانضباط وتضمن فى الوقت ذاته تدفق العمل وانسيابه.

رابعا: إدارة الصناديق

يتولى إدارة كل صندوق مجلس إدارة يتكون من عدد من العناصر الشعبية وممثلين لبعض الجهات الحكومية المهتمة بمجالات عمل الصندوق، ويعاونهم مدير يكون له مساعد أو أكثر يقوم بالعمل التنفيذى للصندوق، بالإضافة إلى جهاز وظيفى يختلف عدد أفراده ومستواهم الوظيفى وفقا لمقتضيات العمل.

خامسا: الموارد المالية للصناديق

يعتمد كل من الصناديق الوقفية فى تمويله بصفة أساسية على ريع الأوقاف السابقة المخصصة له سنويا. وعلى الأوقاف الجديدة التى تدخل لأغراضها كما حددها له الواقفون ضمن أهداف الصندوق، ويضاف إلى ذلك ما يحصله الصندوق مقابل ما يقدمه من أنشطة وخدمات. وهناك موارد أخرى تأتى عن طريق الهبات والوصايا والتبرعات.

ب - المشاريع الوقفية:

وهى مشاريع ذات كيان عملى وتنظيمى مستقل. وقد يكون المشروع الوقفى عبارة عن مرفق عام، أو نظام لخدمات أو أنشطة عامة، أو خدمة لفئة خاصة فى المجتمع. وتبين حجة تأسيس المشروع الوقفى الدواعى والأهداف والإطار ونظام الإدارة والتمويل.

وفى التجربة الكويتية تشهد الحركة الوقفية المعاصرة، تأسيس مشاريع وقفية فى مجالات مختلفة منها:

- مشروع وقف الكويت للدراسات الإسلامية التنموية.

- مشروع رعاية الحرفيين ومبادئ تأسيس المشاريع الصغيرة (صغار المنتجين والتجار).

- مشروع مركز الكويت لدراسات الأمن والسلامة (أمن الأفراد والجماعات).

- مشروع رعاية العمل التطوعى (وقف الوقت).

- مشروع بيت السعادة (مشروع يهدف إلى حماية الأسر حديثة النشأة من الوقوع فى المشاكل).

- مشروع رعاية اليتيم.

- مشروع طالب العلم (لرعاية الطلبة المحتاجين).

- مشروع تنمية المعلم.

- مشروع المدينة الكشفية.

- مشروع السندباد الثقافى (مركز ثقافى للأطفال).

- مشروع المعلومات للجميع (مشروع ربط المكتبات المدرسية والمكتبات العامة بشبكة الكترونية).

- مشروع حلقات تحفيظ القرآن الكريم.

- مشروع مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده.

- مشروع إحياء المساجد التراثية القديمة.

- مشروع إسكان أئمة المساجد.

- مشروع نظام إدارة الأوقاف الألكترونى.

- مشروع مركز الكويت للتوحد (لرعاية الأطفال المصابين بمرض التوحد).

- مشروع مركز تأهيل المعاقين.

وثمة مشاريع ومجالات تنموية أخرى، فى إطار تطوير الوقف وفق معطيات العصر، واحتياجات الأمة، ونهوضا به ليعود له دوره الحيوى فى خدمة الهوية والخصوصية والوطن والأمة.

مشروعات الوقف رؤى الريادة والإدارة

إن المتأمل لنظام الوقف، ارتكازا على طبيعته ودوره ومقاصده يجده مصدر إخصاب، وتجربة ثرية لقيم ثلاث:

- العطاء الدائم.

- التكافل والمواساة.

- التنمية الاجتماعية.

وقد استطاع الوقف من خلال ابتنائه على هذه المنظومة ذات المحاور الثلاثة أن يتطور ويطور فى المرافق الاجتماعية، ويلبى الاحتياجات الشعبية وأن يكون مرآة عاكسة لصعود وهبوط سلوك المسلم تجاه شئون أهله وذويه، وبيئته ومجتمعه، ومدى التزامه بأعباء المشاركة الحياتية، انطلاقا من وازع دينى يمليه عليه ضميره، ومبثوث فى أعماق وجدانه.

وإذا كانت تجربة بعض الدول العربية تجاه إحياء دور الوقف، واهتمام الأوساط العربية والإسلامية، ببعث الوقف، من خلال عقد المؤتمرات والندوات، التى تستهدف وضع الخطط ورسم السياسات لتفعيل الوقف كصرح مؤسس شامخ، للعطاء والتكافل والتنمية، وصناعة النهضة الإسلامية، فإن هذه الجهود لاتزال فى بداياتها، لم تتبلور بعد فى شكل سياسات أو استراتيجيات متكاملة، ولم تخط بعد خطواتها الواثقة المتمثلة فى صيغ وآليات محددة، تنجز أهدافها العليا.

ومن ثم فهى قاصرة فى إطارها متعثرة فى آلياتها ووسائلها، مشتتة فى أهدافها ومقاصدها، الأمر الذى قد يصدق معه القول بأنها تعد أمنيات وطموحات أكثر منها برامج ومحددات لترجمة وتجسيد دور الوقف الإسلامى.

وثمة أمر جدير بالتنويه، تفرضه المعالجة المستقبلية لدور الوقف، يتجلى فى حتمية بناء الثقة بين المسلم والدولة، ووجوب أن تقوم أجهزة السلطة فى الدول الإسلامية بنزع أسباب الشك والإحباط لدى المسلم، وإتاحة السبل أمامه بالسلوك العملى للمشاركة بالوقف فى أعباء المجتمع، وأن تزال الحواجز والعوائق بين المؤسسات الوقفية الشعبية فى الدول العربية والإسلامية، وأن تتمكن من أداء دورها التنموى، بحيث يكون عونا لدور الحكومات ومضافا إليها واستلهاما لمتطلبات ومعاناة جمهور الأمة، وجماعة المسلمين.

إن ثمة مجالات جديدة، قد فرضت نفسها على ساحة العمل الإسلامى الداخلى والخارجى، بما يستلزم من توجيه الوقف نحوها، بواسطة إنشاء صناديق وقفية تخصص للإنفاق من ريعها عليها، من ذلك:

- الصندوق الوقفى للتبشير بالإسلام والدعوة إليه، بواسطة إعداد العلماء الكوادر المؤهلة، والبث الفضائى، والتعريف بالإسلام عن طريق المواد المكتوبة الموجهة لغير المسلمين، ومساعدة غير القادرين منهم.

- الصندوق الوقفى لدعم الأقليات الإسلامية فى الدول غير الإسلامية، وتلبية احتياجاتهم الضرورية.

- الصندوق الوقفى لسداد الديون على الدول العربية والإسلامية تحريرا لها من سطوة صندوق النقد الدولى، وسيطرة القوى الأجنبية على مقدراتها، ذلك أن ديون بعض الدول الإسلامية، أصبحت عبودية جديدة، بسبب الأرقام المخيفة لهذه الديون، التى تحرم - كما صرحت بذلك المنظمات الخيرية البريطانية - الدول المدنية من الحد الأدنى للنمو، وتقديم أبسط الخدمات الإنسانية لشعوبها.

تقول الأرقام إن من بين الدول المدينة ما يضطرها إلى دفع فوائد سنوية للديون، أكبر من الإنفاق على خدمات الصحة والتعليم عدة أضعاف. وحذرت المنظمات البريطانية من أن ٢١ مليون طفل سوف يسقطون ضحايا الديون المهلكة، وسيكبر ملايين آخرون فى مناخ الجهل والأمية والمرض لحرص حكومات بلادهم على إعطاء أولوية لسداد الديون(٥).

- الصندوق الوقفى لاستزراع وتنمية الصحراء، نهوضا بموارد الدولة، وإيجادا لفرص عمل جديدة، من أجل تشغيل العاطلين، ومكافحة البطالة المستشرية بين طبقات المجتمعات الإسلامية.

- الصندوق الوقفى لمحو الأمية المنتشرة، بين جموع المسلمين الأمية بمعناها الشامل بالتمكن من القراءة والكتابة، والأمية الدينية بنشر الإسلام الصحيح بين جماهير المسلمين، حيث تعتبر الأمية حجر عثرة فى بناء الشخصية المسلمة، وارتيادها آفاق الحياة المعاصرة، ونحن فى مشارف الألفية الثالثة، القرن الواحد والعشرين.

تلك هى بعض المجالات التى يمكن للوقف الإسلامى بالتعاون مع النظم الإسلامية الأخرى كالزكاة أن يرتادها ليكون كما كان دائما حصنا للفئات المحرومة فى المجتمع، وملاذا للأمة، وقياما بالشأن العام فيها، وبالطبع فإن المجال متسع لإضافة العديد من المناشط المجتمعية التى يمكن للوقف أن يضطلع بها، وأن يقوم بدور فاعل فيها، وبذلك يغدو كما أراده الإسلام وسيلة للنماء والعطاء والإسهام فى الأعباء الاجتماعية، وصناعة الحضارة الإسلامية.

الهوامش:

١ - توصيات ندوة الأوقاف الثانية، أبحاث نحو دور تنموى للوقف ص٨٦، ١٩٩٣م وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت.

٢ - من توصيات ندوة إحياء دور الوقف فى الدول الإسلامية مايو ١٩٩٨م رابطة الجامعات الإسلامية.

٣ - القانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٢م، المنظم لبعض أحكام الوقف. وهو القانون المعدل بالقانون رقم ٥٤٧ لسنة ١٩٥٣م.

٤ - انظر فى ذلك: الصناديق الوقفية، النظام العام ولائحته التنفيذية، الأمانة العامة للأوقاف، دولة الكويت، نوفمبر ١٩٩٦م، ص٤، وما بعدها.

٥ - تقرير لجريدة الأهرام، ورد بالصفحة الأولى، فى العدد رقم ٤٠٦٩٩ الصادر فى ١٢ مايو ١٩٩٨م. السنة ١٢٢.

حث الإسلام على الإنفاق فى سبيل الله (١)

إغواء المال شديد، وسيطرة الرغبة فى اقتنائه قوية، وشهوة حب تملكه عنيفة، يقول الله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ آل عمران: آية ١٤، وخطب ابن الزبير ـ رضى الله عنهما ـ على منبر مكة فقال: أيها الناس إن النبى ﷺ كان يقول: «لو أن ابن آدم أعطى واديا ملآن من ذهب أحب إليه ثانيا، ولو أعطى ثانيا أحب إليه ثالثا، ولا يسد جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**قلب الشيخ شاب على حب اثنتين: طول الحياة وكثرة المال**».

لذلك جبلت النفس البشرية على حب المال وجمعه واكتنازه، كما طبعت النفس البشرية على الشح والبخل والإمساك بالمال، فالمال هو زينة الحياة الدنيا وبهجتها، ومن شدة حب الإنسان للمال وتعلقه به وتطلعه إليه، قدمه الله سبحانه وتعالى على الأولاد فى حب الإنسان لتملكه والزهو والافتخار به، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا..**﴾ الكهف: آية ٤٦.

واقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى من باب الاختبار والابتلاء أن يتفاوت الناس فى الغنى والفقر، وفى السعة فى المعيشة والضيق فيها، وفى الرزق الكثير الواسع والرزق القليل الضيق، يقول الله تعالى: ﴿**والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق..**﴾ النحل: آية ٧١، ويقول جل شأنه: ﴿**أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون**﴾ الزخرف: آية ٣٢.

كما اقتضى عدل الله سبحانه وتعالى أن يدخر الآخرة لفقراء الدنيا الراضين الحامدين المتعففين فيعطيهم من فضله وكرمه ونعمه ما يجعل غنىّ الدنيا يتمنى فى الآخرة عندما يرى مكانة ومنزلة وقدر هؤلاء الفقراء عند ربهم فى الآخرة ودرجتهم فى الجنة أن لو كان ضمن فقراء الدنيا، فعن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ قال: «**يجتمعون يوم القيامة، فيقال: أين فقراء هذه الأمة؟ قال: فيقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون:**

ربنا ابتلينا فصبرنا، ووليت الأموال والسلطان غيرنا، فيقول الله جل وعلا: صدقتم. قال: فيدخلون الجنة قبل الناس، ويبقى شدة الحساب على ذوى الأموال والسلطان. قالوا: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: يوضع لهم كراسىٍّ من نور ويُظَلَّل عليهم الغمام، يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار**»، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «**التقى مؤمنان على باب الجنة: مؤمن غنى، ومؤمن فقير كانا فى الدنيا، فأدخل الفقير الجنة، وحُبس الغنى ما شاء الله أن يحبس - انتظر للحساب على أمواله - ثم أدخل الجنة، فلقيه الفقير فقال: ياأخى ماذا حبسك؟ والله لقد حبست حتى خفت عليك، فيقول: ياأخى إنى حبست بعدك محبسا فظيعا كريها، ما وصلت إليك حتى سال منى من العرق ما لوْ وَرَدَهُ ألفُ بعير كلها أكلةُ حُمضِ النبات لصدرت عنه رِواء**» - الحمض: ما ملح وأمرَّ من النبات.

ولذا نرى رسول الله ﷺ كان يحب الفقراء والمساكين، ويحرص على القرب منهم لمكانتهم ومنزلتهم عند الله تعالى، بل كان يدعو الله سبحانه وتعالى أن يحشر معهم، فعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**اللهم أحْيِنى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة، فقالت عائشة: لم يارسول الله؟ قال: إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا، ياعائشة لا تردى مسكينا ولو بشق تمرة، ياعائشة أحِبِّى المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة**».

اقتضت حكمة الله تعالى من باب الاختبار والابتلاء أن يتفاوت الناس فى الغنى والفقر

وتحقيقا للعدالة الاجتماعية، ولكى يعيش المواطنون فى المجتمع الإسلامى عيشة تسودها المحبة والمودة، والصلة والرحمة، والترابط والتلاحم، فرض الله زكاة المال على الأغنياء، ولم يجعلها منحة من الأغنياء تخضع لأهوائهم ورغباتهم إن شاءوا أخرجوها وإن شاءوا منعوها، بل جعلها ركنا من أركان الإسلام الخمسة، يقول الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «**بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا**»، وجعل الزكاة حقا مفروضا إخراجه لا تهاون فيه ولا تقصير ولا تأخير، يقول الله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم**﴾ التوبة: آية ١٠٣، ويقول عز وجل: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**﴾ البقرة: آية ٤٣، ويقول جل شأنه: ﴿**.. وآتوا حقه يوم حصاده..**﴾ الأنعام: آية ١٤١.

ولأهمية الزكاة بصفتها ركنا من أركان الإسلام، ولأهمية الآثار المادية والاجتماعية المترتبة على إخراجها سواء بالنسبة لمن يخرجها أو لمن

فرض الله زكاة المال على الأغنياء تحقيقا للعدالة الاجتماعية

يستحقها، اهتم الإسلام اهتماما بالغا بها، فقد ورد الأمر بإخراج الزكاة صراحة «أى بلفظ الزكاة»، أو الثناء على من يخرجون الزكاة فى أكثر من ثلاثين آية فى القرآن الكريم، بخلاف الآيات الكثيرة الأخرى التى تتضمن الإشارة إلى الزكاة والحث على إخراجها.

وقد تضمنت كتب الفقه الإسلامى شروط إخراج الزكاة، والنصاب المقرر فى جميع أنواع المال: من ذهب وفضة، وأوراق مالية، وعروض التجارة، والمحاصيل الزراعية، والأنعام على اختلاف أنواعها.. الخ.

كما حدد القرآن الكريم مصارف الزكاة فى قوله تعالى: **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾** التوبة: آية ٦٠.

ولأن الله سبحانه وتعالى علام الغيوب، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ويعلم طبيعة النفس البشرية وحبها للمال، فهو خالقها وبارئها، حذر من اكتناز المال وعدم إنفاقه، حتى لا يكون للإنسان حجة أمام الله يوم الحساب، فقال سبحانه وتعالى: **﴿.. والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم* يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾** التوبة: الآيتان ٣٤، ٣٥، وقال جل وعلا: **﴿ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾** البقرة: آية ٢٥٤.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعا ـ الحية الذكر ـ أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه ـ عظم اللحى تحت الأذن ـ، ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾** آل عمران: آية ١٨٠.

وصدقة المال ليست قاصرة على الزكاة المفروضة فقط، وهذا خطأ يقع فيه كثير من الناس، فالزكاة فرض لا فضل للمسلم فى إخراجها لأنها ركن من أركان الإسلام.

غير أن فضل الله سبحانه وتعالى على عباده ـ فهو الرءوف الرحيم ـ يثيب ويمنح مخرج الزكاة المفروضة ثوابا وحسنات وأجرا يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يجعله يفرح بما أخرج فى دنياه من زكاة المال، ومن عظم الأجر والثواب والنعيم الذى يلقاه، يتمنى لو كان قد أنفق كل ماله صدقة فى دنياه.

فعن فاطمة بنت قيس ـ رضى الله عنها ـ قالت: سألت أو سئل النبى ﷺ عن الزكاة فقال:

«إن فى المال لحقا سوى الزكاة، ثم تلا - ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب﴾ البقرة: آية ١٧٧.

ويقول الله سبحانه وتعالى: **﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾** المنافقون: آية ١٠، ويقول جل وعلا: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم﴾** آل عمران: آية ٩٢.

وعن أبى أمامة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: **«يابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»**، وعن أبى سعيد رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: **«أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم»**.

وخير الصدقة وأفضلها عند الله تعالى ما كانت على الأهل وذوى القربى، وأن يخرجها الإنسان وهو فى شبابه وصحته وقوته، فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: **«دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك»**، وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الصدقة على القريب فقال: **«له أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة»**. ولفظه **«الصدقة على المسكين صدقة، وهى على ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة»**، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: **«جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله أى الصدقة أعظم أجرا؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان»**.

ولذا أدرك كثير من الصحابة - رضوان الله عليهم - بصدق عقيدتهم، وقوة إيمانهم، وصفاء قلوبهم، ونقاء سريرتهم، وحبهم الذى لا حدود له للخير، وزهدهم فى الدنيا، أدركوا أن المال الذى فى أيديهم هو مال الله استودعه عندهم لإنفاقه فيما يرضى الله وفيما ينفعهم فى الدنيا والآخرة، وأنهم سيحاسبون عليه حسابا عسيرا، وأن الدنيا عرض زائل، وأنهم سيغادرون الدنيا بأكفان تسترهم فقط إلى قبور موحشة، لا حول لهم فيها ولا قوة، ولا صديق لهم فيها ولا خليل، قبور لا تنقل إليها خزائن حفظ المال، بل إنهم سيتركون أموالهم لورثة يتمتعون بها، وينفقونها فيما يشتهون حلالا كان أم حراما.

آمن هؤلاء الصحابة - رضوان الله عليهم - بأن ما عند الله هو خير وأبقى، وأنه الرصيد الذى ينفعهم فى أخراهم، فلم يكتفوا بإخراج زكاة أموالهم المفروضة فقط، بل سارعوا بإخراج أموالهم فى سبيل الله، وأقاموا تجارة رابحة مع الله، ووصل الأمر ببعضهم إلى قيامه بتجهيز جيش كامل للمسلمين على نفقتهم الخاصة.

ولقد سجل التاريخ أمثلة رائعة لهؤلاء الصحابة منهم: سيدنا أبو بكر الصديق، وسيدنا عثمان بن عفان، وسيدنا عبدالرحمن بن عوف - رضى الله عنهم أجمعين - تدل على مدى قوة إيمانهم بالله، وهوان الدنيا فى نظرهم.

وإلى لقاء فى العدد القادم - إن شاء الله تعالى - لنذكر أمثلة عظيمة من إنفاق هؤلاء الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - أموالهم فى سبيل الله.

المجتمعات الإسلامية فى أوروبا الشرقية

عرفت أوروبا الشرقية الإسلام منذ أوائل القرن الرابع الهجرى، فقد أسلم أحد ملوك البلغار، وبعث برسالة إلى الخليفة المقتدر العباسى عام ٣٠٩هـ، يخبره فيها بإسلامه هو وقومه، ويطلب إليه أن يرسل إليهم من يعلمهم شرائع الإسلام وأحكامه، وقد استجاب الخليفة إلى ذلك، وأعد بعثة كبيرة، زودها بالمال والعتاد والرجال، لتقوم بهذه المهمة، وكان المتحدث باسم البعثة رجل يسمى ابن فضلان الذى سجل أحداث رحلته إلى بلاد البلغار، تلك الرحلة التى استغرقت عاما كاملا حتى وصلت إلى عاصمة البلغار بسيبريا على ضفاف نهر الفولجا.

أ. د/ محمد إبراهيم الجيوشى

وقد يتبادر إلى الذهن أن ملك البلغار هذا كان يعيش فى بلغاريا الحالية، ولكن الحقيقة أن ملكه كان على نهر الفولجا فى المنطقة التى تشغلها جمهورية تاترستان حاليا، إحدى جمهوريات الاتحاد الروسى الآن والاتحاد السوفييتى سابقا، وعاصمتها الحالية مدينة قازان، وتقع عاصمة البلغار القديمة شمال قازان بحوالى مائتى كيلو متر.

وقد سجل أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد فى رسالته التى طبعت بعنوان «رسالة ابن فضلان» سجل فيها ما شاهده فى أرض البلغار، والشعوب التى مر بها على مدى عام، وتحدث فى هذه الرسالة عن عادات هذه الشعوب وتقاليدها، وما رآه من مظاهر الطبيعة هناك، وما وقف عليه فى هذه البلاد من غلات وزروع، وتعتبر هذه الرسالة وصفا جامعا لحياة الناس، وأحوال هذه البلاد، ووصف أجواءها وطبيعتها، إلا أنها لم تحدثنا عن السبب المباشر الذى أدى إلى اعتناق هذا الملك وشعبه للإسلام على بعد الديار، وقد ذكر ياقوت الحموى أنه حاول أن يعرف سبب دخول الإسلام إلى تلك البلاد فلم يفلح، وقد أورد رسالة ابن فضلان فى كتابه معجم البلدان، وطبعت الرسالة منذ سنوات فى كتاب مستقل.

والحقيقة التى لا ريب فيها أن الإسلام قد استقر فى هذا الجزء من العالم فى وقت مبكر، قبل قيام الخلافة الإسلامية فى تركيا، وليس ببعيد أن يكون قد نشأ اتصال بين المسلمين فى بلاد الأندلس، ومن أهالى تلك البلاد، فعرفوا الإسلام عن طريقهم، وأسلموا غير أن هذا الاحتمال يقف

فى سبيل أنه كان الأولى بملك البلغار أن يبعث برسله إلى الخليفة فى قرطبة، حيث كانت الخلافة فى قرطبة مزدهرة فى تلك الحقبة، وكانت أوروبا الغربية كلها تبعث بأبنائها إلى بلاط الخلافة، ليتلقوا المعارف على أيدى شيوخ المسلمين وعلمائهم فى الأندلس.

ولعل اتجاه ملك البلغار إلى الخليفة العباسى فى بغداد كان من دوافعه أن يجد حليفا قويا يخيف منافسيه من الحكام المحيطين به، وبخاصة أن مثل ذلك قد تضمنته الرسالة المشار إليها، وربما يكون من بين منافسيه من له صلات وثيقة بالخلافة الأموية فى الأندلس، فأحب أن يجد له حليفا قويا آخر فى الشرق الإسلامى، ومهما كان الأمر فإن هذه احتمالات ليس بين أيدينا سند تاريخى يؤيدها، غير أن الحقيقة التى لا مراء فيها أن الإسلام قد عرف طريقه إلى تلك المنطقة البعيدة منذ العصر العباسى، وبالتحديد فى أوائل القرن الرابع الهجرى، وأن ملكها كتب إلى الخليفة فى بغداد ليرسل إليه من يعلمه وقومه شرائع الإسلام.

الإسلام فى المجر:

ويبدو أن بلاد البلغار كانت مركزا من مراكز الدعوة الإسلامية منذ قديم، فعن طريق أهل البلغار انتشر الإسلام فى بلاد المجر، وكانت هناك جالية ضخمة من المسلمين فى بلاد المجر، وظلت هناك حتى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى على وجه التقريب حين أرغم الملك شارل روبرت جميع رعاياه الذين لم يكونوا مسيحيين على أن يعتنقوا المسيحية أو يغادروا البلاد(١).

أما أن الإسلام قد استقر فى المجر منذ عصر مبكر على أيدى جماعة من البلغار، فيحدثنا عن ذلك ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان حديثا يتبين منه أنه بلغ من استقرار الإسلام فى تلك البلاد أن بعثوا بشبابهم إلى العالم الإسلامى يدرسون علوم الدين، ويعودون إلى بلادهم؛ ليفقهوا قومهم فى دينهم، عملا بالآية الكريمة: **﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾** التوبة: آية ١٢٢.

وقد التقى ياقوت بجماعة من هؤلاء فى مدينة حلب، ذهبوا إليها طلبا للعلم، ثم أخذ يحدثنا عنهم، وعن دوافعهم من مجيئهم إلى حلب، فقال: «أما أنا فقد وجدت بمدينة حلب طائفة كبيرة يقال لهم «الباشغردية، شقر الشعور والوجوه جدا، يتفقهون على مذهب الإمام أبى حنيفة رضي الله عنه، فسألت رجلا منهم استعقله عن بلادهم وحالهم، فقال: أما بلادنا فمن وراء القسطنطينية فى مملكة أمة من الإفرنج يقال لهم «الهنكر» يعنى المجر، ومن أسمائهم الهنغاريون، ونحن مسلمون رعية لملكهم فى طرف بلاده نحو ثلاثين قرية، كل واحدة تكاد تكون بليدة، إلا أن ملك الهنكر لا يمكننا أن نعمل على شئ منها سورا، خوفا من أن نعصى عليه، ونحن فى وسط بلاد النصرانية، فشمالينا بلاد الصقالبة، وقبلينا بلاد الباب يعنى رومية، والبابا رئيس الإفرنج، هو عندهم نائب المسيح، كما هو أمير المؤمنين عند المسلمين، ينفذ أمره فى جميع ما يتعلق بالدين فى جميعهم، قال: وفى غربينا الأندلس، وفى شرقينا بلاد الروم قسطنطينية وأعمالها.

فسألته عن سبب إسلامهم، مع كونهم وسط بلاد الكفر، قال: سمعت جماعة من أسلافنا يتحدثون: أنه قدم إلى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد البلغار، وسكنوا بيننا، وتلطفوا فى تعريفنا ما نحن عليه من الضلال، وأرشدنا إلى الصواب من دين الإسلام، فهدانا الله، والحمد لله، فأسلمنا جميعا، وشرح الله صدورنا للإيمان، ونحن نقدم إلى هذه البلاد ـ حلب ـ نتفقه، فإذا رجعنا إلى بلادنا أكرمنا أهلونا وولونا أمور دينهم(٢).

التسامح الإسلامى يفتح القلوب للإسلام فى شرق أوروبا

عرفنا أن الإسلام ظل فى المجر حتى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى، حينما أرغم ملك المجر

كل السكان على اعتناق الكاثوليكية أو الهجرة، وكان التعصب هو الذى يحرك هذا الملك وأمثاله، وكانت مملكة المجر قد اتسعت حتى شملت بلاد الصرب، وذاق سكان الصرب منها الشىء الكثير، ولم يقتصر ذلك على السكان المسلمين فقط، بل كان الصربيون المسيحيون عرضة أيضا للاضطهاد والعنف لاختلافهم فى المذهب حتى ضاقوا بهم، وتحينوا الفرص المواتية للتخلص من حكمهم الظالم المستبد المتعصب، وتعاونوا مع المسلمين على تحقيق ذلك، حتى إن أهل البلاد المسيحيين لما خيروا بين حكم المجر الكاثوليكى، وبين حكم الأتراك المسلمين اختاروا الأتراك لتسامحهم، وتركهم حرية العقيدة لأصحابها يباشرونها بدون إكراه، وهذه حسنة من حسنات الإسلام اتسم بها الأتراك لما قاموا باسم الإسلام، ولكن الناس يفوتهم أن يتحدثوا عن هذا التسامح، ويسجلوه للحكام الأتراك من المسلمين، وليت صرب اليوم يتعظون بما كان بالأمس، فقد ذاقوا من التعصب فى الماضى، وهم اليوم يمارسون أبشع صور الوحشية والتعصب ضد المسلمين الذين وقفوا معهم بالأمس ضد التعصب الكاثوليكى، الذى كان يحمل لواءه ملك المجر، وكذلك تعرض سكان البوسنة للاضطهاد والإبادة بتحريض من بابا روما حتى قبل أن يعتنقوا الإسلام، لأنهم ليسوا تابعين للكنيسة الكاثوليكية، وكانوا يسمون «اليوجوميل»، وقد كان تعرضهم لهذا التعصب المقيت أحد الأسباب فى اعتناقهم الإسلام، ولنستمع إلى مؤرخ مسيحى يؤكد هذه الحقيقة التى نحب أن نسوقها للعالم أجمع، وبخاصة المسيحى منه؛ ليروا كيف كان التسامح فى ظل الإسلام وكيف ساد القهر والتعصب والاضطهاد والبطش فى ظل غيره، يقول سير توماس آرنولد وهو يبين لنا أسباب اعتناق أهل البوسنة للإسلام: «ربما كان يسرّ المسلمين من أهل الصرب أن يتخلصوا من حكم المجر كمواطنيهم المسيحيين؛ لأنه لما عرض عليهم هؤلاء ، أن يختاروا بين الحكم الرومانى الكاثوليكى فى المجر، وحكم الأتراك الإسلامى دعاهم تقديس الصربيين للكنيسة الإغريقية إلى إيثار تسامح المسلمين على روح اللاتينيين التى جبلت على حب التبشير بمذهبهم، والتى لا تعرف المصالحة واللين، ولما قامت الحرب بين المجر والأتراك. سأل رجل مسيحى يسمى جورج برانكوفتش ملك المجر: ماذا تصنع لو انتصرت؟ فكان جوابه: أؤسس العقيدة الرومانية الكاثوليكية، وألقى نفس السؤال على سلطان تركيا، فأجاب: أقيم كنيسة إلى جانب كل مسجد، وأدع مطلق الحرية لكل فرد فى أن يصلى فى أيهما شاء».

«وكان اضطهاد الكنائس بعضها لبعض عاملا مباشرا من عوامل الترحيب بالإسلام بين أهل أوروبا الشرقية كما كان ذلك من قبل فى الشرق، ولو شئت أن تعرف تفاصيل ذلك فما عليك إلا أن تقرأ عن تاريخ بلاد البوسنة، وكيف كانوا يعانون من وطأة الاضطهاد والتعرض للإبادة والقتل بتحريض من البابا فى روما؛ لأنهم ليسوا تابعين للكنيسة الكاثوليكية، فلذلك كتب البابا إلى أمير البوسنة أن يستأصل شأفة هؤلاء الذين سماهم الخوارج ولم يجد «اليوجوميل» وهم سكان البوسنة إلا أن يمدوا أيديهم إلى الأتراك؛ ليحتموا بهم من الاضطهاد الذى تعرضوا له، بعدما فر منهم أربعون ألفا إلى البلاد المجاورة، وسيق من لم يستطع الهرب مكبلا بالحديد إلى روما»(٣).

وكأنما يعيد التاريخ نفسه، ويتعرض أهل البوسنة إلى هذه المذابح التى لم يشهد التاريخ لها مثيلا، ولكن هذه المرة على أيدى الصرب الذين عاونوهم من قبل على مواجهة الاضطهاد الكاثوليكى.

ولكن كيف اعتنق شعب البوسنة الإسلام؟

إنها صفحات موغلة فى التاريخ مليئة بالمآسى، مجللة بخزى التعصب، الذى يفقد الناس معانى الإنسانية، ولا نحب أن نقول شيئا من استنتاجنا لدراسة أحداث التاريخ ووقائعه، حتى لا يقال: إن دافع ذلك هو التعاطف الدينى، ولكن دعونا نستمع

مرة ثانية إلى ما سجله سير توماس آرنولد حول شعب البوسنة، وأسباب اعتناقه للإسلام، يقول: «هذا الشعب الذى استعصى على الكنيسة الكاثوليكية قرونا، وذاق من اضطهادها ما ذاق، لا لشئ إلا أنه ليس كاثوليكيا، وإن كان مسيحيا، ذلك الشعب أدهش الناس أنه دخل فى الإسلام، وتحمس له، وقد تحدث كثيرون عن سبب دخولهم فى الإسلام، وادعى البعض أنهم فعلوا ذلك تقية حتى تواتيهم الفرصة ليعودوا إلى دينهم؛ ولكن هذه الدعوى لا سند لها من الحقيقة؛ لأن أحدا لم يرغمهم على الدخول فى الإسلام، وقد رفض سير توماس آرنولد هذا الادعاء وفنده، وقال فى صراحة: إنه فرض قائم على الحدس والتخمين، وليس هناك دليل واحد يدعو إلى الأخذ به، ولم يكتف بذلك بل أخذ يكشف عن الأسباب الحقيقية التى دعت هذا الشعب إلى الدخول فى الإسلام طواعية واختيارا.

أسباب اعتناق شعب البوسنة الإسلام:

وترجع هذه الأسباب إلى ما يلى:

أولا: التقارب الكامل بين الإسلام وبين العقائد المسيحية التى كان يدين بها هذا الشعب، والتى لم ترض عنها الكنيسة، وفى ذلك يقول: «ولعل السبب فى رضى «اليوجوميل» بالسماح لأنفسهم أن ينتظموا فى سلك عامة المسلمين المؤمنين راجع إلى مواضع كثيرة تتشابه فيها عقائدهم الخاصة ومبادئ الإسلام فقد رفضوا عبادة مريم العذراء، ونظام التعميد، وكل صورة من صور الكهنوت، وعابوا حفلات الكنيسة ورؤسائها، وأطلقوا على القسيس من الأرثوذكس اسم القسس العميان، وكانوا يهرونهم كما تهرُّ الكلاب الخيل، وأكدوا أن العشاء الربانى لايصان تبعا لوصية الرب، وأنه ليس عبارة عن جسد الرب، ولكنه كأى خبز آخر، وأنكروا الصليب رمزا دينيا، وعدوا من عبادة الأصنام الانحناء أمام الصور الدينية والتماثيل وآثار القديسيين وكانت بيوت صلواتهم ساذجة خالية من الزينة، وهذا خلاف الكنائس الكاثوليكية الرومانية التى تحلت بالزخارف الزاهية، وشاركوا المسلمين فى كراهة النواقيس التى أطلقوا عليها أبواق الشيطان، واعتقدوا أن المسيح نفسه لم يصلب، وإنما حل محله شبح آخر، وهم يتفقون فى هذه الناحية فى جانب مما جاء به القرآن(٤)، وذمهم الخمر، وتزمتهم البادى فى أسلوب حياتهم، وتشددهم البالغ فى سلوكهم الخارجي، كل هذه الروابط قد ساعدت على توثيق صلتهم بالإسلام، إذ قيل عنهم «إنك سترى هراطقة هادئين مسالمين كحملان طليقة فى العراء، ساكتين شاحبى اللون من صيام يشوبه النفاق، لا يكثرون الكلام، ولا يضحكون بصوت عال يطلقون لحاهم، ويظهرون بمظهر الوقار»(٥).

كانوا يصلون خمس صلوات بالنهار، وخمسا بالليل، مرددين صلاة الرب مع سجدات كثيرة، ومن ثم وجدوا التغيير ضئيلا بانتقالهم إلى الصلوات فى المساجد.

ولا يملك المرء نفسه حينما يراه تندفع إلى مقارنة، ما واجهه المسلمون من اضطهاد تحت الحكم الشيوعى الذى انهار، وما عاناه المسلمون من إغلاق لمساجدهم وتشويه لدينهم، ووحشية يمثلها ما لاقاه سكان القرن المسلمون من إبادة وتحريق، قضت على خمسة ملايين منهم بدون رحمة ولا شفقة، وما واجهه المسلمون فى البوسنة على أيدى الصرب المتوحشين.

الهوامش:

١ ـ راجع الدعوة الإسلامية لتوماس آرنولد ـ الطبعة الثانية ص٢٢٣ ترجمة البحراوى وآخرين.

٢ ـ معجم البلدان جـ١ ص٣٢٣ طبع دار صادر.

٣ ـ راجع تفاصيل ذلك فى الدعوة إلى الإسلام ص٢٢٦، ٢٢٧.

٤ ـ يشير إلى قوله تعالى: **﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾**.

٥ ـ هذا الوصف يعبر عن رأى الكنيسة الكاثوليكية فيهم.

كل ما ورد فى القصص القرآنى - من أشخاص وأحداث ومجتمعات وأقوام وأمصار وقرى حقائق قد وقعت فعلا - مافى ذلك شك!!

وإن المتقولين بأن القصص القرآنى لم يحمل فى أطوائه الأحداث التى جاء بها - على مدى الزمان والمكان، وأنه قد بعد عن الواقع - هؤلاء المتقولون وأمثالهم هم أعداء الله.. وما من مسلم فى قلبه ذرة من إيمان يتقول على الله، ذلك لأن الحياة كلها بأزمنتها وأمكنتها وأشخاصها وأحداثها حاضرة بين يدى الله الحكيم العليم، بين يدى من لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء «فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين* وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم» الجاثية: الآيتان ٣٦، ٣٧.

د. محمد حسين الدالى

القصص القرآنى حقائق وأحداث واقعية

وإذا كنا نحن البشر نلجأ إلى الخيال والوهم لننسج منهما قصصا حينما يعجزنا الواقع، أو لم يسعفنا بما نتصوره، فإن قدرة الخالق جل وعلا - لا يعجزها شىء تريد فيقع ما تريد كما أرادته دون قصور أو مهل، إنها إرادة لا يخالطها وهم، ولا يطوف بها خيال، ولا تعللها الأمانى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فإذا كان المستشرقون المتعصبون ومن خالطهم من أنصاف المثقفين السوفسطائيين يفترون هذه الفرية، فقد جاءوا ظلما وزورا.. إنهم يتهمون قدرة الله، وينسبون إليه ما ينسب إلى البشر من عجز وقصور ولجوء إلى الخيال حينما يعجزهم الواقع وتعمى عليهم الحقائق.

الحقيقة والواقع

ولاشك أن الأحداث التى يقتطعها القصص القرآنى من شريط الحياة هى الحقيقة الواقعة والصدق الخالص **﴿وبالحق أنزلناه* وبالحق نزل﴾** الإسراء: آية ١٠٥، **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾** الحديد: آية ١٦، **﴿ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق﴾** البقرة: آية ١٧٦، **﴿نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه﴾** آل عمران: آية ٣، **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** الحجر: آية ٩. **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾** فصلت: آية ٤٢.

وإذا كان القصص القرآنى قد نقى هذه الأحداث وغربلها، وحسن عرضها، وخلصها من الزوائد والحواشى التى لا تفيد شيئا فى تصوير هذه الأحداث، إذا كان ذلك هو الشأن، فلا يصح أن يكون مسوغا لأن يتهم بأنه ليس من صميم الواقع، أو أنه غيّر فى معالم الواقع، وبدل من الحقائق التى وقعت.

وإذا كانت - الآن قد ازدهرت الترجمة، وتعلم الناس كيف ينقلون ويترجمون ما يحيك فى صدور المتكلمين بالأوروبية إلى العربية وبالفارسية إلى التركية، ومن كل أولئك إلى العربية وبالعكس، وإذا كان الأمر كذلك أفلا يكون ذلك أيسر وأقدر على

من جعل الألسنة فى خلقتها مختلفة **﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾** الروم: آية ٢٢، أفلا يكون ذلك أيسر وأقدر على من خلق الخلق وهو أعلم بهم **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾** الملك: آية ١٤.

فالذين يتقولون بأن القرآن قد تحدث بلسان عربى عن ألسنة غير عربية فهذا ادعاء باطل أيضا، إن القرآن لم يتقول على قوم نوح حين ترجم ما نطقوا به، ولم يتقول على أقوام عاد وثمود وصالح وموسى وعيسى، إنما نطق بما نطق به هؤلاء الأقوام، إنه المضمون الحق، والمحتوى الصادق الأمين لما تكن صدورهم وتجمجم به أفئدتهم، فإذا كانت حكمته وقدرته أنطقت السموات والأرض، أليس ذلك بقادر على أن ينطق من خلق لهم الألسنة؟ ينطقهم بالعربية، ويترجم ما نطقت به دلالة حالهم، فإذا جاءت كلمات الله ناطقة بما نطقت به ألسنة الحال أو المقال، فهو الصورة الكاملة - روحا وشكلا ومضمونا ومحتوى - لما نطق به الناطقون، وأعجزهم العجز عن البيان به أو التعبير بلسان عربى مبين.

ولنعرض - الآن بعض القصص القرآنى، لندلل بها على أن القرآن حينما عرض هذه القصص، إنما استقاها من مصدرها الواقعى، بأحداثها وخلجاتها ومواقفها وتعبيراتها وحركاتها وسكناتها على مسرح حياتها الغابرة.

هل كان الذى حدث لإصحاب الكهف موتا حقيقيا أم كان سباتا ونوما طويلا؟ كلا الأمرين يمكن أن يكون مادام ذلك متعلقا بقدرة الله، وكذلك الشأن فى ذلك الرجل الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها، فهو رجل يؤمن بالله، وكان يريد أن يستوثق لإيمانه، ويطلب له المزيد من الأدلة والشواهد، فالرجل حينما مر على هذه القرية التى اندثرت معالمها، وخمدت حياتها، وصار كل شىء فيها إلى تباب ويباب، فتساءل: هل تعود هذه المعالم التى بلاها البلى، وأكلها التراب، مرة أخرى إلى الحياة؟ أذلك ممكن؟ فعلم الله - تعالى - ما يدور بخلده، وما يتجمجم فى صدره، فأعاشه التجربة الحية، وأماته مائة عام، ثم أحياه، ووجد الرجل هاتفا من قبل الله يسأله عن الزمن الذى لبثه، فوضع فى تقديره أن ما لبثه يوما أو بعض يوم، ولم يدر بخاطره أنه لبث مائة عام، وأخبره الهاتف بالحقيقة وطلب منه أن ينظر إلى طعامه وشرابه اللذين لم يدخلهما فساد، وإلى حماره مازال قائما إلى جواره كما تركه **﴿أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير﴾** البقرة: آية ٢٥٩.

فهاتان القصتان قد وقعتا بالفعل:

الأولى: فى قصة أصحاب الكهف والعبرة فيها موقفهم من الضلال الذى كان مطبقا على بيئتهم التى عاشوا فيها، وفى تخليص أنفسهم من هذا الضلال، وفى تضحيتهم بالأهل والمال والوطن، فى سبيل عقيدتهم، والفرار بدينهم من هذه الفتنة المهلكة، وأخيرا قدرة الله على بعث الموتى.

والثانية : جعل هذا الرجل الذى أراد أدلة على إحياء الله الموتى - آية لكل من يشك فى قدرة الله تعالى - على البعث والنشور بعد الممات.

وهاتان التجربتان المثيرتان ليستا إنشاء أو خيالا، فأحبار اليهود يعلمون تماما حقيقتيهما، وقد اختلفوا فى عدد السنوات التى مكثها أبطال القصتين.

ماذا ينتظر المستشرقون أو المنافقون؟ ومن سلكوا مسلكهم من الدارسين؟

هل ينتظرون أن يجيء القرآن الكريم بالأشخاص والأحداث، فيبعثها من مرقدها، ويحركها من جديد لتنطق بما نطقت به، أو لتشير بما كانت قد أشارت إليه؟

إن القصص القرآنى لم يخرج عن المألوف، أو سنة الحياة التى يحياها الناس فى رواية أخبار الأمم السابقة، ويتناقلونها - على اختلافهم - فالمعيار الأول والأخير هو الصدق فى الرواية والأمانة فى النقل، والدقة فى التصوير والتعبير، ولن يكون ذلك على أتم تمامه، وأكمل كماله إلا فى القرآن. **﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾** النساء: آية ٨٧.

وتجربة سيدنا إبراهيم عليه السلام صورة أخرى وتمثل المؤمن الذى يطلب المزيد من الإيمان، ليقتل فى نفسه كل وسواس، وليخمد فى صدره كل همسة من همسات الشيطان **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾** الحج: آية ٥٢، فالحكم فى الآية صريح لا انفكاك منه، يقع على رسل الله وأنبيائه جميعا، فالشيطان راصد لكل نبى وكل رسول وهذا الموقف موقف أبى الأنبياء جميعا لا ينتقص من إيمانه، إذ كانت غايته طلب المزيد من النور، والجديد من العلم، وقضية الموت والبعث هى الثغرة التى تنفذ منها رميات الشيطان إلى قلوب المؤمنين.

وجد إبراهيم عليه السلام أن ألطاف الله تحف به، ونفحاته ورحماته لا تنقطع عنه، فهفت نفسه إلى أن يسأل ربه - بدافع غريزة حب الاستطلاع - السؤال الذى يتضمن معنى الآيات الحوارية التالية:

﴿وإذ قال إبراهيم﴾:

- رب أرنى كيف تحيى الموتى؟

ومن ثم جاء الجواب متخذا اتجاها آخر غير متجه السؤال **(قال)**:

- أو لم تؤمن؟

إثارة لمشاعر إبراهيم واستحضارا للإيمان الذى يعقد عليه قلبه، ولهذا كان جواب إبراهيم (قال):

﴿بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾.

فكشف الله له عن تجربة يجريها إبراهيم بنفسه، ويصنعها بيده، ويشهد على آثارها بعينه **(قال)**:

- **﴿فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾** البقرة: آية ٢٦٠.

ويقوم إبراهيم عليه السلام بالتجربة فيأخذ من الطيور أربعة مختلفة ويضمها إليه، ويتعرف عليها حتى تألفه ويألفها، ثم يقطعهن أجزاء وأشلاء، ويجعل كل شلو على رأس جبل، ثم يدعوها إليه بأسمائها التى أطلقها عليها، كما يدعو أهله ومعارفه بأسمائهم، وتتم التجربة وتجيء الطيور الأربعة بسرعة، فليس فى هذا خيال أو افتعال، وإنما هى أمثلة لقدرة الله وحكمته عن طريق التجربة الحسية، والإعاشة الحية، التى اهتاجت لها المشاعر، وخفقت لها الأفئدة.

والحقيقة التالية التى لا يتطرق إليها الشك تتجلى فى هذه الدعوة إلى البر والإحسان، وكما يربو الإيمان وينمو فى طريق الهداية والعلم يربو أيضا غرس الحق والخير، فالذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله، إنما يجنون ثمرة هذا الغرس الذى غرسوه فى سبيل الله أضعافا مضاعفة، كما يزرع الزارع حبة فى أرض طيبة فتنبت سبع سنابل، تحمل كل سنبلة مائة حبة، هكذا الحبة تعطى سبعمائة حبة، والحسنة تجازى بسبعمائة حسنة يقول الله تعالى: **﴿مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾** البقرة: آية ٢٦١.

لو تعلمون.. فضل الزكاة

شعر: عبدالغنى أحمد ناجى

فيها العلاج هى الزكاة بكل حين ... والخير معقود بها لوْ تعلمونْ
داووا بها الأمراض قال رسولنا ... ومحمد هو صادق، وهو الأمينْ
والله ألهم من يعانى علَّة ... دفع الزكاة فسرُّها فوق الظنونْ
جاء الشفاء من الإله بفضله ... فشدا المريض مغنيًا بدل الأنينْ

* * *

وهى الحفاظ إذا نشدنا دائما ... من يحرس الأموال من عبث يكونْ
وبها النماء لمالِنا من ربنا ... فالسر فى البركات كالحق المبينْ
إن النماء زيادة مستورةٌ ... والنقص بالصدقات فى مرأى العيونْ
يسرى النماء كأنه الماء النَّمـ ... ـيرُ يسير يحيى أرضنا بعد السكونْ

* * *

قد ينجح الأولاد دون مُدرس ... وتُفرج الكربات فى شتى الشئونْ
ويسد باب للبلايا دوننا ... من سر عون للفقير المستكينْ
هذا الفقير يكنُّ حبا صادقا ... للأغنياء الباذلين المحسنينْ
ففؤاده يدعو لهم ولسانه ... قد ترجم الدعوات فى عذب اللحونْ
لحن الفقير هو الأمانى التى ... يرجو بها الخيرات للمتصدقينْ

* * *

المال ينمو والمريض شفاؤه ... يسرى يعانق - بهجة - من ينجحونْ
هل بعد هذا راحة نفسية ... هل بعد هذا نرتجى يامسلمونْ؟!

* * *

لمَ لا نسارع للزكاة وسرها ... كى نحصد الثمرات، والخير الدفينْ
لم نكثر الحجات ننفق مالنا ... ووراءنا الفقراء فى وضع مهينْ
والحج فرض مرة فى عمرنا ... وزيادة أولى بها جوعى البطونْ

الإسلام وقضايا الحوار

مقدمة:

نحن جميعا ندرك أن ما يشهده عالم اليوم من مشكلات سياسية واقتصادية وبيئية وغيرها من مشكلات تتطلب البحث عن حلول ناجعة لها؛ تدفعنا دفعا إلى ضرورة التحاور العميق بين العالم الإسلامى والغرب، والمقصود هنا ليس مجرد التحاور بين بعض الأفراد من أصحاب النيات الطيبة من الجانبين، وإنما المقصود هو التعاون بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وبخاصة على المستوى العلمى من أجل خير هذا العالم واستقراره، ومن الواضح أن وحدة هذا العالم وفرصته فى الحياة ومدى قوة ترابطه تتأثر سلبا أو إيجابا بمقدار قوة أو ضعف أى حلقة من حلقات السلسلة التى تجمع أمم العالم المختلفة.

فما الذى ينبغى عمله فى هذا الصدد؟

هذا ما سيحاول الإجابة عليه هذا الكتاب الذى نعرض له، فمؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وهو من المعنيين بقضية العلاقة بين الإسلام والغرب وأطر هذه العلاقة، ولخبرته الطويلة فى هذا المجال، وثقافته ومشاركته فى العديد من المؤتمرات والمحافل الدولية بألمانيا وغيرها من الدول الغربية، جاء هذا الكتاب ليسهم فى توضيح صورة الإسلام والمسلمين من خلال الإقناع الهادئ والعرض الموضوعى لتعاليم الإسلام المفترى عليه.

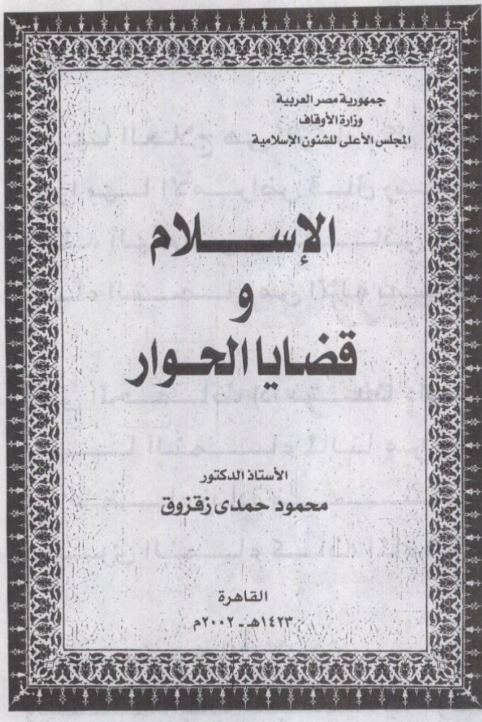

تأليف: أ. د. محمود حمدى زقزوق

عرض: حسن أحمد خليل

والكتاب هو عدة بحوث ألفت باللغة الألمانية وألقيت فى ندوات ومحافل دولية بأوروبا، وهو مكون من اثنى عشر فصلا كلها تهدف إلى إثراء النقاش من أجل تنشيط الحوار الدائر بين الأديان والحضارات، ومن أجل تحقيق الأهداف المرجوة نحو مزيد من التفاهم والتعاون بين الحضارات والأديان لما فيه الخير للبشرية جمعاء.

والعلاقات الثقافية بين العالم الإسلامى والغرب.

تحت هذا العنوان أوضح المؤلف أننا بتأمل مسار الحوار الإسلامى الغربى الذى تم حتى اليوم نجد أنه كانت له كثير من خصائص المنولوج أو الحوار من طرف واحد، وقد ترك ذلك على الجانبين انطباعا بأن إمكانية الحوار الحقيقية غير قائمة، فكل جانب لم يستطع فهم الجانب الآخر، ولكن هذا الأمر يجب ألا يفقدنا الأمل فى قيام حوار مثمر بين الجانبين.

فإذا كانت هناك اختلافات حضارية، فهذه الاختلافات ليست مطلقة مثلما يبدو، ولذا فإن محاولة التعرف على الآخرين تعرفا حقيقيا أمر لا ينبغى التخلى عنه، وإذا كانت هناك شعوب وأمم مختلفة بين البشر، فإن هذا الاختلاف بينها يدعوها إلى أن يتعرف كل منها على الآخر، بل إن وجهة النظر الإسلامية هنا ترى أن التعارف هو سبب وجودها على هذا النحو، فالقرآن الكريم يقول فى ذلك: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾** الحجرات: آية ١٣.

ويرى المؤلف أن لغة العلم يمكن أن تخدم بوصفها وسيلة التفاهم فى تحقيق الحوار بين الحضارات المختلفة، ولكن هذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تم التعامل بطريقة موضوعية عقلانية ودون أن تعكر صفوها نزعات أو ميول جدلية أو تبشيرية أيديولوجية لأن العلم ينبغى أن يزيل سوء الفهم، ويضع مكانه فهما صحيحا، ولكن الفهم الصحيح للحضارات الأخرى يتطلب تدريبا تخصيصيا وتكوينا ثقافيا، وقد يتوفر التدريب التخصصى، وتغيب الثقافة الضرورية أو تكون مقصورة، وهنا تنشأ حينئذ آراء لا تعدو فى الغالب أن تكون خليطا من سوء الفهم الخاص وأخطاء مأخوذة من الآخرين.

بين أوروبا والإسلام قواسم مشتركة تسهم فى إقامة حوار فعال

فمن أجل ذلك يجب أن تسود روح التسامح، لأنها تعد اليوم أمرا ضروريا لا غنى عنه أكثر من أى وقت مضى، ويمكن القول بأن روح التسامح يجب أن تسبق روح الفهم الصحيح، فالتسامح الذى يعد شكلا من أشكال الهدنة العقلية، إن صح التعبير - يجعل من السهل الوصول إلى الفهم الصحيح للآخرين.

والتاريخ يحدثنا عن أمثلة كثيرة للتعاون بين العالمين الإسلامى والغربى فى المجال الحضارى بصفة عامة، وفى المجال العلمى على وجه الخصوص، ومن منطلق الرؤية التاريخية فإن كافة الأمور المشتركة ترجح على كافة الاختلافات، وهذا أمر يدعو إلى التفاؤل وإلى المزيد من الأمل.

الإسلام وأوروبا: ضرورة الحوار وآفاق المستقبل:

يرى المؤلف أن الحوار بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية، قديم قدم الإسلام ذاته. والدليل على ذلك كما يطالعنا التاريخ ذلك الحوار

الدينى الذى أجراه رسول الله ﷺ مع وفد نصارى نجران والذى يعد النموذج الأمثل لأى حوار حضارى حيث سمح لهم رسول الله ﷺ بالصلاة فى مسجده.

والإسلام دين يطالب المسلمين بكل صراحة ووضوح بالاعتراف بكل الأديان السماوية السابقة، دون تفرقة بين الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وفى ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**﴾ البقرة: آية ٢٨٥.

بل إن المسلمين تعاطفوا مع المسيحيين منذ البداية وتضامنوا مع الذين ينتمون مثلهم إلى دين سماوى، وذلك حينما انهزم الروم المسيحيون من الفرس الوثنيين، حزن المسلمون لهذه الهزيمة فنزل القرآن الكريم ليخفف عنهم وقع هذه الصدمة مبشرا بأن الروم سينتصرون فى المرة القادمة، وتحقق وعد الله ﴿**ألم* غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون* فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله**﴾ الروم: الآيات ١ - ٤.

ضرورة التضامن:

وهنا يوضح المؤلف أن العالم المعاصر الذى أصبح بمثابة قرية كونية يحتاج أكثر من أى وقت مضى إلى التضامن الشامل لإقامة نظام راسخ لسلام عالمى، نظام سياسى كونى يسعى لمراعاة حقوق كل الناس بما فيهم الفقراء، وبدون ذلك لن يستطيع العالم حل المشكلات التى تحاصره من كل جانب.

عالمنا المعاصر فى حاجة إلى التضامن لإقامة نظام راسخ لسلام عالمى

عقبات التفاهم:

وتحت هذا العنوان يوضح المؤلف أن هناك عقبات تقف حجر عثرة فى طريق الحوار بين الإسلام وأوروبا على وجه الخصوص فى صورة العداوة المتبادلة، والتى تطورت عبر التاريخ، وهناك جهود حثيثة من جانب أصحاب المصالح على كلا الجانبين للترويج لهذه الصورة السلبية لتحقيق أغراض سياسية.

وهناك عقبة كبرى من عقبات الحوار تتمثل فى التجاهل وعدم الاكتراث على الجانب الغربى، وهذا التجاهل يتعلق بالأحداث المتلاحقة فى عالمنا، والأسباب التى تقف وراء حدوثها، والجهود التى يجب أن تبذل لمواجهتها، وما يحدث فى فلسطين على سبيل المثال يعتبر نموذجا صارخا على ذلك.

التأثير المتبادل:

يرى المؤلف أن الحوار من شأنه أن يثرى تبادل الأفكار والرؤى بين الحضارات، وهذا بدوره ناتج عن التأثير المتبادل، فقد شيدت أوروبا حضارتها الحديثة وقامت بتطويرها وعملت على تنمية ذاتها من خلال التفاعل الحضارى، وهذا ما حدث فى

صدام الحضارات دعوى يكذبها الواقع

العصر الوسيط حيث تحررت من الفكر الاعتقادى الضيق عن طريق تلقيها مؤثرات ودوافع عملية وحضارية مهمة من الحضارة الإسلامية التى كانت حينذاك تعيش عصر ازدهار حضارى لا نظير له فى أى مكان فى العالم.

واليوم نجد الأمر على العكس من ذلك، فأصبح العالم الإسلامى يأخذ بالإنجازات الأوروبية العملية والتكنولوجية ولكن المسلمين فى الوقت الذى يأخذون بالمدنية التكنولوجية لعالمنا يسعون لإحياء حضارتهم، وفى الوقت ذاته يحافظون على حضارتهم وذاتيتهم من ناحية، مع التكيف المطلوب مع متطلبات العصر من ناحية ثانية، وهذا أمر لا تستطيع المدنية التكنولوجية السائدة أن توفره لهم.

لغة العلم وسيلة للتفاهم وإزالة سوء الفهم

القواسم المشتركة:

بين أوروبا والبلاد الإسلامية قواسم مشتركة أكثر مما يتصوره المرء فى هذا الجو المشحون بالكثير من الاختلافات والنزاعات حيث يرى المؤلف أن البحر المتوسط يربط بينهما جغرافيا، والدين الإسلامى والدين المسيحى اللذان يعدان القاعدة الأساسية لحضارتيهما يتطابقان فى رسالتيهما تطابقا جوهريا وبصفة خاصة فى تأكيدهما للرحمة الإلهية التى تعلو على كل القوانين والتشريعات وكلاهما يؤكد مسئولية الإنسان فى هذا العالم، علاوة على كونهما رسالات سماوية.

دعوى صدام الحضارات:

يرى المؤلف أن دعوى صدام الحضارات التى أطلقها هنتنجتون دعوى يكذبها الواقع، لأن الحضارات تشكل التقدم المادى والروحى للإنسانية؛ لأنها تجارب البشرية فى سعيها نحو التقدم والرقى والسلام على مدى التاريخ، إنها تعنى التسامح وقبول الآخر والانفتاح على كل الحضارات والثقافات والأديان.

ولايزال الحوار مع الآخرين طريقا مفتوحا أمام المسلمين للتعريف بالإسلام - الذى هو دين السلام - وشرح قضاياه، وإبراز الوجه الحضارى لهذا الدين الذى لا يعرف الإرهاب والتطرف، فالإرهاب ظاهرة عالمية موجودة فى تاريخ كل الحضارات، وليس صناعة إسلامية، والمسلمون أنفسهم ضحايا للإرهاب، ولن يستطيع العالم القضاء على الإرهاب إلا بالتعاون مع المسلمين من أجل أمن وسلام واستقرار هذا العالم الذى هو عالمنا جميعا.

رئيس الكونجرس الإسلامى الكندى

مليون مسلم فى كندا بحاجة إلى الدعم لمواجهة حملات تشويه صورتهم بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر

مازالت الآثار والتداعيات السلبية لأحداث الحادى عشر من سبتمبر تفرض نفسها على الإسلام والمسلمين فى كندا الذين باتوا يتعرضون لمواقف تتسم بالتمييز العنصرى، وهذا يلقى بمسئولية كبيرة على قادة العمل الإسلامى هناك لاتخاذ ما يلزم لاجتياز هذه المحنة بما يحفظ للجالية الإسلامية كرامتها ويعيد لها مكانتها فى هذا المجتمع.

ومن هؤلاء الذين نذروا حياتهم لخدمة الإسلام والمسلمين أ.د.محمد إبراهيم المصرى - رئيس الكونجرس الإسلامى الكندى - الذى ألف العديد من الكتب بلغت أكثر من ثلاثة عشر كتابا أهمها كتاب بعنوان «ألف سؤال عن الإسلام» نشر باللغة الانجليزية، وله أكثر من أربعمائة بحث، وأشرف على أكثر من مائة وخمسين رسالة دكتوراه، وهو من أشهر علماء الإلكترونيات الدقيقة فى العالم.

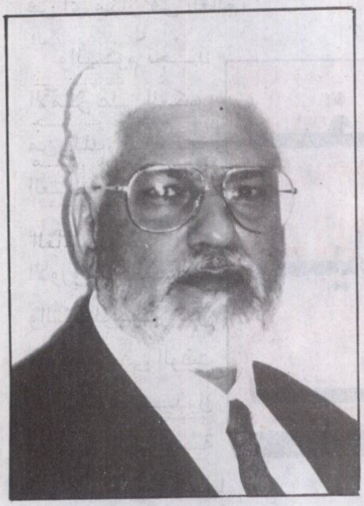

أ.د. محمد إبراهيم المصرى
رئيس الكونجرس الإسلامى الكندى

حوار: محمد كامل شاهين

وقد رأت مجلة «منبر الإسلام» أن تجرى معه حوارا لإلقاء الضوء على أحوال الإسلام والمسلمين فى كندا.

● ماهو الدور الذى يقوم به الكونجرس الإسلامى الكندى؟

- لقد أنشئ الكونجرس الإسلامى الكندى عام ١٩٩٥م وسجل لدى الحكومة الكندية الفيدرالية سنة ١٩٩٨م، وهو يهتم بشئون المسلمين فى شتى المجالات الذين يبلغ عددهم حوالى مليون نسمة من جملة عدد السكان البالغ عددهم حوالى ٣٠ مليون نسمة، ويتركزون فى مدن تورنتو، مونتريال، أرتاوا - فانكوفر. كما يعمل على الدفاع عن الإسلام فى وسائل الإعلام الكندية والتعريف بهذا الدين الحنيف لغير المسلمين وإبراز سماحته وعدله وتعايش أبنائه مع الديانات الأخرى.

حرية العقيدة

● هل يمارس المسلمون شعائرهم الدينية بحرية أم أن هناك قيودا تفرض عليهم؟

- يمارس المسلمون شعائرهم الدينية بحرية تامة ولكنهم يواجهون بعض المصاعب والمضايقات بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، فبعض وسائل الإعلام الكندية تشوه صورة الإسلام والمسلمين، ولكننا من جانبنا نقوم بدراسة أكاديمية دقيقة وموثقة عن العداء للإسلام فى أكبر الصحف الكندية ونشرات التليفزيون ونقوم بنشر تقرير سنوى عن الصحف ومحطات التليفزيون الكندية التى تشوه الإسلام، وتهتم وسائل الإعلام الكندية بهذا التقرير السنوى ويدرس هذا التقرير فى كليات الإعلام الكندية، وقد نال هذا التقرير جائزة أحسن مشروع لمكافحة العنصرية لهذا العام.

● بمناسبة مرور أكثر من عام على أحداث الحادى عشر من سبتمبر، ما هو انعكاس ذلك على أوضاع المسلمين فى كندا؟

- يقوم الكونجرس الإسلامى الكندى بمداخلات مع الحكومة الكندية الفيدرالية حتى لا يكون أحد من المسلمين ضحية القوانين التى بموجبها يتم اعتقال المسلم بدون تهمة لمدة ٧٢ ساعة، وهذا ضد الحقوق المدنية الكندية وهو نوع من أنواع العنصرية.

● هل هناك استعداد من جانب وسائل الإعلام الكندية لنشر ردود المنظمات الإسلامية عن كل ما يوجه ضد الإسلام؟

- بعض الصحف والمجلات ومحطات التليفزيون ترحب إلى حد ما بنشر مقالات المسلمين، وخصوصا التى تمثل وجهة نظر الكونجرس الإسلامى الكندى، وإن كانت هناك بعض الصحف الكندية التى تسىء إلى الإسلام ونحن نقوم بالرد عليها بمنتهى السرعة وذلك بإبراز الصورة المشرقة للإسلام السمح ومبادئه العادلة.

● هل ترى فرقا بين وضع الإسلام فى كندا ووضعه فى الولايات المتحدة الأمريكية؟

- وضع الإسلام فى كندا أفضل من وضعه فى الولايات المتحدة الأمريكية لأن الكنديين ليسوا بالتشدد والتعصب الذى عليه الأمريكيين، كما أنهم أقل حدة منهم وأكثر تفهما للتعايش مع الآخر.

لأول مرة .. قراءة القرآن الكريم مرتلا ومجودا فى ست ولايات كندية تلقى استحسانا وقبولا من الكنديين مسلمين وغير مسلمين

حدث فريد

● هل هناك خطة وضعها الكونجرس الإسلامى من أجل تصحيح صورة الإسلام فى المجتمع الكندى؟

- قام المجلس الإسلامى الكندى بخطوات عديدة نحو هذا الاتجاه منها:

- إنشاء موقع على الإنترنت لتعريف الكنديين بحقيقة الإسلام وسماحته، وعنوان هذا الموقع هو:
WWW. Canadian islamic Congress, Com.

- إصدار نشرة دورية عن الإسلام والمسلمين باللغة الإنجليزية توزع على جهات الاختصاص بالمدن الرئيسية فى كندا.

- دعونا فى أكتوبر الماضى أربعة من قراء القرآن الكريم من الكويت وأندونيسيا لقراءة القرآن الكريم مجودا ومرتلا لعامة الكنديين من

المسلمين وغير المسلمين لمدة أسبوع، ولقى هذا استحسانا من جانب الكنديين، وقد غطت وسائل الإعلام الكندية المكتوبة والمرئية والمسموعة هذا الحدث الفريد ليس فى كندا فحسب، بل فى العالم الغربى كله، كما كان ذلك فرصة عظيمة لأبناء المسلمين من الجيل الثانى أن يستمعوا إلى قراءة القرآن الكريم لأن بعضهم لم يسمع فى حياته القرآن الكريم مجودا أو مرتلا، ونظرا لأهمية هذا الحدث الفريد، فقد طاف قراء القرآن الكريم بست ولايات كندية يقرأون القرآن الكريم فيجدون الترحيب والانبهار بهم وينصتون لهم بشغف كبير مما سيشجعنا على تكرار التجربة.

خطوات إيجابية

● **ما السبيل الذى يمكن لقادة العمل الإسلامى فى كندا اتخاذه لاجتياز آثار الحادى عشر من سبتمبر بما يحفظ للجالية الإسلامية كرامتها ويعيد لها مكانتها فى المجتمع الكندى؟**

- **هناك طريقان، الأول:** العمل مع الجالية الإسلامية حتى لا تفقد هويتها ووحدتها والهدف من وجودها كجزء من النسيج الكندى، فنحن كنديون مسلمون ولسنا مسلمين فقط نعيش فى كندا.

الطريق الثانى: هو المحاورة والمداخلة العقلانية مع غير المسلمين الكنديين بالحكمة والموعظة الحسنة.

تقدير الحكومة الكندية للكونجرس الإسلامى

● **ما أهم النتائج العملية التى تحققت على أرض الواقع بالنسبة للجالية الإسلامية فى كندا؟**

- تعترف الحكومة الكندية بأهمية الكونجرس الإسلامى الكندى وتدعوه للحوار وإبداء النصيحة بما يخص المسلم الكندى ويخص أيضا علاقات كندا الخارجية مع العالم الإسلامى.

● **وماذا عن مستقبل الجالية الإسلامية فى كندا؟**

- المسلم فى كندا له فاعلية تجاه واجباته الدينية والمدنية وإن كنا نتمنى أن يشارك فى الانتخابات والترشيح وإبداء الرأى فى سياسات الحكومات المحلية والفيدرالية حتى يكون له دور وثقل مثل بقية الكيانات.

تقدر الحكومة الكندية دور الكونجرس الإسلامى وتتشاور معه فيما يخص كندا وعلاقاتها مع العالم الإسلامى

● **ما المطلوب من العالم الإسلامى تجاه الجاليات الإسلامية فى كندا؟**

- الدعم المالى والمعنوى، فعلى المسلمين أن يعترفوا بأهمية عمل الكونجرس الإسلامى الكندى لنشر الإسلام والدفاع عن حقوق المسلمين فى وسائل الإعلام الكندية، وللأسف فهناك بعض المسلمين لا يقر بالدعم المادى لأنه لا يصب فى خانة بناء المساجد أو المقابر أو المدارس.. إلخ.

هذا هو دور احدى المنظمات الإسلامية فى كندا، وإن دل ذلك على شىء، فإنما يدل على مدى عظم المسئولية الملقاة على عاتق أولئك الذين وهبوا حياتهم خدمة للإسلام والمسلمين.

وصدق الحق إذ يقول: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** التوبة: آية ١٠٥.

تجربة رائدة لإعداد جيل جديد من الدعاة الرواد

وراء الأخبار

منير بيومى

فى أول تجربة من نوعها بوزارة الأوقاف عقدت دورة تدريبية راقية للدعاة بمعسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية بضاحية العصافرة، وبدأت الدورة باختيار ٥٠ داعية من الدعاة المتميزين على مستوى الجمهورية جميعهم من حملة الماجستير والدكتوراه.

بدأت الدورة فى ١٥ مارس واختتمت فى ١١ يونيه الماضى، برنامج الدورة غير تقليدى التقى الدعاة خلالها بعلماء فى كافة التخصصات فى علم النفس، والاجتماع، والفلسفة، والاقتصاد الإسلامى، والقانون والصحة العامة، والتربية، شملت الدورة أيضا استخدام الكمبيوتر واللغة الإنجليزية إضافة إلى ممارسة اللياقة البدنية. وكانت معظم اللقاءات تدار بأسلوب الحلقات النقاشية.

فى ختام الدورة التقى الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بهؤلاء الدعاة وتحدث معهم عن الشروط الواجب توافرها فى الداعية. وأكد أن ظهور هؤلاء الدعاة الرواد أمر طبيعى يقتضيه متغيرات العصر وتفرضها شريعة الإسلام السمحاء ودعاهم أن يكونوا قدوة طيبة يتبعون منهج الترغيب والبعد عن الترهيب ويراعو الأولويات ويركزوا على جوهر الدين، فالدين ليس عبادات فقط بل هو معاملات وحضارة، مشيرا إلى أن التجديد هو العودة إلى النبع الصافى للدين، وأن مستجدات العصر تتطلب جهدا متواصلا لتعيد للأذهان الأوضاع الصحيحة.

وأضاف وزير الأوقاف: إن هذه الدورات تشكل جيلا جديدا من الدعاة يعدون نواة لعصر الداعية الموسوعى المتميز والعالم المواكب لأحداث العصر والمؤهل لتحديات القرن الحادى والعشرين، هؤلاء الدعاة هم واجهة مصر فى الخارج وهم قدوة طيبة مستنيرة تتولى أمور الدعوة الإسلامية فى كل أنحاء العالم.

وفى ختام الحفل أهدى الدكتور محمود حمدى زقزوق الأئمة المشاركين فى الدورة شهادة تقدير ومكتبة إسلامية متميزة لكل منهم من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

حضر الاحتفال فضيلة الشيخ محمد زيدان وكيل أول وزارة الأوقاف ورئيس القطاع الدينى، ومدير أوقاف الإسكندرية وقيادات الدعوة الإسلامية.

علاوات تشجيعية لـ ٣ آلاف موظف بالأوقاف

وافق الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - على منح علاوة تشجيعية لعدد ثلاثة آلاف موظف وعامل بديوان عام الوزارة والمديريات الإقليمية على مستوى الجمهورية.

وصرح إبراهيم شاهين - مدير عام شئون العاملين بالوزارة - بأن هذه العلاوة بلغت تكلفتها نحو نصف مليون جنيه تشجيعا للعاملين على حسن الأداء. وأضاف أن الوزارة بصدد شغل وظائف الدرجات العليا لعدد ١٠ وظائف بالديوان العام والمديريات الإقليمية بدرجة مدير عام و٦ وظائف رئيس إدارة مركزية بالديوان والمديريات التى خلت إما بخروج شاغليها إلى المعاش أو الترقية بدرجة أعلى وذلك لإضافة كوادر جديدة للعمل القيادى بالوزارة ورفع مستوى الأداء.

وزير الأوقاف فى حفل تكريم العاملين المثاليين

الإسلام يقدر قيمة العمل

كمال عبدالوهاب مدير مكتب نائب رئيس المجلس يتسلم جائزته من وزير الأوقاف

فى إطار تشجيع الدولة للعاملين المتميزين والمبدعين والمبتكرين فى الجهاز الإدارى للدولة بمختلف الوزارات والهيئات. كرم الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عشرين موظفا وموظفة من العاملين بالوزارة والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وهيئة الأوقاف المصرية حيث منح كل منهم شهادة تقدير وشيكا بمبلغ خمسمائة جنيه.

فى حفل التكريم قال د. زقزوق إن الدولة رأت أن يكون تكريم العاملين حفزا لهم على المزيد من الجهد والعطاء والإخلاص واتقان العمل وتحفيز غيرهم على أن يحذوا حذوهم والاقتداء بهم، هذا وتنفيذا لسياسة الدولة بتكريم المتميزين بكافة قطاعات الجهاز الإدارى ولرفع معدلات الأداء وتنفيذ خطط وبرامج النهوض بالمجتمع وتحديثه وتنميته الشاملة. وأشار د. زقزوق إلى أن الإسلام يقدر قيمة العمل ويرفع من قدر العاملين، فالعمل لا تقل أهميته عن العبادات وأن المنافسة الشريفة بين الجميع من شأنها تشجيع المتميزين وشحذ الطاقات والهمم.

والمكرمون هم:

على عبداللطيف فرج ـ مدير عام المكتب الفنى للوزير، جليلة مصطفى الصاوى ـ مدير عام الإدارة العامة للتنظيم والإدارة ـ نجوى أحمد نبيه ـ مدير عام الإدارة

ويرفع من قدر العاملين

.. والسيدة نجوى أحمد نبيه مدير عام الشئون المالية والإدارية تتسلم جائزتها

العامة للشئون المالية، إبراهيم السيد شاهين - مدير عام الإدارة العامة لشئون العاملين، فضيلة الشيخ شوقى عبداللطيف - مدير عام الإدارة العامة للإرشاد الدينى والمكتبات، فضيلة الشيخ محروس عبدالمجيد الشرقاوى - مدير إدارة الوثائق والمكتبات، إبراهيم عبدالرازق أحمد على - مدير عام الإدارة العامة للمشروعات والتصميمات، أحمد عبدالسميع إبراهيم - مدير مكتب رئيس قطاع المديريات الإقليمية، منى جمال صديق مدير إدارة المقرات.

ومن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: كمال عبدالوهاب أحمد - مدير مكتب نائب رئيس المجلس، محمد محمود يوسف - رئيس السكرتارية والكومبيوتر، مجدى عثمان إسماعيل - مدير الشئون الإدارية، هشام محمد محمود - رئيس حركة السيارات، السيد فتحى أبو بكر - إدارة الاستحقاقات.

ومن هيئة الأوقاف: وفيق مصطفى أبو المحاسن الشويحى - مدير منطقة الهيئة بالإسكندرية، حسين محمد عبده محمد - مدير منطقة الهيئة بالجيزة، عادل أحمد سليمان شحاتة - فنى هندسة أول بديوان عام الهيئة، زكى محمد الرايق - مدير منطقة طنطا، السيد إبراهيم حمادة - مدير إدارة التفتيش.

وقد ألقى فضيلة الشيخ شوقى عبداللطيف كلمة المكرمين. كما قدم الحفل فضيلة الشيخ محمد زيدان - وكيل أول الوزارة رئيس القطاع الدينى - وحضر حفل التكريم جميع قيادات ديوان عام الوزارة والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وهيئة الأوقاف المصرية وعدد من العاملين بالمجلس والهيئة.

نافذة على المعلومات

إعداد: منى القاضى

بعد عامين فقط

مصر تتصدر الشرق الأوسط إنفاقا على تكنولوجيا المعلومات

بعد عامين فقط من الآن، ستكون مصر فى صدارة دول منطقة الشرق الأوسط شمال افريقيا، فى حجم الإنفاق على تكنولوجيا المعلومات.

جاء ذلك فى تقرير دولى أصدرته مجموعة «أبردين» لأبحاث التكنولوجيا والمعلومات.

وذكر التقرير أنه بحلول عام ٢٠٠٥م ستكون مصر قد أنفقت أكثر من ستة مليارات دولار أمريكى، على شراء منتجات الكمبيوتر من العتاد الصلب HARDWARE والبرمجيات SOFTWARE، وذكر التقرير أن الشركات المصرية تبحث عن مجموعة من أدوات إدارة علاقات العملاء، لكى تساعدها على المنافسة بقوة فى أسواق الاقتصاد الجديد، مشيرا إلى أن نظم إدارة علاقات العملاء هى عبارة عن مجموعة من الأدوات التكنولوجية، التى تسمح للشركات باتخاذ قرارات صائبة، من حيث التوقيت والنوعية، للمحافظة على مستوى ربحية أعمالها وتنميتها.

نوعان من قراصنة الكمبيوتر لكن أحدهما أكثر خطورة

يوجد على شبكة الإنترنت أشخاص لاهم لهم إلا محاولة اختراق حاسبات المستخدمين الآخرين. وقد لا يهتمون كثيرا بالتعرف على شخصية صاحب الحاسب المستهدف، ولكن يركزون اهتمامهم فى السيطرة والتحكم فى الحاسب، كأنهم يجلسون أمامه، وعن طريق اختراق الحاسب يمكنهم نقل أى ملف من حاسبك إلى حاسباتهم. كما يمكنهم إلغاء الملفات والمجلدات. ويقوم هؤلاء القراصنة بالتلصص على بريدك الإلكترونى فى محاولة للوصول إلى أى معلومات مهمة أو مفيدة لهم، توجد فى الرسائل التى ترسلها أو تستقبلها.

وهناك نوعان من القراصنة:

١ ـ الهاكرز: Hackers وهو مصطلح يطلق على بعض مخططى البرامج المهرة وبعض خبراء الحاسبات ذوى النوايا الشريرة، والذين يحاولون اختراق وسائل التأمين بالحاسبات للوصول إلى المعلومات المخزنة داخلها.

ولهؤلاء الأشخاص مواصفات عامة من أهمها:

- لديهم القدرة والرغبة فى تعلم أدق تفاصيل لغة البرمجة، والتعامل مع الجوانب الأكثر صعوبة بها، والتطبيق العملى لكل ما يتعلمونه.
- يشعرون بالسعادة والمتعة فى تصميم برامج الكمبيوتر، أكثر من تصميم برنامج لأداء وظيفة تطلب منهم.
- لديهم معلومات تقنية عالية عن نظم تأمين الحاسبات ومواقع الإنترنت.
- يشعرون بالسعادة لتفوقهم على الآخرين، خاصة من الخبراء المسئولين عن إدارة مواقع الإنترنت وتأمينها.
- لديهم القدرة على التعلم واكتساب المعلومات بسرعة وفى أقصر فترة زمنية.

٢ ـ الكراكرز Crackers : يضم هذا النوع من القراصنة، أولئك الذين يهوون الدخول على حاسبات المستخدمين الآخرين، وذلك عن طريق الالتفاف من حول كلمات السر، التى نؤمن بها حاسباتنا، أو عن طريق اختراق نظم السرية الأخرى التى يتعامل بها مستخدمو الحاسبات الشخصية.

ويهدف هذا النوع من القراصنة إلى تحقيق فائدة مالية مباشرة، وذلك عن طريق حصوله على معلومات يستطيع استخدامها لتحقيق هذا الغرض.

وأشهر مثال على ذلك هو سرقة أرقام بطاقات الائتمان لشراء بضائع من على شبكة الإنترنت بكارت الائتمان المسروق. وقد يهدف بعض هؤلاء القراصنة إلى إلحاق الأضرار بالحاسبات التى يهاجمونها، وذلك لمجرد إلحاق الضرر، دون أن يحاولوا الحصول على أى استفادة مادية. وهم بذلك يشعرون بالسعادة لمجرد إيذاء الآخرين، وشعورهم بالتفوق على نظم التأمين الموجودة بهذه الحاسبات.

سيفيس يراقب الطلاب العرب فى أمريكا

سيفيس SEVIS هو برنامج معلوماتي جديد، يراقب الطلاب الأجانب فى أمريكا، وخاصة العرب منهم، ويفرض هذا البرنامج على الجامعات والكليات والمعاهد تقديم معلومات عن هؤلاء الطلاب، وعن نتائجهم الدراسية وفترات تغيبهم وأسبابها.

وهذه المعلومات تسلك طريق الشبكة الألكترونية، وصولا إلى دائرة الهجرة والتجنيس. ويسمح هذا النظام المعلوماتي الجديد بتوفير المعلومات مركزيا لهذه الدائرة، فى شكل قاعدة بيانات، يتم تحديثها باستمرار، ويتيح للمؤسسات التعليمية الأمريكية تحديث المعلومات عبر الإنترنت.

وهذه الإجراءات الجديدة، التى ستشمل حوالى مليون طالب يدرسون بالجامعات والمعاهد العلمية الأمريكية، تأتى ضمن كثير من الإجراءات التى فرضها الهاجس الأمنى لدى المسئولين الأمريكيين بعد أحداث سبتمبر، وقد طبقت إجباريا منذ مطلع هذا العام، وخاصة بعدما أشيع من أن بعض خاطفى الطائرات فى أحداث سبتمبر كان يدرس فى الجامعات الأمريكية، وينتقل بسهولة بين الولايات الأمريكية، وتشمل المعلومات التى يتحتم على الجامعات والمعاهد تقديمها سجل علامات الطالب، بما فى ذلك علامات التفوق أو الرسوب أو الطرد، وأسباب هذا الطرد.

ويتولى ٧٦ مركزا منتشرا فى أنحاء أمريكا مهمة أخذ بصمات الطلاب الكترونيا، وإرسالها إلى مكتب التحقيقات الفيدرالى.

ازدهار الجريمة الإلكترونية فى اليابان

سجلت اليابان رقما قياسيا فى معدل جرائم الشبكة الإلكترونية، خلال العام الماضى ٢٠٠٢م، فقد كشفت أحدث الإحصائيات التى أجرتها وكالة الشرطة الوطنية النقاب عن ارتفاع نسبة الجريمة عبر الإنترنت لتصل إلى ١٥٨ واقعة بنسبة ٣٥,٤٪.

وأوضحت الإحصائية أن هذه الزيادة سببها تزايد مواقع المزادات عبر الإنترنت، حيث ارتفعت نسبة بيع منتجات لا وجود لها إلى ٧٣,٣٪ لتصل إلى ٥٣ واقعة، فى حين وصلت جرائم انتهاك الملكية الفكرية وبيع المواد المسروقة إلى ٤٣ واقعة.

أما عمليات بيع العقاقير غير المصرح بها فقد بلغت ٢٢ واقعة.

احذر.. فيروس اسمه: حفلتى

ظهر فى آسيا فيروس جديد، مستخدما رسالة تحاول خداع مستخدمى الكمبيوتر، للنقر على مسار ينقلهم إلى موقع يتخصص فيه الفيروس على هيئة صورة «لحفل» وينتشر الفيروس الذى يطلق عليه (ماى بارتى) ولا يعتبر من النوع المدمر عن طريق التسلل إلى سجل عناوين البريد الإلكترونى فى برامج ويندوز الشائعة وقاعدة بيانات برنامج (أوتلوك اكسبريس).

وقال الخبراء إن الفيروس يقوم بإرسال نفسه بالبريد الإلكترونى لجميع الأشخاص الموجودة عناوينهم فى سجل عناوين البريد الإلكترونى المصاب بالفيروس، مما يجعل الفيروس وكأنه رسالة إلكترونية مرسلة من زميل أو صديق.

ويعتبر هذا الفيروس متوسط الخطورة. وقالت شركات الأمن أن عدد حالات الإصابة بالفيروس الجديد حتى الآن متوسطة، بالمقارنة مع فيروسات البريد الإلكترونى السابقة.

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Address: http:// WWW.islamic. Council. org
E-mail Addresses : Coun 11@ hotmail. com
Council @ Al azhr. org
Webmaster @ islamic- council. com
Postal Address: 9. El-Nabatat St. Garden City- Cairo A.R.E.
Tel. Nos.: (202) 7951438- 7951494
Fax No.: (202) 7954005

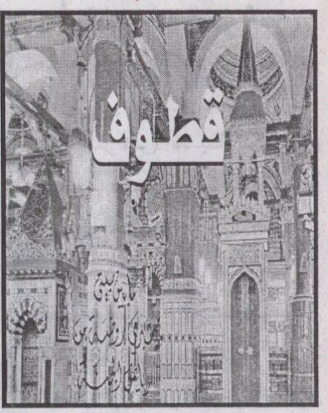

التقـــــوى

قال الله تعالى: ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ النساء: آية ٥٨.

وقال تعالى: ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ الحج الآيتان ١، ٢.

خضرة رشاد

نداء من الخالق البارئ المصور ياأيها الناس فى مشارق الأرض ومغاربها اتقوا ربكم، وهنا عبر القرآن الكريم بعنوان الربوبية لأنها آية نعم وآية أفضال من الله، فماهى التقوى، وكيف نتقيك يارب؟

التقوى هى الخوف من الجليل سبحانه وتعالى والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

وهى التى يحصل بها الوقاية من النار والفوز بدار القرار.

من وصايا الرسول ﷺ

عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فمن يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار**».

معنى التقوى: لها مصدران يلتقيان معا، فهى من القوة ومن اتقيت الشىء.

إذا أخذت من القوة يفهم أن القوة لا تكن فى دفع الشر فقط، ولكن فى جلب الخير أيضا، لذلك درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، هب أن إنسانا واقفا يريد أن يعطينى تفاحة وآخر جالسا يريد أن يرمينى بحجر فأمد يدى لآخذ التفاحة أم أمد يدى لأصد الحجر، فلابد أن أصد الحجر أولا لأن درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى فى درء المفسدة الآخرة، **﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾**.

فالأول: ينجو من النار ثم يدخل الجنة وليس العكس.

من عجيب التقوى فى القرآن

قال تعالى: **﴿اتقوا الله﴾** وقال: **﴿اتقوا النار التى أعدت للكافرين﴾** فهل التقوى هنا هى التقوى هنا.

(اتقوا الله) الله سبحانه وتعالى له صفات جلال وصفات جمال، صفات الجلال هى ما ترهبك من الشر، وصفات الجمال هى التى تأتى بالخير.

مثل: محيى، مميت، معز، مذل، قابض، باسط، غفور، رحيم، تواب، قهار.

فالحق سبحانه وتعالى يقول: اتقونى، ولماذا يقول اتقونى.

يقول: لى صفات جمال وهبتها لكم من الخير، ولكن لى صفات جلال آخذكم إن لم تستقيموا على

الخير فاجعلوا بين صفات جلالى وبينكم وقاية لا تجعلونى أغضب عليكم واجعل بين جبروتى وقاية، فإذا كانت النار جند من جنود الله فى العذاب فكما قال اتقوا الله قال اتقوا النار.

فلابد أن تكون مع الله فى الخير ولكن احذر أن يصيبك منها عذاب، فالله سبحانه وتعالى يريد منا أن نفعل ما أمرنا به وأن ننتهى عما أمرنا بتركه.

فافعل ولا تفعل، فقد جاء فى أصل الخلافة لآدم هذا المنهج وهذا المنهج لضبط حركة الحياة كما قال سبحانه وتعالى: **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾** هود: آية ٦١، فأعطى آدم تجربة وقال له كل من كل الشجر ولا تقرب هذه الشجرة، وعندما أغواه الشيطان وقال له: كُل من هذه الشجرة فماذا حدث؟ بدت لهما سوءاتهما وانكشفت لهما عورتهما لأنه كان يأكل بطهى الله ولم تكن له عورة.

دعاء الرسول ﷺ إذا أصبح

عن عبدالله بن أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: «**أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما يسكن فيهما لله رب العالمين وحده لا شريك له. اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا. اللهم إنى أسألك خير الدنيا وخير الآخرة ياأرحم الراحمين**».

تقوى على رضي الله عنه وكرم الله وجهه

زار الإمام على المقابر ذات يوم ووقف بين المقابر ونادى على أصحابه وقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أنتم فرطنا إلى الجنة ونحن لكم تبع ونسأل الله لنا ولكم العافية اللهم رب هذه الأجسام البالية والأرواح الباقية التى خرجت إليك وهى مؤمنة بك أدخل عليها روحا من عندك وسلاما من عندى:

ياأصحاب المقابر إن بيوتكم سكنت وأموالكم قسمت وأزواجكم تزوجن بغيركم هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم، وبكى الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ.

أهمية التقوى والعمل الصالح

دخل الإمام الأصمعى ذات ليلة البيت الحرام فوجد شابا معلقا بأستار الكعبة يبكى ويقول: يارب هاأنا واقف ببابك لألوذ بجنابك فلا تطردنى من رحابك أَقَبِلْتَ توبتى فأهنئ نفسى أم رددتها على فأعزِّى نفسى، ثم خر على الأرض مغشيا عليه، فوضع الإمام الأصمعى رأسه فى حجره وقال من أنت يرحمك الله، فقال الشاب: أنا على زين العابدين بن الإمام الحسين رضي الله عنه.

فقال الإمام الأصمعى: تقول هذا وأنت ابن بنت رسول الله ﷺ، وقال الله فيكم: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾**، فأنت من العترة الصافية ومن المنبع الطاهر وتسأل الله قبل التوبة أم لا.

قال رسول الله ﷺ: «**رضا فاطمة من رضاى وسخطها من سخطى، فمن أحب فاطمة فقد أحبنى ومن أرضاها فقد أرضانى، ومن أسخطها فقد أسخطنى**».

فقال زين العابدين: يا هذا إن الله أعد الجنة لكل طائع ولو كان عبدا حبشيا، وأعد النار لكل عاص ولو كان حرا قرشيا، أما قرأت قوله تعالى: **﴿فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون* فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون﴾** المؤمنون: الآيات ١٠١ ـ ١٠٣.

فأول من يفر من أخيه قابيل أخو هابيل، وأول من يفر من أمه وأبيه الخليل إبراهيم، وأول من يفر من زوجته نوح ولوط.

وأول من يفر من ابنه سيدنا نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

فضل لا إله إلا الله

قال رسول الله ﷺ: «**لو مر المسلم على المقابر وقال لا إله إلا الله رد عليه أهل المقابر وقالوا: والله لو علمت فضلها ما غفلت عنها أبدا**».

وقال ﷺ: «**لو مرت ساعة على ابن آدم لم يذكر الله فيها ندم عليها يوم القيامة**».

الخوف من سوء الخاتمة

الإمام الترمذى كان رجلا كفيف البصر ورأى النبى ﷺ فى المنام فقال له النبى ياترمذى أى شىء تخاف؟ قال أخاف سوء الخاتمة. وهو رجل جمع أحاديث النبى ﷺ فى كتابه، فهو من رواة الحديث مثل البخارى ومسلم ويخاف سوء الخاتمة، فقال له النبى ﷺ «**قل: ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث**».

قول موسى لبنى إسرائيل

قال موسى عليه السلام لبنى إسرائيل سيأتى عليكم زمان تقاتلون قوما وتنصرون عليهم واعلموا أنكم لا تنتصرون لأنكم صلحاء، بل أنتم يومئذ مفسدون، ولكنكم تنصرون عليهم لأنهم سيكونون أشد منكم فسادا. إن الله تعالى جعل نصره للأتقياء فإذا لم يكن هناك أتقياء فإن نصر الله يكون للأقوياء.

قال داود الطائى

ما خرج عبد من ذل المعاصى إلى عز التقوى إلا أغناه الله بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس.

قال ابن الوردى:

واتق الله فتقوى الله ما

جاورت قلب امرئ إلا وصل

ليس من يقطع طرفا بطلا

إنما من يتقى الله البطل

فمن أراد الله أن يتخذه وليا كره إليه الدنيا ووفقه للأعمال الصالحة وسهلها عليه. كما وقع لشاه ابن اسحاق الكرمانى: فإنه خرج يتصيد فى برية وإذا بشاب راكبا أسدا وحوله سباع، فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب ثم قال: يا شاه ما هذه الغفلة؟ اشتغلت بهواك عن أخراك، وبلذتك عن خدمة مولاك. أعطاك الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة للاشتغال عنه، ثم خرجت عجوز بيدها شربة ماء فشرب وناوله فسأله عنها فقال: هى الدنيا وكلت بخدمتى أما بلغك أن الله لما خلقها قال: من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه، فخرج عن الدنيا وسلك الطريق وصار من الأبدال وهى أعلى درجات الولاية.

النـــور

قال الغزالى: هو الظاهر فى نفسه المظهر لغيره.

وقال الجنيد: نور قلوب الملائكة حتى قدسوه، ونور قلوب الرسل حتى عرفوه، ونور قلوب المؤمنين حتى وحدوه.

واعظ يُبكى الرشيد

قال سلمة الأحمر: دخلت إلى هارون الرشيد، فلما رأيت القصور أنشدت:

أما بيوتك فى الدنيا فواسعة

فليت قبرك بعد الموت يتسع

فجعل الرشيد يبكى: ثم قال: يا سلمة عظنى وأوجز! فقلت يأأمير المؤمنين لو كنت فى فلاة من الأرض فعطشت، بكم تشترى شربة ماء تروى بها؟ فقال بنصف ما أملك، قلت: فإن صارت فى جوفك، وأبت أن تخرج، بكم يشترى خروجها قال: بالنصف الآخر. قلت: لعن الله ملكا يباع بشربة وبولة.

فبكى الرشيد أحر البكاء: وكان ـ رحمه الله ـ كثير البكاء.

غيرة الله على أحبابه

كان إبراهيم بن أدهم فى طريقه، فجاء فتى فصفعه على عنقه: فطارت يده فى الهواء. فقال الناس: أهكذا تدعو على الفتى ياإبراهيم؟! فقال والله ما دعوت عليه ولكن خالق العنق غار عليها!

المراجع والهوامش:

١ ـ قطوف أ. على الجندى. طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٢ ـ مصباح الظلام ـ الجزء الأول.

٣ ـ القصص القرآنى للشيخ عبدالحميد كشك، مدرسة محمد.

٤ ـ تفسير الشيخ الشعراوى.

فضيلة الشيخ
عطية صقر

نفقة المطلقة

السؤال من القارئ/ إبراهيم أحمد على مجاهد، من محافظة السويس، يقول: إذا طلق الزوج زوجته هل يجب عليه نفقتها مدة العدة أو لا؟

الجواب: تجب على الزوج نفقة زوجته المطلقة فى مدة العدة إن كان الطلاق رجعيا، لأنها فى حكم الزوجة مادامت العدة لم تنته، فماهى إلا فرقة مؤقتة تعطى الفرصة للتفكير فى إعادة المياه إلى مجاريها بالرجعة، قال تعالى: **﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾** الطلاق: آية ٦.

أما إذا كان الطلاق بائنا فقد جاء فى كتاب «المغنى» لابن قدامة المجلد التاسع صفحة ٢٨٨، أن الرجل إذا طلق زوجته طلاقا لا يملك فيه الرجعة فلا سكنى لها ولا نفقة إلا أن تكون حاملا، فإن كانت حاملا فلها النفقة والسكنى بإجماع أهل العلم، وذلك للآية المذكورة إلى جانب خبر فاطمة بنت قيس التى طلقها زوجها ثلاثا، حيث قال لها رسول الله ﷺ: **لا نفقة لك إلا أن تكونى حاملا، وذلك لأن الحمل ولده فيلزمه الإنفاق عليه، ولا يمكن ذلك إلا بالإنفاق عليها، فوجب كما تجب أجرة الرضاع»** رواه أحمد وغيره.

أما إن كانت حائلا - أى غير حامل - فلا نفقة لها، وفى السكنى روايتان، إحداهما لها ذلك وعليه مالك والشافعى، والثانية لا سكنى لها ولا نفقة، وقال ابن قدامة: إن أكثر الفقهاء العراقيين يوجبون لها السكنى والنفقة، ومنهم أبو حنيفة وأصحابه، قياسا على الرجعية.

هذا، والملاعنة لا سكنى لها ولا نفقة إن كانت غير حامل لحديث رواه أبو داود فى ذلك، وكذلك إن كانت حاملا ونفى حملها،

والمعتدة من وفاة إن كانت حائلا - أى غير حامل - فلا سكنى لها ولا نفقة، وإن كانت حاملا ففيها روايتان، إحداهما لها السكنى والنفقة، لأن الحمل من زوجها، والثانية لا تجب السكنى ولا النفقة لأن المال صار للورثة، والموضوع طويل فى المرجع المذكور، وللحاكم أن يختار ما يرى فيه المصلحة من هذه الآراء.

فحص المرضى أثناء الصيام

السؤال من القارئ/ د. محمود أبو النصر جاد الله، من دسوق بمحافظة كفر الشيخ، يقول:

هل يجوز فحص النساء أو الرجال بواسطة الأطباء والطبيبات أثناء فترة الصيام؟

الجواب: الفحص الطبى فى المنفذين المعروفين، وهما القبل والدبر بإدخال آلة أو أداة لمعرفة ما يراد معرفته، قال جمهور الفقهاء: إن ذلك يبطل الصيام، لأن شيئا دخل الجوف من منفذ مفتوح، وهو كالأكل والشرب لدخولهما من الفم الطبيعى، أما الإمام مالك فيرى أن الفحص فى القبل أو الدبر مادام لا يصل منه مادة إلى الأمعاء أو المعدة فلا يبطل به الصيام.

ومن الخير أن أنقل ما ذكرته فى «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» عند دخول شىء إلى الجوف فى نهار رمضان، وملخصه: أن الفقهاء ذهبوا مذاهب شتى فى تفسير الأكل والشرب المنصوص عليهما فى القرآن والسنة، ثم فرعوا على ذلك تفريعات متعددة مبنية على اصطلاحات ومفهومات فى نظرهم دون الاهتمام بالحكمة المقصودة من الصيام، وهى كف النفس عن سبب وجودها الشخصى ـ وهو الطعام والشراب ـ ووجودها النوعى وهو اللقاء الجنسى، وذلك ليقوى سلطان العقل عليها، وتصمد إرادته أمام المغريات والشهوات، وليتحقق معنى قوله تعالى: ﴿**لعلكم تتقون**﴾.

فقالوا: إن الأكل والشرب يتحققان بدخول أى شىء إلى الجوف، واختلفوا فى هذا الشىء هل هو عام أو خاص بما فيه غذاء وتلبية لشهوة النفس، كما اختلفوا فى المراد بالجوف، هل هو المعدة التى تتلقى الأكل والشرب، أو هو ما استتر من جسم الإنسان عند النظر إليه، أو هو ما يحيل الغذاء والدواء.

وترتب على هذا أن بعضهم قال: إن إدخال الإصبع فى الأذن يبطل الصوم، لأنه أكل أو فى معنى الأكل، فى الوقت الذى يقولون فيه: لو وصل الغذاء إلى الجسم وتقوى به عن طريق غير مفتوح بالطبع، كالإبر الحديثة، لايبطل الصوم، ويجىء آخرون فيقولون: لو وصل دهن الشعر إلى الحلق من خلال المسام بطل الصوم، مع أنه وصل من منفذ غير طبيعى، فى الوقت الذى يقولون فيه: إدخال حقنة فى الإحليل لايفسد الصوم، مع أن الإحليل منفذ مفتوح، وفى إهمال مراعاة الحكمة فى الصوم، وإطلاق الأكل على ما يشمل ماهو بعيد عن معناه لغة وعرفا ـ جاءت هذه الأحكام المختلفة، ولذلك اختار من أقوال الفقهاء المعروفين وغيرهم ما يلى:

١ ـ لايبطل الصوم بوضع الإصبع فى الأذن أو تنظيفها بقطنة أو بمحلول، لأن الطبلة لا تسمح بوصول شىء من ذلك إلى داخل الدماغ، والدماغ ليس عضوا يتلقى غذاء يستفيد منه الجسم.

٢ ـ لا يبطل الصوم بالفحص المهبلى أو الكشف على البواسير الداخلية، أو الكشف على اللّوز بنحو ملعقة.

٣ ـ لا يبطل الصوم بالحقنة الشرجية إلا إذا وصلت إلى المعدة كما ذهب إليه الإمام مالك.

٤ ـ إبر الدواء فى الوريد أو العضل أو تحت الجلد لا تبطل الصوم، لأنها ليست غذاء يغنى من جوع أو يروى من عطش.

٥ ـ إبر التغذية ـ الجلوكوز ونحوه ـ تعتبر أكلا عرفا، لأنها تغنى عن الطعام مدة طويلة.

٦ ـ ترطيب الجسم بالماء البارد، أو ترطيب الفم بالمضمضة لا يفسد الصوم، لأن النبى ﷺ رؤى وهو يصب الماء على رأسه من الحر وهو صائم، كما رواه أحمد وغيره، والترطيب ليس فيه دخول ماء إلى الجوف، بل هو لمنع العرق الخارج لتلطيف حرارة الجلد، وكان الرسول ﷺ يغتسل من الجنابة وهو صائم.

٧ ـ القىء أو الحجامة والفصد لا تبطل الصيام، وحديث القىء وهو **«من ذرعه القىء ـ أى غلبه ـ فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمدا فليقض»** حديث موقوف غير مرفوع إلى النبى ﷺ، وقال البخارى: لا أراه محفوظا.

الصلاة خير من النوم

السؤال من القارئ/ صادق النفراوى من طنطا، بمحافظة الغربية، يقول:

لماذا يقال فى أذان الفجر «الصلاة خير من النوم، ولا تقال فى أذان الأوقات الأخرى»؟

الجواب: من المعلوم أن الأذان شرع للإعلام بدخول وقت الصلاة بدل وسائل الإعلام عند اليهود والنصارى. كما رواه البخارى وصيغته المعروفة هى التى أقرها النبى ﷺ لكل الأوقات، ويزاد فى صلاة الصبح عند الأذان لها أن يقال **«الصلاة خير من النوم»** مرتين بعد الحيعلتين. كما رواه أحمد وأبو داود عن أبى محذورة، وأخرجه أيضا ابن حبان والنسائى وصححه ابن خزيمة، لكن روى من طرق أخرى عن عبدالله بن زيد بن عبدربه جاء فيها أن بلالا جاء إلى بيت الرسول ﷺ ذات غداة يدعوه إلى صلاة الفجر، فقيل له: إنه نائم، فصرخ بلال بأعلى صوته **«الصلاة خير من النوم»**، قال سعيد بن المسيب راوى هذا الحديث: فأدخلت هذه الكلمة فى التأذين إلى صلاة الفجر. وأقرها رسول الله ﷺ كما فى رواية ابن ماجه. وهناك خلاف فى قيمة هذه الروايات بين الضعف والصحة كما جاء فى نيل الأوطار للشوكانى «ج٢ ص٤٠» وانتهى إلى شرعية هذا التثويب عند مالك وأحمد والشافعى فى قوله القديم، وقال بكراهته الشافعى فى قوله الجديد، وهو مروى عن أبى حنيفة.

والمشهور أنه فى صلاة الصبح فقط، وهناك أقوال بمشروعيته فى صلوات أخرى لكنها غير قوية. وأطال الشوكانى فى توضيح ذلك.

وأما زيادة «حى على خير العمل» فلم يقل بها الفقهاء الأربعة، بل هى عند الشيعة كما فى نيل الأوطار.

أولوية الإمامة

السؤال من القارئ/ إبراهيم إبراهيم الإمام، من محافظة الدقهلية، يقول:

من الأولى فى إمامة المصلين فى صلاة الجنازة؟ وهل تتم بالمنزل أو فى مكان خاص؟

الجواب: صلاة الجنازة تحصل بأى إنسان يصليها سواء أكان قريبا أم بعيدا.. لكن هناك أفضلية فيمن يصليها، وبخاصة إذا كان إماما للمصلين، والكلام فى هذه الأفضلية كثير يمكن الرجوع إليه فى كتاب «فقه المذاهب الأربعة ـ نشر وزارة الأوقاف» وأكتفى هنا بذكر ما قاله الحنفية والشافعية.

فالحنفية قالوا: يقدم فى الصلاة عليه السلطان إن حضر، ثم نائبه وهو أمير المصر، ثم القاضى، ثم صاحب الشرطة، ثم إمام الحى إذا كان أفضل من ولى الميت، ثم ولى الميت على ترتيب العصبة فى النكاح، فيقدم الابن ثم ابن الابن وإن سفل، ثم الأب ثم الجد وإن علا، ثم الأخ الشقيق.. ولمن له حق التقدم أن يأذن غيره فى الصلاة.

والشافعية قالوا: الأولى بأمامتها أبو الميت وإن علا ثم ابنه وإن سفل، ثم الأخ الشقيق.. وهكذا على ترتيب الميراث، فإن لم يكن له قريب فالإمام الأعظم أو نائبه ثم ذوو الأرحام الأقرب فالأقرب، ويقدم الأسَنُّ فى الإسلام، ثم الأفقه والأقرأ والأورع، وإذا أوصى بالصلاة عليه لغير من يستحق التقدم ممن ذكر فلا تنفذ وصيته.

أما مكان الصلاة فتصح فى أى مكان فى المنزل أو فى المسجد أو فى الخلاء، لكن مع الصحة تكره فى المساجد عند بعض العلماء، وقال الشافعية تكون مندوبة فى المسجد، ولا حاجة للتعصب لأى مذهب.

المقبرة والمياه

السؤال من القارئ/ محمد رمضان عبدالموجود، من الفشن بمحافظة بنى سويف، يقول:

ما حكم نقل المتوفى من مقبرة إلى أخرى بسبب نشع المياه، وهل هناك مدة لنقل المتوفى فيها؟

الجواب: جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة (نشر وزارة الأوقاف) أن نقل الميت من قبر إلى قبر فيه أقوال، فقال الحنفية: يحرم إخراجه ونقله، إلا إذا كانت الأرض التى دفن فيها مغصوبة، أو أخذت بعد دفنه بالشفعة، يعنى استحقها شخص آخر مجاور لها، وقال الشافعية: يحرم نقله إلا لضرورة كمن دفن فى أرض مغصوبة، فيجوز نقله إن طالب بها مالكها، وقال المالكية: يجوز النقل بشروط ثلاثة، أولها: ألا ينفجر حال نقله، ثانيها: ألا تنتهك حرمته، بأن ينقل على وجه يكون فيه تحقير له، ثالثها: أن يكون نقله لمصلحة، كأن يخشى عليه من طغيان البحر على قبره، أو يراد نقله إلى مكان ترجى بركته، أو إلى مكان قريب من أهله، أو لأجل زيارة أهله إياه، فإن فقد شرط من هذه الشروط الثلاثة حرم النقل، انتهى.

وإذا كان النقل جائزا عند المالكية خوفا من طغيان البحر على القبر فبالأولى إذا حصل الضرر على الجثة بتسرب الماء أو النشع كما ورد فى السؤال، ولا مانع من الأخذ بهذا الرأى مع الشروط المذكورة.

قبر سيدنا يونس عليه السلام

السؤال من القارئ/ خيرى محمد أبو الروس، من كفر الشيخ، يقول:

أين يوجد قبر سيدنا يونس بن متى عليه السلام؟

الجواب: المتفق عليه أن يونس عليه السلام أرسل إلى أهل نينوى وهى بالعراق، والظاهر أنه توفى بها، حيث لايوجد نص صحيح يخالف ذلك، ومن المعلوم أن قبور بعض الأنبياء مختلف فى مكانها، ولا توجد ضرورة لمعرفتها، وما علينا إلا أن نؤمن بهم ونحترمهم وندرس سيرهم للموعظة والعبرة، وإن كان بعض البلاد اتخذها مزارا للسياحة وغيرها، مع عدم التأكد من ذلك، فالأولى أن نشغل أنفسنا بالأمور الهامة التى تفرضها علينا حياتنا الحاضرة.

مقبرة ذات أدوار

السؤال من القارئ/ رمضان الأقرع، من طنطا بمحافظة الغربية، يقول:

ما حكم الدين فى بناء مقبرة من دورين وفرشها بالرمل؟

الجواب: الأصل فى دفن الميت أن تحفر له حفرة فى الأرض ويوضع تحت مستوى سطحها، ولا يتحقق الدفن بغير ذلك، قال تعالى: ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ طه: آية ٥٥.

وينبغى تعميق القبر بحيث يمنع رائحة الجثة وسطو السباع والوحوش عليها، لحديث النسائى والترمذى فى شهداء أحد «**احفروا وأعمقوا**»، ولا يجوز رفع القبر زيادة على قدر شبر من الأرض، كما لا يجوز البناء عليه، لحديث مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبى ﷺ نهى عن ذلك.

وعلى هذا لا يجوز الدفن فى مقابر ذات طوابق بعضها فوق بعض، لأن شرط القبر أن يكون تحت مستوى سطح الأرض، فهل يتحقق ذلك فى قبر متعدد الطبقات؟ ومع ذلك لا توجد ضرورة الآن إلى هذه الطبقات، ويجب تدبير مكان آخر إذا لم يوجد متسع فى المقبرة الحالية، وإذا بليت عظامها جاز الدفن فيها مرة أخرى.

قراءة الفنجان

السؤال من القارئة/ منال متولى من محافظة القاهرة، تقول: ما حكم الدين فى قراءة الفنجان والتى قد يتأثر البعض بما يقال؟ وهل تبطل صلاة من يقوم بهذا العمل؟

الجواب: قراءة الفنجان صورة من صور العلم بالغيب، أى معرفة المستقبل، ومعروف أن الغيب لا يعلمه إلا الله، ومن أطلعه الله عليه كما قال تعالى: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا* إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾** الجن: الآيتان ٢٦، ٢٧.

وقد حاول الإنسان أن يبحث عن المجهول المستقبل منذ خلق وفيه غريزة حب الاستطلاع، وبذل فى ذلك جهودا كبيرة، واتخذ وسائل متعددة، كالكهانة والتنجيم والعرافة والتطير والطَّرق وضرب الرمل وقياس الأثر وقراءة الفنجان، وقد وردت نصوص كثيرة فى النهى عن ذلك، موضحة فى المجلد الثانى من أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام.

وبخصوص قراءة الفنجان زعم بعض المعاصرين أن أثر الزفير على القهوة يعطى مؤشرات صادقة على ما يفكر فيه شاربه، لكن إذا كان هذا من الناحية الطبية فهل تمكن معرفة المستقبل؟ فيه كلام والذى يقوم بهذه الأعمال مخطئ ومن يصدقه مخطئ أيضا، ويكفى فى ذلك ما رواه مسلم «من أتى عرافا فسأله عن شىء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما» وما رواه أصحاب السنن الأربعة والحاكم وصححه **«من أتى عرافا أو كاهنا فصدق بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»**، وما رواه البزار بإسناد جيد والطبرانى بإسناد حسن **«ليس منا من تطيَّر أو تُطُيِّر له، أو تَكَهَّن أو تُكُهِّن له، أو سِحر أو سُحر له»**، فالذى يقوم بهذا العمل أو يصدقه إما كافر وإما عاص، والأول لا تصح صلاته أبدا، والثانى تصح صلاته وإن لم تقبل، والأولى والأفضل صلاة الاستخارة فهى مشروعة.

التهاون فى أداء العمل

السؤال من قارى، يقول: والدى الآن على المعاش وكان يعمل مؤذنا ولكنه كان كثيرا ما يترك آذان العصر بسبب عمله فى الحقل وآذان الفجر بسبب النوم، فما حكم راتبه الذى كان يتقاضاه؟

الجواب: فى الحديث الشريف «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**».

والإتقان مرتبة أكبر من مجرد العمل، فهو تحسين، وله أجره، والمقصر فى عمله الذى يأخذ عليه أجرا هو الذى لا يؤدى هذا العمل أصلا حتى فى أقل صوره وبالتالى لا يستحق أجرا على ما قصر فيه، مالم يكن هناك عذر يسامحه فيه من ارتبط بالعمل، أو وكل شخصا آخر يقوم به بموافقة المسئولين عنه.

والواجب على من قصر فى عمل يأخذ عليه أجرا أن يتدارك هذا التقصير وذلك إما بعمل شىء آخر فيه مصلحة لمن استأجره دون أن يطلب منه أجرا، وإما بالاعتذار وطلب العفو منه.

وننصح كل العاملين فى أى مجال أن يراقبوا ربهم فى عملهم حتى يبارك الله لهم وحتى يتجنبوا الحرام فعاقبته الخسران المبين فى الدنيا والآخرة «انظر رسالتى: الإسلام دين العمل، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية».

الزكاة ومصارفها

السؤال من القارئ/ جمال محمد صابر، من محافظة القاهرة، يقول:
هل يجوز صرف الزكاة على المستشفيات لعلاج المرضى؟ أم الزكاة يجب صرفها فقط على الفقراء؟

الجواب: من المعلوم أن للزكاة المفروضة مصارف معينة جاء فى قوله تعالى: **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين..﴾** إلى آخر الآية، واشترط العلماء أن يكون مستحق الزكاة من المسلمين، بناء على الحديث المعروف **«صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»**. قال ابن المنذر: أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم أن الذمى لا يعطى من زكاة الأموال شيئا، ويستثنى من ذلك المؤلفة قلوبهم.

أما الصدقة التطوعية فيجوز أن يعطى منها غير المسلم، لقول الرسول ﷺ لأسماء بنت أبى بكر «صلى أمك»، وكانت مشركة، والآية تقول **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾** الممتحنة: آية ٨.

وهناك رأى للزهرى وأبى حنيفة ومحمد وابن شبرمة بجواز إعطاء زكاة الفطر للذمى، بناء على الآية المذكورة.

وبناء على هذا نقول: إذا كانت المستشفيات لعلاج المرضى المسلمين فقط جاز صرف الزكاة عليها لحاجة من فيها إلى علاج، أما إذا كانت لعلاج كل المرضى من المسلمين وغيرهم فلا تصرف الزكاة لها لتوفير الأدوية أو الأجهزة المساعدة فى العلاج، ويجوز أن يعطى المزكى زكاته بنفسه إلى المريض المحتاج من المسلمين.

التبرع بالدم

السؤال من القارئ/ محمد محمود العطار، من محافظة كفر الشيخ، يقول:
هل سيحاسب الإنسان الذى يمتنع عن التبرع بالدم؟

الجواب: التبرع بالدم عمل فيه خير لمن احتاج إليه، وله ثوابه العظيم، لكنه قد يكون واجبا وقد يكون مندوبا، فيجب وجوبا عينيا إذا لم يوجد إلا شخص واحد يؤخذ منه الدم لإنقاذ حياة إنسان آخر ولا توجد وسيلة لإنقاذه إلا ذلك، وبالتالى سيحاسب من يقصر فيه، ويكون واجبا وجوبا كفائيا إذا تعدد من ينقل منهم الدم، فإذا قام بذلك واحد سقطت المسئولية عن الجميع، وإن قصروا حوسبوا على التقصير. وقد يكون مندوبا إذا وجدت وسائل أخرى متوفرة لإنقاذ المريض بأدوية أو بنقل دم والمأخوذ منهم أكثر من شخص. وبالتالى لا يحاسب من يقصر، وإن فاته أجر كبير، فالمندوب ما يثاب المرء على فعله ولايعاقب على تركه.

فض غشاء البكارة جراحيا

السؤال من القارئ/ محمود أبو النصر جاد الله من دسوق بمحافظة كفر الشيخ، يقول:
يلجأ بعض الأطباء إلى فض أو قص غشاء البكارة جراحيا. بناء على رغبة الزوج - بالآلات الجراحية، فهل هذا جائز شرعا؟ وماذا لو اتضح أن الزوج عنين وبذلك تتحول الفتاة إلى ثيب، وماذا أيضا فى استخدام أصابع اليد فى مثل هذه الحالة؟

الجواب: موضوع البكارة طويل فصلته فى ست صفحات كبيرة من الجزء الأول من موسوعة «الأسرة تحت رعاية الإسلام»، وبخصوص ما جاء فى السؤال، قرر العلماء أن الدخول بالمرأة لا يكون إلا بالمعاشرة الجنسية، أو الخلوة الصحيحة كما قال أبو حنيفة، فلو أزيلت البكارة بغير المعاشرة لا يتحقق الدخول، يعنى لو أزالها الطبيب أو الطبيبة أو أزالتها امرأة بأصبعها أو بآلة أخرى، بل لو أزالها الزوج بنفسه بغير المعاشرة لا تكون البكر ثيبا، ففض البكارة بغير معرفة الزوج حرام ولا يثبت بها الدخول عند الجمهور، فإذا فضها بنفسه بغير المعاشرة كانت ثيبا عند أبى حنيفة لوجود الخلوة الصحيحة، ومادام قد تبين أن الزوج عنين لايستطيع المعاشرة المعروفة فإن تحايله على الدخول بالطريقة المذكورة فى السؤال حرام.

التبذير

السؤال من القارئ/ محمد محمود العطار، من محافظة كفر الشيخ، يقول:

هل يعتبر الإنسان مبذرا إذا اشترى احتياجات نافعة ولكنه لا يستفيد منها أثناء الشراء فى الوقت الحالى؟

الجواب: لا مانع أبدا أن يحصل الإنسان على شىء يستفيد منه عاجلا أو آجلا مادام الحصول عليه بطريق مشروع، كالشراء والهبة والإرث وغيرها، والأولى هو تقديم الحصول على ما ينفعه عاجلا على ما سينفعه آجلا، وذلك من باب تقديم الأهم على المهم، فإن خالف ذلك لا يعد مبذرا، مع مراعاة أن التبذير قيل هو الإسراف، وقيل غيره، فالتبذير هو إنفاق المال فى غير موضعه الصحيح حتى لو كان قليلا، وسبب الجهل بمواضع الحقوق، أما الإسراف فهو تجاوز الحد المعقول فى الإنفاق، وسببه الجهل بمقادير الحقوق، والتبذير أشد قبحا من الإسراف، لأنه خطأ فى الجهة، والإسراف خطأ فى الزيادة، والمسرف مثاب على ما دونها - يعنى على الإنفاق القليل - أما المبذر فهو غير مثاب أصلا، وذلك لبطلان عمله كله، ولذلك وصم الله المبذرين بأنهم إخوان الشياطين فسادا وإفسادا وعدم قبول.

والذى يحمل على الإسراف والتبذير عدم إدراك قيمة المال، وعدم التنبه لمفاجآت المستقبل، وعدم الإحساس بالمسئولية، والانطلاق باستجابة رغبات الغرائز والشهوات، وكل ذلك منهى عنه.

الإخوة فى الرضاع

السؤال من القارئ/ ربيع فتحى عبدالباسط سيد، من بنى قاسم بمحافظة بنى سويف، يقول:

ما حدود التعامل بين الإخوة فى الرضاع؟ هل تتساوى مع الإخوة الأشقاء؟

الجواب: الإخوة فى الرضاع يتعاملون بعضهم مع بعض كالإخوة من النسب فى أمور دون أمور، ففى الحديث **«يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»** رواه البخارى ومسلم، قال العلماء:

التساوى بالرضاعة والنسب يكون فى مثل عدم الزواج، وتحديد العورة، والنظر والتلامس والخلوة والسفر، والمخالفة تكون فى التوريث وأمور أخرى.

قال النووى: أجمعت الأمة على ثبوت الحرمة بين الرضيع والمرضعة فى أنه يصير ابنها، يحرم عليه نكاحها أبدا، ويحل النظر إليها والخلوة بها والمسافرة، ثم قال: ولا يترتب عليه - أى الرضاع - أحكام الأمومة من كل جهة، فلا يتوارثان، ولا يجب على واحد منهما نفقة الآخر، ولا يعتق عليه بالملك، ولا ترد شهادته له، ولا يعقل عنها - فى دفع الدية - ولا يسقط عنها القصاص بقتله، فهما كالأجنبيين فى هذه الأحكام، وتوضيح ذلك فى الجزء الأول من موسوعة «الأسرة تحت رعاية الإسلام».

قتل الخطأ

السؤال من القارى/ م. س. م. ع. من محافظة البحيرة، يقول:

قائد سيارة قتل ثلاثة خطأ هل عليه كفارة واحدة أم لكل مقتول كفارة؟

الجواب: يقول الله تعالى: **﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا﴾** النساء: آية ٩٢، معنى هذا أن هناك دية فى القتل الخطأ، وهى حق لأهل القتيل، وإذا تعدد القتلى تعدد المستحقون للدية، والكفارة هى حق له هل تكون عن كل قتيل، فتتعدد بتعدد القتلى كالدية، أو تجب كفارة واحدة لأن عملية القتل قام بها شخص واحد، قياسا على مالو تعدد القاتلون لشخص واحد، فقيل تجب دية واحدة لأنها لقتيل واحد، يشترك فى دفعها القاتلون، وعلى كل من اشتركوا فى قتل واحد كفارة كما قال الجمهور، وقال جماعة تكفى كفارة واحدة عليهم، فالأمر خلافى، ولا مانع من الأخذ بأحد الرأيين.

قسم التهديد

السؤال من القارئ/ محمد عبدالفتاح، من محافظة القاهرة، يقول:
هل يقع الطلاق إذا قال الرجل لزوجته لو فعلت كذا فأنت علىّ حرام وكان قصده التهديد؟

الجواب: فى هذا السؤال نقطتان، أولاهما لفظ «أنت علىَّ حرام» والثانية الطلاق المعلق.

أما صيغة التحريم للزوجة فقد رأى العلماء فيها عدة آراء بلغت عشرين، ولكن أصول هذه الآراء هى: أنه لغو لا شىء فيه، أوطلاق، أو ظهار، أو يمين كالحلف بالله، أو لفظ صالح لكل ما ذكر، أو بحسب النية، أو التحريم فقط، أو الوقف.

وفى القول بأنه طلاق مذاهب، فقيل يقع به طلقة واحدة رجعية، وقيل طلقة واحدة بائنة، وقيل ثلاث طلقات فى المدخول بها، وقيل كناية عن الطلاق وليس صريحا، فإن نواه فهو طلاق، ولعل من المختار أن يكون كناية، إن قصد الطلاق وقع، وإن قصد تحريم المعاشرة مثلا فلا يقع.

وأما تعليق الطلاق، الذى يقصد به إثبات شىء أو نفيه، أو الحث على فعل شىء أو تركه ففيه أقوال خمسة ذكرها ابن القيم فى كتابه «إغاثة اللهفان» ص٢٦٥ ـ ٢٦٧.

وملخصها: ١ ـ أنه لا ينعقد، ولا يجب فيه شىء. ٢ ـ أنه لغو وليس بشىء. ٣ ـ لا يقع به طلاق وتلزمه كفارة يمين. ٤ ـ الفرق بين أن يحلف على فعل امرأته أو على فعل نفسه أو على فعل غير الزوجة، فيقول لامرأته: إن خرجت من الدار فأنت طالق، فلا يقع عليه الطلاق بفعلها ذلك، وإن حلف على نفسه، أو على غير امرأته وحنث لزمه الطلاق. ٥ ـ الفرق بين الحلف بصيغة الشرط والجزاء وبين الحلف بصيغة الإلتزام، فالأول كقوله: إن فعلت كذا فأنت طالق، والثانى كقوله: الطلاق يلزمنى أو علىَّ الطلاق إن فعلت، فلا يلزمه الطلاق فى هذا القسم إن حنث دون الأول.

والعمل الآن فى المحاكم المصرية حسب القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م كما تنص عليه المادة الثانية منه، على أن الطلاق غير المنجز إذا قصد به الحمل على فعل شىء أو تركه لا غير، لا يقع، وبناء على أن حكم الحاكم يرفع الخلاف فإن ما جاء فى السؤال: إن كان يقصد بكلمة «حرام» الطلاق، وكان يقصد به التهديد فلا يقع الطلاق، وعليه كفارة يمين.

الحيض والاستحاضة

السؤال من القارئة/م. ش. من محافظة الدقهلية، تقول:
الطبيعى للدورة الشهرية أن تمكث معها خمسة أيام، ولكن في بعض الأحيان قد تصل إلى ١٢ يوما، وتسأل: كيف تصلى كيف تمارس حياتها الزوجية فى مثل هذه الحالة؟

الجواب: أقل مدة حيض مختلف فيها بين لحظة ويوم وليلة وثلاثة أيام بلياليها، وأكثرها عشرة أيام عند الحنفية وخمسة عشر يوما عند غيرهم، وغالبها ستة أو سبعة أيام، فإذا تجاوز الحيض ما تعودته المرأة ولم يجاوز أكثر مدته، كأن كانت عادتها خمسة أيام مثلا فامتدت إلى ثمانية مثلا عند أبى حنيفة، أو إلى اثنى عشر يوما عند غيره. كان ذلك كله حيضا.

فيأيتها السائلة: إن تجاوز الحيض أيام كان ذلك استحاضة عند أبى حنيفة، ولك أن تتطهرى وتمارسى كل الأعمال التى كانت ممنوعة أثناء الحيض، مثل الصلاة وقراءة القرآن والمعاشرة الجنسية.

لكن عند الأئمة الثلاثة إذا وصل الحيض إلى اثنى عشر يوما أو أكثر ولم يتجاوز خمسة عشر يوما فهو حيض، وعليك أن تمتنعى عما يحرم عليك بسبب الحيض، فإن تجاوز الخمسة عشر يوما كان استحاضة، وعليك أن تتطهرى وتمارسى كل ما كان محرما عليك، ولك الخيار فى اتباع أى الرأيين، رأى أبى حنيفة أو رأى الأئمة الثلاثة.

تقبيل أيدى العلماء والوالدين

السؤال من القارئ/ عماد ميزار عبد العظيم جابر، من محافظة الفيوم، يقول: ما حكم الشرع فى تقبيل أيدى العلماء والوالدين؟

الجواب: سبق بيان الحكم فى ذلك فى عدد شوال ١٤١٦هـ من هذه المجلة، ولكثرة السؤال عنه. أذكر خلاصة مركزة لحكم التقبيل، مجردة عن الأدلة ومناقشتها، التى ذكرتها فى الجزء الثانى من موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام. فأقول:

أولا: إن كان التقبيل بين الجنس الواحد، كالرجل للرجل، والمرأة للمرأة فلا مانع منه شرعا بشرطين، **الأول** ألا يكون فيه لذة، والثانى ألا يكون لغرض فاسد، كتقبيل يد الفاسق لتكريمه، ومما أثر فى ذلك:

١ - أن النبى ﷺ تلقى جعفر بن أبى طالب عند عودته من الحبشة، فالتزمه وقبَّل ما بين عينيه.

٢ - لما دخل زيد بن حارثة عليه فى بيت عائشة قام إليه عريا يجر ثوبه - كما تقول عائشة: والله ما رأيته عريانا قبله ولا بعده، فاعتنقه وقبَّله.

٣ - لما عاد الغزاة من «مؤتة» قبلوا يد النبى ﷺ.

٤ - لما تاب الله على الذين خلِّفوا عن غزوة تبوك قبَّلوا يد النبى ﷺ.

٥ - سمح النبى ﷺ لوفد عبدالقيس أن يقبلوا يده، بل رجله.

٦ - سمح لأسيد بن حضير أن يقبله حين طلب أن يكشف عن جسمه ليقتص منه لما طعنه بعود، وكان ذلك تبركا.

٧ - سأله يهوديان عن تسع آيات بينات، فلما بينها لهما قبلا يده ورجله وأسلما.

٨ - لما قدم عمر بن الخطاب الشام قبَّل أبو عبيدة يده، وجاء فى رواية أن أبا عبيدة أراد أن يقبلها فقبضها عمر، فتناول أبو عبيدة رجله وقبلها.

٩ - قبَّل زيد بن ثابت يد عبدالله بن عباس حين أخذ بركابه وهو يركب، وذلك احتراما للعلماء، فقبلها زيد احتراما لآل بيت رسول الله ﷺ.

١٠ - قبَّل الناس يد سلمة بن الأكوع لما علموا أنه بايع النبى ﷺ.

والذى رخص فى التقبيل للتكريم والتدين أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة. أما مالك وجماعة آخرون فقد كرهوه، أى كرهوا مدَّ اليد ليقبلها الناس، لأن ذلك مظهر من مظاهر العجب والكبرياء، واستأنسوا فى المنع بقبض عمر يده لما أراد أبو عبيدة تقبيلها.

ثانيا: أما التقبيل بين الجنسين فحكمه يتحدد بسبب الغرض منه، وبحسب موضع التقبيل، فقد يكون للعطف والحنو، كتقبيل الوالد لبنته والوالدة لابنها، والأخ لأخته والأخت لأخيها، وذلك لا مانع منه مالم يكن بشهوة، وقد جاء فى ذلك:

١ - أن النبى ﷺ قبَّل بنته فاطمة حين دخلت عليه، فقام إليها وقبَّلها وأجلسها فى مجلسه، بل صرحت بعض الروايات أنه قبَّلها فى فمها، كما قبلها وهو فى مرضه الأخير.

٢ - لما دخل أبو بكر على أهله وكانت عائشة مضطجعة قد أصابها حُمَّى، قبلها فى خدها، وكذلك قبَّل خالد بن الوليد أخته.

وقد يكون التقبيل للتكريم كتقبيل الولد لأمه والبنت لأبيها، وتقبيل الكبير من العمات والخالات، وهو يكون غالبا فى الرأس أو اليد، ولا مانع منه، لكنه مكروه فى المواضع الحساسة كالخد والفم إن كان بغير شهوة، فإن كان بشهوة كان حراما.

وقد يكون التقبيل بين الجنسين للذة، وهو بين الزوجين لا مانع منه، فإن ماهو أكبر من ذلك حلال لهما، أما بين الأجانب فهو حرام.

هذا هو ملخص حكم التقبيل، ومع كونه مباحا فى بعض الصور فيستحسن الإقلال منه، والبعد عن الفم وما قد يكون منه ضرر صحى كما نصح الأطباء.

السموات السبع

السؤال من قارئ، من محافظة القاهرة، يقول: سمعنا أن هناك سموات سبعا فما الأراضين السبع؟

الجواب: لم يأت فى القرآن تصريح بعدد الأراضين إلا فى قوله تعالى فى آخر سورة الطلاق **﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما﴾**.

ولا خلاف فى أن السموات سبع بعضها فوق بعض كما يدل عليه حديث الإسراء والمعراج، وكما قال تعالى فى سورة الملك: آية ٢ **﴿الذى خلق سبع سموات طباقا﴾**، أما الأرض فقد جاء فيها قوله **﴿ومن الأرض مثلهن﴾** يعنى سبع أرضين. واختلف فيهن على قولين، **أحدهما** ـ وهو قول الجمهور ـ أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء، وفى كل أرض سكان من خلق الله، والقول الثانى سبع من الأرضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات.

يقول القرطبى: والقول الأول أصح وأورد حديثا فى ذلك رواه مسلم **«من أخذ شبرا من الأرض ظلما طوقه إلى سبع أرضين»** ثم ذكر حديثا رواه الترمذى والنسائى وغيرهما بين فيه الرسول ﷺ أن الأرض التى تحتنا تحتها أرض بينهما مسيرة خمسمائة سنة، حتى عدّ سبع أرضين، بين كل أرضين هذه المسافة، وذكر القرطبى أن هذا الحديث غريب، كما ذكر حديثا أن كل أرض فيها نبى كنبيكم، نسبة إلى ابن عباس وحكم بشذوذه «القرطبى ج١ ص٢٥٩ ـ ٢٦٠»، ثم ذكر فى ج١٨ ص١٧٥ كلاما غريبا فى كون سكان هذه الأرضين هل يرون السماء ويستضيئون بها أولا، وأشار إلى أن بعض الأقوال تقول: إن الأرضين السبع منبسطة وليس بعضها فوق بعض، تفرق بينها المياه وتظل جميعهم السماء.

هذا ماقاله العلماء عن الأرض وطبقاتها، وأولى ببحث هذا الموضوع العلماء المختصون بوسائل العلم الحديثة، ولبعضهم مؤلفات عن الإعجاز العلمى للقرآن فيرجع إليها، ويمكن الاستفادة من هذا النشاط العلمى فى مجالات كثيرة (انظر أهرام ١٥/١٠/٢٠٠١م) د. زغلول النجار.

ردود خاصة

١ ـ إلى السيد / شوقى السعيد حامد ـ بالمطرية دقهلية.. ما جاء فى مجلة الوعى الإسلامى هو الصحيح، وانظر ص٢٩٥، من الجزء الثانى من كتاب «بيان للناس من الأزهر الشريف» الذى طبعته مطبعة الأزهر سنة ١٩٨٩م.

٢ ـ إلى القارئة شيرين محمد من الجيزة.. اعرضى نفسك على الأطباء المختصين، فعسى أن يكون الشفاء من الله على أيديهم، كما قال رسول الله ﷺ فى بعض الروايات: «ياعباد الله تداووا فإن الله لم يخلق داء إلا خلق له الدواء، علمه من علمه وجهله من جهله».

٣ ـ الدكتور محمود أبو النصر جاد الله ـ دسوق، إذا أردت الإجابة الوافية فاقرأ مئات الصفحات فى الجزءين الرابع والخامس من «موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام».

دعاء الشافعى

السؤال من القارئة/ سلوى، من محافظة دمياط، تقول: سمعت أن الشافعى كان يردد هذا الدعاء «اللهم صل على محمد عدد ماذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون» ما صحة هذا؟ وما الفرق بين الصلاة والسلام على النبى ﷺ؟

الجواب: صيغ الصلاة على النبى ﷺ كثيرة، وأفضلها الصلاة الإبراهيمية التى تقال فى التشهد الأخير، لورود أحاديث صحيحة فى ذلك، والله سبحانه وتعالى قال: «إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ الأحزاب: آية ٥٦، ومعنى صلاة الله على النبى ورحمته، وصلاة الملائكة الاستغفار، وصلاة المؤمنين الدعاء بأن يصلى الله على النبى أى يرحمه، وهذا على بعض التفاسير للآية.

ومعنى السلام على النبى منا تحيته بقولنا: السلام عليك يارسول الله، كما هو مذكور فى التشهد، وقيل إن معنى «وسلموا تسليما» انقادوا لأوامره، والأقوال كثيرة فى ذلك كما جاء فى «الزرقانى على المواهب اللدنية» ج١ ص٣٢٦ كما رويت أحاديث كثيرة فى أن صلاتنا وسلامنا على الرسول تصل إليه ويدعو لنا ويردعلينا السلام «الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى».

النساء وصلاة المسجد

السؤال من القارئ/ خيرى شاكر بشتة، من محافظة كفر الشيخ، يقول:

الجدل القائم بين صلاة المرأة فى المسجد ومنزلها أيهما أفضل، فلماذا ترك الرسول النساء عشرات السنين يصلين فى الصفوف الخلفية وراءه بالرغم من قوله ﷺ: «صلاة المرأة فى بيتها أفضل»؟

الجواب: وردت عدة أحاديث ترغب المرأة فى صلاتها فى بيتها، فثوابها أكبر من ثواب الصلاة فى المسجد، حتى لو كان مسجد النبى ﷺ كما صح فى حديث أحمد وابن خزيمة وابن حبان المروى عن أم حميد امرأة أبى حميد الساعدى، وبوَّب عليه ابن خزيمة بعنوان «باب اختيار صلاة المرأة فى حجرتها على صلاتها فى دارها، وصلاتها فى مسجد قومها على صلاتها فى مسجد النبى ﷺ، وإن كانت الصلاة فى مسجد النبى ﷺ **تعدل ألف صلاة فى غيره من المساجد ما عدا المسجد الحرام».**

وفى الوقت نفسه روى أبو داود عن ابن عمر قوله ﷺ **«لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن».** وروى مسلم قوله ﷺ: **«إذا استأذنكم نساؤكم إلى المساجد فأذنوا لهن».**

فصلاة المرأة فى بيتها أفضل من ذهابها إلى المسجد إذا كان الذهاب هو للصلاة فيه، لكن لو كان ذهابا إلى المسجد للتعلم وسماع الخطبة مثلا والصلاة أيضا كان ذهابها إلى المسجد أفضل، وهذا ما كان عليه العمل فى أيام الرسول ﷺ، وكانت صفوف النساء خلف الرجال، ومعروف أن امرأة اعترضت على عمر رضي الله عنه وهو يخطب الجمعة داعيا إلى عدم المغالاة فى المهور، ولم ينكر عليها حضورها ولا سؤالها.

قال العلماء فى أفضلية صلاة المرأة فى بيتها عن صلاتها فى المسجد: محله فى الصلاة فقط، أما ذهابها إلى المسجد لتعلم العلم فذلك شىء آخر، فإذا لم يتيسر لها التعلم فى بيتها عن طريق القراءة أو سماع الأحاديث الدينية أو مشاهدتها فى الإذاعة المسموعة والمرئية كان لها أن تذهب إلى المسجد أو المدرسة للتعلم، وعليه يحمل الحديث الذى ينهى عن منع النساء من الذهاب إلى المساجد، وكل ذلك بشرط إذن الزوج لها وعدم الخوف عليها من الفتنة، وبشرط التزامها بكل الآداب الشرعية المعروفة، وكانت المرأة أيام الرسول ﷺ ملتزمة ذلك، لكن بعد وفاته قصَّر بعضهن، ولذلك قالت السيدة عائشة - كما رواه مسلم - لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعت نساء بنى إسرائيل، ويفسر النووى ما أحدثه النساء بالزينة والطيب وحسن الثياب، ولذلك جاء فى حديث رواه أحمد وأبو داود **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وليخرجن تفلات»** أى غير متزينات، وفى حديث مسلم: **«إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبا»**، وفى حديث ابن خزيمة فى صحيحه **«لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغسل»**، بهذا تتضح الإجابة على السؤال.

كروية الأرض

السؤال من القارئ/ محمد رمضان شهاوى - من محافظة القاهرة، يقول: الإمام بن باز السعودى كفَّر كل من قال أن الأرض كروية مستدلا على ذلك من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿والأرض مددناها..﴾ ما صحة ذلك؟

الجواب: لقد ثبت أن الأرض كروية ثبوتا لاشك فيه، والواقع يؤيد ذلك ولايحتاج إلى دليل قولى، والواجب علينا أن نفهم النصوص الدينية فى القرآن والسنة بما لا يتنافى مع الحقائق العلمية، بعيدا عن النظريات والآراء التى تحتمل الصدق والكذب، وإذا كان الله يقول: **﴿وهو الذى مدّ الأرض﴾** الرعد: آية ٣، ويقول: **﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾** الذاريات: آية ٤٨، فذلك لا يتعارض أبدا مع كونها كروية، فالذى ينظر إليها ببصره العادى لا يدرك كرويتها، والشمس تشرق على بعض أجزائها وتغرب عن البعض الآخر، ولو كانت مسطحة لأشرقت وغربت على جميع الأجزاء دفعة واحدة، ففى الأرض مشارق ومغارب كثيرة، ويمكن على ضوء هذا أن نفهم قول الله تعالى: **﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون﴾** المعارج: آية ٤٠.

والخلاصة أن من يؤمن بكروية الأرض لا يكفر بالقرآن، والشواهد العلمية الواقعية على ذلك كثيرة عنى بها الباحثون المختصون.

أمة محمد ﷺ وعمرها

السؤال من القارئ/ إبراهيم عبد النبى الشامى، من محافظة الدقهلية، يقول:

كثر الحديث بعد الغزو على العراق عن الأمور الآتية: المهدى المنتظر، والسفيانى، وعمر أمة محمد، فهل هناك فى القرآن والسنة ما يؤيد هذه الأمور؟ أو يشير إليها؟

الجواب: الكلام على المهدى المنتظر سبق فى عدد شوال ١٤٢٠هـ من المجلة وأعداد أخرى، ونشر فى أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام»، وفى «بيان للناس من الأزهر الشريف».

وخلاصته أن هناك أربعة أقوال فى ظهور المهدى، فقيل: إنه المسيح ابن مريم، لكن الحديث فيه ضعف، وقيل: إنه رجل من آل البيت صح فيه حديث من ضمن أحاديث ضعيفة فإنه يخرج ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وقيل إنه المهدى أحد خلفاء الدولة العباسية والأحاديث فيه ضعيفة، وقيل - كما عند الشيعة الإمامية - أنه محمد بن الحسن العسكرى من ولد الحسين بن على دخل السرداب فى (سامرا) عندما كان صغيرا، والخلاصة أن ظهوره ليس عقيدة نحاسب عليها، لأن العقائد لا تثبت إلا بدليل قطعى الثبوت والدلالة، فمن آمن بظهوره ليس عليه حرج، ومن لم يؤمن بظهوره لا حرج عليه.

أما عمر أمة محمد ﷺ فقد صح فى البخارى وغيره حديث **«بعثت أنا والساعة كهاتين»** وأشار النبى ﷺ بإصبعيه السبابة والوسطى، والمراد بذلك قرب الساعة وأنه لا نبى بعده.

وفى الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا إلى النبى ﷺ **«ما أجلكم فى أجل من كان قبلكم إلا من صلاة العصر إلى مغرب الشمس»**، وتحديد هذا العمر بالضبط ليس عليه دليل صحيح. وحاول بعض شراح الحديث أن يفسر مدة هذه الأمة قدر خمس النهار تقريبا، وارتضى الطبرى أن الدنيا سبعة آلاف سنة، مؤيدا بحديث **«الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت فى آخرها»**، لكن هذا الحديث ضعيف جدا وإسناده مجهول وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات.

أرجو ألا نهتم بذلك، وأن نهتم بمشكلاتنا الحاضرة لنجد الحلول لها وبالله التوفيق.

عيون الموتى

السؤال من قارئ، من محافظة الجيزة، يقول:

هل يجوز نقل عيون الموتى لترقيع قرنية الأحياء؟

الجواب: تقدم الكلام على حكم نقل الأعضاء فى أعداد كثيرة من هذه المجلة، من عدد ذى القعدة ١٤٠٩هـ إلى عدد ربيع الآخر ١٤٢٣هـ سواء فى ذلك النقل من الحى إلى الحى والنقل من الميت إلى الحى.

وبالنسبة لما جاء فى السؤال، وهو نقل عيون الموتى لترقيع قرنية الأحياء قال العلماء: إذا كان الميت قد أوصى أو أذن قبل وفاته بهذا النقل فلا مانع من ذلك، حيث لا يوجد دليل يعتمد عليه فى التحريم، وكرامة أجزاء الميت لاتمنع من انتفاع الحى بها، تقديما للأهم على المهم، والضرورات تبيح المحظورات كما هو مقرر.

وإن لم يوص الميت أولم يأذن قبل موته فإن أذن أولياؤه جاز النقل، وإن لم يأذنوا قيل بالمنع وقيل بالجواز، ولاشك أن الضرورة فى إنقاذ الحى تبيح المحظور، وهذا النقل لا يصار إليه إلا للضرورة غالبا. على أن يكون هناك يقين أو ظن غالب بانتفاع المنقول إليه بذلك. للعلم بأن بعض الأجسام ترفض الأجزاء المنقولة إليها، ويحاول العلم أن يتغلب على هذا الرفض بالمنع أو الحد منه.

ثم قال العلماء: إذا جوزنا نقل الأعضاء فهل يجوز أن يؤخذ عوض للعضو المنقول؟ يرى جماعة عدم جوازه، محتجين بحرمة بيع الآدمى الحر، كله أو بعضه، ويرى آخرون جواز أخذ العوض كثمن أو هبة، قياسا على بيع المرضع لبنها، ولعدم ورود دليل يحرمه، ومهما يكن من شىء فإن الأفضل عدم المساومة على العضو المنقول، فإن إنقاذ حياة المحتاج إليه لا يعدله أى عوض، لكن لا مانع من قبول الهدية التى تعطى بسخاء نفس دون شرط سابق.

كيف نواجه تشويه الإسلام والمسلمين؟

للقارئ/ محمد عباس محمد - كاتب إسلامى واجتماعى.

إن الهجوم المعاصر على ديننا أخذ شكل مروحة؛ فهو شامل مستوعب يتناول كل شعب الإيمان من النطق بكلمة التوحيد إلى إزالة الأذى عن الطريق، وهو أخطر هجوم تعرض له ديننا فى تاريخه المجيد، فالقوى المعادية للإسلام تقصد القضاء عليه والخلاص منه وجاشت فى عقلها أمانى خبيثة تنشد الويل للمسلمين والدمار لقضاياهم الفكرية والاجتماعية، لقد مرت بالإسلام ما يزيد على أربعة عشر قرنا حافلة بالشدة والرخاء والهزائم والانتصارات، وهو الآن بعد هذا التاريخ الطويل يواجه أياما حاسمة، فإما اجتازها ومضى مسدد الخطا نبيل المقصد يهب للدنيا رشدها وخيرها، وإما انتكس به أهله وخافوا أماناته فكانت الأخرى لا قدر الله، وفى مثل هذه الأيام العصيبة نهيب بأولى الألباب به وبدور الثقافة فى إبراء الأكمه والأبرص، كما يجب أن ينتعش بين المسلمين فن النقد الذاتى؛ وهو فن يقوم على محاكاة الواقع الإسلامى إلى المثل المقررة فى الإسلام ذاته وبيان مسافة القرب والبعد والصواب والخطأ فى هذا الواقع المضطرب إن كان ثمة إجماع أن هناك تقصير من جانب المسلمين فى تنفيذ تعاليم دينهم مما أدى بهم إلى هوان حضارى مما جعل المفترين ممن يكرهون الإسلام ويحقدون عليه، ينهالون على الإسلام والمسلمين بالتهم والافتراءات وحملات التشويه، ولكى نجنب ديننا هذا الظلم الشديد، ينبغى أن نذكر الحقيقة من مصادرها الدينية والوثيقة ثم نذكر الاعوجاج الملحوظ فى أحوالنا وأفعالنا وبراءة الإسلام منه، وهذا النقد الذاتى ينهض على دراسة عميقة للإسلام وتاريخه وحضارته ولا مانع البتة من أن تتسع دائرته لتتناول أخطاء وقعت فى الماضى، فإن المسلمين غير معصومين، أما الإسلام نفسه فمعصوم.

***

منذ أن جاء الإسلام وانتشر على يد رسوله المعصوم ﷺ والصحابة الأجلاء - رضوان الله عليهم - من بعده والتابعين بعد ذلك، والإسلام يعانى من حملات الافتراء والتشكيك والتضليل والسب طبعا واضح ومعروف، فالأمم الكثيرة التى حقدت عليه وعلى تعاليمه أخذت تنال منه وتشوه كل المقاصد السامية والأهداف النبيلة التى جاء بها ودعا إليها، وهذا لا يعفى المسلمين المعاصرين من كيفية التوجيه ومعالجة تلك القضايا.

ومن هنا جاء الانزلاق والهوان فاستغل المتربصون هذه الهوة السحيقة فجاسوا فى العباد والبلاد.

اختيار الاسم حق الأبناء

للقارئ/ طارق شكرى محمد موافى. طالب بكلية التربية جامعة الأزهر - عزبة سعد الدين - المنصورة - الدقهلية.

يقول الرسول ﷺ: **«أحسنوا أسماءكم فإنكم ستدعون يوم القيامة بأسمائكم»**. ويضع ﷺ تجربة تطبيقية فيقص من الأسماء ماله معنى لا تسر له النفس، فقد سار مرة فى طريق وكان الطريق بين جبلين، فسأل عن اسم الجبلين فقيل له ذلك (مخزى وهذا فاضح) فلم يسر الرسول ﷺ بين الجبلين (المخزى والفاضح)، وأراد الرسول ﷺ أن تحلب له لقحة (شاة) فانتدب صحابيا ليحلبها، فقال: من يحلبها؟ أو من يحلب هذه اللقحة؟ فقال رجل: أنا، فقال: ما اسمك؟ قال: مرة، قال: اجلس، ثم انتدب آخر وقال: ما اسمك؟ قال: اسمى حرب، قال: اجلس، ثم انتدب آخر وقال: ما اسمك؟ فقال: اسمى يعيش، فقال: احلب»، هذا يدل على حق الوليد فى أن يحسن أبوه اسمه، فحسن التسمية من الحب ومن الحرص على أن يلازم الطفل الفأل الطيب والإقبال السمح من معاشريه فى مستقبل عمره، وقد قال - عليه الصلاة والسلام -: **«إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»**، وكان ﷺ يعجبه الاسم الحسن ذو المعنى الطيب الذى يبعث على التفاؤل والأمل، وكان - عليه الصلاة والسلام - يبدل من الأسماء التى تلصق بصاحبها المعرة والإحساس بالنقص، ومما يؤثر عنه فى ذلك أنه غيَّر اسم عاصية إلى جميلة واسم حربا إلى حسن.

***

إن أحسن الأسماء ما حمد وما عبد بمعنى محمد أو محمود أو حامد أو عبدالله وعبدالرحمن، وعبدالرحيم وغير ذلك من الأسماء القريبة من الله سبحانه وتعالى، ومن الرسول ﷺ والتى يكون لها مضمون ومعنى وتدل على الخير والبركة والسماحة واليسر، والآن فى عصر الحضارة قد تغيرت الأسماء والمسميات وأصبحت لا ترمز إلا إلى الرفاهية والنعيم.

هل تعلم؟

للقارئ/ عبدالعزيز فرج إسماعيل - القاهرة.

هل تعلم أن صاحب فكرة حفر الخندق فى غزوة الأحزاب هو الصحابى الجليل سلمان الفارسى رضي الله عنه، وأن أول من استقبل القبلة حيا وميتا البراء بن معرور رضي الله عنه، وأن قاتل الصحابى الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه هو عمرو بن جرموز، وأن الصحابى المفترى عليه فى حادثة الإفك هو صفوان بن المعطل رضي الله عنه، وأن آخر من مات من الصحابة هو الصحابى الطفيل بن عامر بن وائلة المتوفى سنة ١١٠هـ، وأن الصحابى الجليل الذى اشترى بئر رومة من اليهود ليسقى المسلمين فى المدينة هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأن أول مواجهة بين المسلمين والروم فى عهد النبى ﷺ هى غزوة مؤتة، وأن آخر صلاة صلاها النبى ﷺ فى حياته هى صلاة الفجر، وأن اليهودية الوحيدة التى أسلمت وتزوجها النبى ﷺ هى صفية بنت حيى بن أخطب، وأن النبى الذى ذكر خبر زواجه ومهر عروسه فى القرآن الكريم هو سيدنا موسى عليه السلام، وأن المنطقة التى عاش فيها قوم سيدنا إلياس عليه السلام هى المدينة المعروفة اليوم (بعلبك) بدولة لبنان، وأن اسم قوم نوح عليه السلام هم بنو راسب كما ذكر الإمام ابن جبير وغيره.

***

هذه المعلومات القيمة هى ذخيرة حية وضرورية لكل مسلم يعب من بحر الإسلام وينهل من مائه العذب.

بين الإمام مالك والإمام الشافعى

للقارئ/ ضياء الدين مصطفى ـ إمام وخطيب بالأوقاف ـ أسيوط ـ ديروط.

كتب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ للإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ: ياإمام: ما تقول فى الفرض، وفرض الفرض ،وما يتم به الفرض، وصلاة لا فرض، وصلاة تركها فرض، وصلاة بين السماء والأرض؟ فكتب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فى ذلك قائلا: الفرض هو الخمس صلوات، وفرض الفرض هو الوضوء، وأما قوله ما يتم به الفرض؟ فهو الصلاة على رسول الله ﷺ، وأما قوله: صلاة لا فرض فيها؟ فهى صلاة الصغير قبل البلوغ، وأما الصلاة التى تركها فرض؟ فهى صلاة السكران، وأما الصلاة التى بين السماء والأرض؟ فهى صلاة سيدنا سليمان عليه السلام، وأما الصلاة التى فى السماء والأرض؟ فهى صلاة رسول الله ﷺ ليلة المعراج.

***

الإمام مالك والإمام الشافعى ـ رضى الله عنهما ـ من العلماء الأفذاذ وكانا ضليعين فى علوم الفقه والسنة ـ على صاحبهما أفضل الصلاة وأتم التسليم، والقارئ لهذه الكلمات الطيبة المضيئة يرى فيها ما يرجوه وينشده كل مسلم، فقد تبلورت فيها رجاحة العقل وفطنة العالم ورحابة الصدر وسمو المعرفة وقمة الإقناع، وكانت دليلا قاطعا على الإلمام الكامل بعلوم الدين الحنيف.

رأى فى الكبائر

للقارئ/ على مصطفى أبو زيد ـ أسيوط ـ الفتح ـ الواسطى.

جمع أبو طالب المكى ـ رحمه الله تعالى ـ الكبائر على النحو التالى: أربع فى القلب وهى الشرك بالله ـ تعالى ـ والقنوط من رحمة الله ـ سبحانه ـ والإصرار على معصية الله ـ عز وجل ـ والأمن من مكر الله ـ عز وجل ـ وأربع فى اللسان: شهادة الزور، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، واليمين الغموس الذى يقطع مال امرئ مسلم (يعنى يمين هو فيها كاذب، السحر وثلاثة فى البطن، شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا وهو يعلم، واثنان فى اليدين وهما: القتل والسرقة، واثنان فى الفرج وهما الزنا واللواط، وواحدة فى الرجل، وهى الفرار من الزحف، وواحدة فى جميع البدن: وهى عقوق الوالدين.

***

لاشك ولا جدال فى أن كل واحدة من تلك المقولات تحمل فى باطنها معنى الكبائر لأنها لا تخلو من الإيذاء والإساءة إلى الغير من عباد الله، وفى هذا إجحاف بحقوق الآخرين وقبل هذا وذاك فيها وضوح الكفر وعدم الإيمان بالله ـ تعالى ـ والإصرار على الذنب والإثم، وكذلك اليمين الغموس الكاذبة التى تثير المشاحنات وقد تؤدى إلى الخصام والتقاتل، وأما أكل مال اليتيم وأكل الربا فصاحبه يضع فى بطنه نار جهنم، وناهيك عن الزنا واللواط والقتل والسرقة فكلها منكرات لا يسلم منها فاعلها، وكذلك الفرار يوم الزحف، وأما عقوق الوالدين فحدث عنه ولا حرج، عافانا الله من كل ذلك وخلصنا من تلك الكبائر.

قتل النفس البشرية وحكمه فى الشريعة الإسلامية

للقارئ/ رضا حسن حماد ـ إمام وخطيب ومدرس بأوقاف فوه ـ كفر الشيخ.

إن جريمة قتل النفس الإنسانية تأتى فى طليعة الجرائم التى يهتز لها عرش الرحمن والتى سيسأل العبد عنها أمام الواحد الديان يوم الحساب والجزاء، يقول الرسول ﷺ: **«أول مايقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء»**، وهذا الإثم بسبب ارتكاب هذه الجريمة البشعة لا يقتصر على من باشر القتل بنفسه ويده، بل يشمل كذلك كل من أعان على تحقيق هذه الجريمة، والرسول ﷺ يبين لنا أن الإعانة على قتل مسلم ولو بشطر كلمة يؤدى إلى الخروج من رحمة الله فيقول فى حديثه: **«من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله»**، ويقول تعالى: **﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾**، ويقول الرسول ﷺ: **«لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»**.

***

معروف أن قتل النفس التى حرم الله قتلها تأتى بعد الشرك بالله وعقوق الوالدين، لذلك أهاب الإسلام بضرورة احترام النفس التى خلقها الله وشدد كل التشديد فى قتلها وبدلا من القتل يجب أن تسرى روح المودة والمحبة بين الجميع.

الحكمة من تعدد الزوجات

للقارئ/ إبراهيم إبراهيم عبدالجواد عبدربه ـ إمام وخطيب ومدرس مسجد خالد بن الوليد ـ شبراخيت ـ بحيرة.

يقول الله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾، هذه الآية صريحة فى إباحة التعدد بشرط تيقن العدل بين الزوجات وعدم إيقاع ظلم على زوجة من الزوجات، والعدل معناه: التسوية بين الزوجات فى المسكن والنفقة والمبيت، ولا يدخل الميل القلبى فى هذا الأمر لأن العبد لا يملك ذلك والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء لقوله ﷺ: «اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك».

وعن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: **«أسلم غيلان الثقفى وتحته عشر نسوة فى الجاهلية فأسلمن معه فأمره النبى ﷺ أن يختار منهن أربعا»** رواه أحمد والترمذى، والإسلام حين أباح التعدد أراد أن يتمشى مع ظروف كل إنسان فى كل زمان ومكان ويعالج أدواء المجتمع علاجا سليما ليحارب جريمة الزنا واتخاذ الأخدان والخليلات وليبقى بهذا التعدد على الزوجة القيم والمريضة، ولو كان التعدد ممنوعا لكان نصيب هذه الزوجة المريضة البائسة هو الطلاق فهل يكون ذلك هو العدل أم لا؟ إن إبقاء الزوجة المريضة فى بيت زوجها أفضل بكثير من طلاقها وحينما أباح الإسلام التعدد نظر إلى حالة الزوج النفسية: فحينما لا يجد فائدة فى زوجته إما أن يذهب لاتخاذ الخليلات أو يعيش مع هذه الزوجة بنفس غير راضية فنحمد الله على نعمة الإسلام حمدا طيبا مباركا فيه.

***

هناك غايات أسمى فى أسباب تعدد الزوجات ومنها على سبيل المثال: كثرة نسبة النساء وقلة نسبة الرجال لموتهم فى الحروب، فقد أصبحت نسبة عدد النساء الآن سبعة أضعاف نسبة الرجال هذا بخلاف ما كان يفعله الرسول ﷺ مثل زواجه من السيدة عائشة والسيدة حفصة ـ رضى الله عنهما ـ فقد كان هذا الزواج تكريما لوالديهما، وغير ذلك مثل زواجه من السيدة التى توفى زوجها فى الحرب تطييبا لخاطرها، وعلى هذا جرى القياس فى عهد رسول الله ﷺ فكانت الدواعى إسلامية بحتة.

إنصاف عمر

للقارئ/ هانى سيد أحمد فرغلى ـ أسيوط ـ درنكة ـ غرب البلد.

قيل لما فتحت وجاءت الأموال، حضر الحسن بن على فقال: «أعطنى ياأمير المؤمنين حقى مما أعطى الله المسلمين، فقال عمر: بكل سرور وأمر له بألف درهم فأخذها الحسن ثم انصرف، فجاء الحسين بن على وقال: أعطنى ياأمير المؤمنين حقى مما أعطى الله المسلمين، فأعطاه عمر ألف درهم، ثم حضر ابنه عبدالله بن عمر، فقال كما قال الحسن والحسين، فأمر له بخمسمائة درهم، فقال ابنه: ياأمير المؤمنين أنا رجل شديد أضرب بالسيف والحسن والحسين طفلان يلعبان فى طرق المدينة، تعطى كل منهما ألف درهم وتعطينى خمسمائة؟ قال عمر: نعم، اذهب فأتنى بأب كأبيهما وأم كأمهما وجد كجدهما، وجدة كجدتهما، وعم كعمهما، وخال كخالهما، فإنك لا تأتينى به، فنجد عمر رضي الله عنه وأرضاه، قد أنصف حفيدى رسول الله ولم يسو ابنه بالحسن والحسين كل إنسان ما يستحقه.

***

لقد نظر أمير المؤمنين رضي الله عنه نظرة خاصة إلى هذا الموضوع، نظرة خاصة بمعنى أنه لم يكن يقصد التفريق بين الحسن والحسين وابنه عبدالله ـ رضى الله عنهم جميعا ـ ولكنه أكرم الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما ـ لأجل جدهما رسول الله ﷺ. وأمهما السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ ابنة الرسول ﷺ، فإنهما من دوحة النبوة، فعراقة الأصل وأصالة المنبت وقيمة النسب هى التى جعلت أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لا يسوى بينهم جميعا، وليس معنى هذا أن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أقل منهما شأنا، فالإسلام قد سوى بين الجميع، وعبدالله ابن عمر كان له مكانة فى الإسلام خصوصا أنه كان من الفقهاء ومن رواة الحديث ومن حبه الصادق لرسول الله ﷺ وهو ابن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه الزاهد الورع العادل الشجاع ـ الذى كان القرآن الكريم كثيرا ما يؤيد رأيه والذى قال عنه رسول الله ﷺ: «لو كان هناك نبى بعدى لكان عمر، وقال عنه أيضا لم أر عبقريا يفرى فريه».

تفكر في يوم القيامة

للقارئ / على محمد بكر ـ أكوة الحصة ـ غربية.

تفكروا فى يوم الحشر والميعاد وتذكروا حين يقوم الأشهاد، إن فى يوم القيامة لحسرات وإن فى يوم الحشر لزفرات، وإن عند الصراط لعثرات، وإن عند الميزان لعبرات، وإن الظلم يومئذ ظلمات والكتب تحوى كل هذا تصديقا لقوله تعالى: **﴿ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾** الكهف: آية ٤٩.

وإن الحسرة العظمى عند السيئات، فريق فى الجنة يرتقون فى الدرجات وفريق فى النار يهبطون إلى الدركات، وما بينك وبين هذا إلا أن يقال: فلان مات، وتقول ربى ارجعون: فيقول: قد فات قال تعالى: **﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون* لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾** المؤمنون: الآيتان ٩٩، ١٠٠.

روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»**، قالت أم الربيع لولدها: يابنى ألا تنام؟ قال: ياأماه: من جن عليه الليل وهو يخاف الثبات حق له ألا ينام، فلما رأت ما يلقى من السهر والبكاء قالت: يابنى لعلك قتلت قتيلا؟ قال: نعم، قالت: ومن هذا القتيل حتى نسأل أهله فيغفرون فوالله لو يعلمون من السهر والبكاء لرحموك، فقال: ياوالدتى: هى نفسى.

***

التفكير فى يوم القيامة لابد أن يكون بالعمل الجاد المثمر مصحوبا بالطاعة وتنفيذ الأوامر الإلهية وتجنب النواهى التى من شأنها أن تفسد العمل الصالح مع التمسك التام بسنة الرسول ﷺ، لأن أهوال القيامة تطغى على كل شىء مصداقا لقوله تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه* وأمه وأبيه* وصاحبته وبنيه* لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ عبس: الآيات ٣٤ ـ ٣٧، فهل رأيت أهوالا أشد من هذه الأهوال التى تغمر الإنسان بالهلع والفزع والفرار من كل الأهل والأقارب والمحبين.

كلمات من الحياة

للقارئ/ أنور السادات فتحى فهمى التركى ـ قنا.

الإيمان كلمة مشرقة سامية، والمؤمن إنسان عرف الله فعرفته الحياة، والحقد زرع خبيث فى أرض يلعب الشر فى قلوب أهلها، والنفاق وجه من أوجه التملق والتزلف وهو من قبيلة المكر والدهاء، والحق سيف من سيوف العدل يسلط على المتمردين من ألسنة الشرفاء ليناهض الباطل فيصرعه، والمرض آفة تصيب الطيبين والأشرار والجزاء الأوفى لمن صبر، والألفة طائر يطير بين قلوب المحبين فيجمعهم ويؤلف بين قلوبهم، والإسلام دين الحق والسلام وهو النور خرج من بين حروفه الزود والردع لاستقامة الحياة، وهناك كلمات مغلفة بالكذب تخرج من ألسنة أهل الباطل لينالوا بها غرضا أو مطلبا ملوثا بالشر والفساد، أما الإحسان فهو أن تحسن إلى كل شىء فى النهاية سترى كل شىء بما تحبه وترضاه، وعين الحق أن تجعل للحق أبصارا ليرى ماذا يفعل أهل الباطل.

***

الإنسان الخيّر يرى الحياة بعين الخير والإيمان، والإنسان الشرير يراها بعين الشر والكذب والباطل، فهو يشكلها حسب مراده وهواه، وفرق كبير بين الحالتين، فمطالب الأخيار يظهر أثرها واضحا بين المجتمعات الصادقة العادلة. أما مطالب الأشرار فلا أقدام لها تمشى عليها فهى عاجزة باطلة، لأن الخير والشر لا يسيران فى طريق واحد لأن طريقهما مختلف وأهدافهما متباينة، وأغراضهما متفاوتة، فشتان بين الحب والبغض والسلام والدمار.

عيادة المريض وتشييع الميت

للقارئ/ فوزى سيد محمود إبراهيم ـ قنا ـ نجع حمادى ـ بهجورة ـ نجع الشيخ.

عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنهما ـ قال: أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإبرار المقسم ونصر المظلوم وإجابة الداعى وإفشاء السلام.. متفق عليه.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس».. متفق عليه، وعنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ عز وجل ـ يقول يوم القيامة: ياابن آدم مرضت فلم تعدنى؟ قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده، ياابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى؟ قال: يارب: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ ياابن آدم: استسقيتك فلم تسقنى؟ قال يارب: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى؟» رواه مسلم، وعن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العانى» رواه البخارى.

***

هذا هو أدب الإسلام، الدين الحنيف الذى جاء به سيد المرسلين وإمام الأنبياء والمتقين والذى بعثه الله ـ سبحانه ـ رحمة للعالمين وطبيبا لجميع الناس أجمعين، وإذا لم تكن هذه هى الرحمة بعينها فأين توجد الرحمة وأين تكون؟ وإذا لم يكن ذلك هو طب الروح والنفس فأين يكون الطبيب البارع الذى يضمد الجراح ويمسح آلام النفوس والقلوب؟ إن ديننا هذا شأنه وتلك رعايته وعنايته لجدير بأن نعض عليه بالنواجذ ولا نفرط فيه أو نهمله، بل لابد من الحرص عليه وتعليمه لكل المسلمين حتى يكونوا دعاة مخلصين ورسلا مبشرين وهداة مهتدين.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة ـ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ (٩)

السؤال : المسلم من منطلق إيمانى مطالب بالنظافة التى هى من الإيمان، فالطهارة التى تتضمن النظافة هى شرط من شروط العبادات.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... اسم الكاتب : ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... رقم التليفون : ....

رقم البطاقة: .... جهة الصدور : ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٣هـ حتى شعبان ١٤٢٤هـ

بريد التعارف
أهلاً

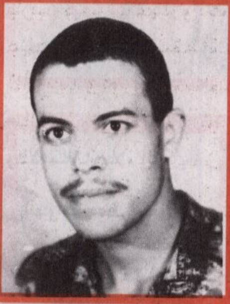

الاسم : أشرف إسماعيل حسن
الهواية : الخطابة والاطلاع الدينى
العنوان : محافظة الشرقية ـ مركز فاقوس أكياد القبلية

الاسم : وجيه محمد المنوفى
الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى
العنوان : قرية صروة ـ مركز قلين ـ محافظة كفر الشيخ

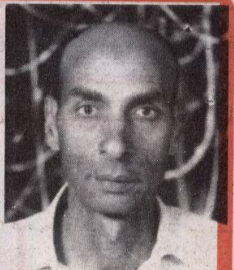

الاسم : منصور أحمد زيدان
الهواية : الاطلاع الدينى والمسابقات
العنوان : نمرة البصل ـ المحلة الكبرى

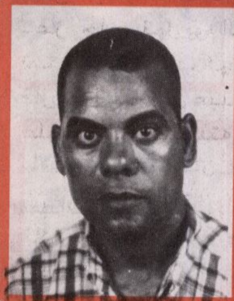

الاسم : أحمد توفيق محمد مرسال
الهواية : سماع القرآن والخطابة
العنوان : قرية عامر ـ الجناين ـ السويس

الاسم : محمد أحمد عبدالمجيد شرارة
الهواية : الاطلاع الدينى والقراءة
العنوان : أويش الحجر ـ المنصورة ـ الدقهلية

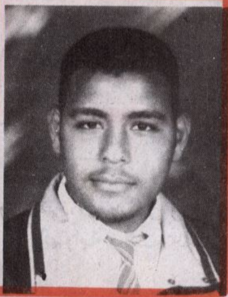

الاسم : أيمن الهادى أبو الحسن
الهواية : الخطابة ـ وقراءة القرآن الكريم
العنوان : دنديط ـ مركز ميت غمر ـ محافظة الدقهلية

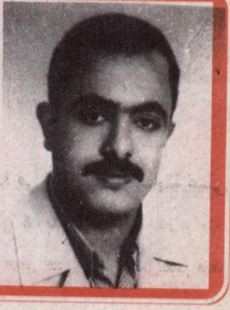

الاسم : جمال رمضان إبراهيم عشماوى
الهواية : قراءة القرآن والمراسلة
العنوان : ش الجلاء ـ الدلنجات ـ بحيرة

الاسم : محمد محمد السيد عبده
الهواية : المسابقات الدينية
العنوان: البصارطة ـ دمياط

الاسم : إبراهيم صديق السيد
الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى
العنوان : ٥٤ ش مكة والجيش ـ الإسماعيلية

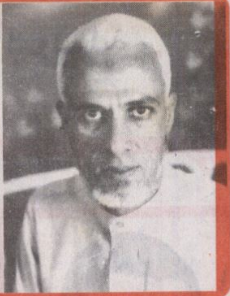

الاسم : محمود عبدالحليم عبدالعزيز
الهواية : قراءة القرآن وحفظه
العنوان : بنى سويف ـ الواسطى

الاسم : ممدوح وفاء شوقى حنفى
الهواية : القراءة الدينية والعلمية
العنوان : دروة ـ أشمون منوفية

الاسم : علاء الدين
الهواية : قراءة الكتب الدينية والمراسلة
العنوان : أويش الحجر المنصورة ـ الدقهلية

الاسم : فتيان عبدالعزيز الشرقاوى
الهواية : نشر الوعى الدينى
العنوان : عزبة غالى ـ السنطة ـ غربية

الاسم : حلمى مصطفى حلمى
الهواية : الخطابة وكرة القدم
العنوان : كفر حمزة ـ قليوبية

الاسم : جابر عبدالعزيز عبدالسميع
الهواية : نشر الوعى الدينى
العنوان: بنى سويف ـ مركز هياسى

الاسم : محمد أحمد عبدالفتاح عبدالفتاح
الهواية : قراءة القرآن والاطلاع العلمي والدينى
العنوان : بدواى ـ المنصورة ـ دقهلية

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

□ **كلمة التحرير**		١
□ **حديث الشهر**	بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق	٢
□ **القرآن الكريم وعلومه**		٥
● تفسير سورة التحريم	أ. د. محمد سيد طنطاوى	٦
● دراسات جديدة فى إعجاز القرآن الكريم	أ. د. عبدالعظيم المطعنى	٩
□ **دراسات فى السنة المطهرة**		١٥
● علم الحديث	أ. د. أحمد عمر هاشم	١٦
● دروس مستفادة من حياة الرسول ﷺ	الشيخ/ فكرى حسن إسماعيل	١٩
● مع الشاعر التهامى وقصيدة القاهرة	أ. د. طه مصطفى أبو كريشة	٢٢
● الثقافة الإسلامية للامبراطور فريدريك الثانى أساس دعوته للسلام	أ. د. إبراهيم العدوى	٢٧
● بغداد عاصمة امتزاج الثقافات والأديان السماوية	أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة	٣٣
● الجمال الإلهي وآثاره في الأنفس والآفاق	أ. د. محمد أبو ليلة	٣٧
● حيرة بغداد وهارون الرشيد (شعر)	محمد التهامى	٤٤
□ **الحضارة والعلوم**		٤٥
● من خصائص الحضارة الإسلامية: تكريم الإنسان	أ. د. محمد السيد الجليند	٤٦
● النوم آية من آيات الله فى خلقه	أ. د. محمد فتحى فرج بيومى	٥٠
● {وجعلنا من الماء كل شيء حى}	أ. د. عبدالمعبود عمارة	٥٥
● الاستنساخ وانفجار البشرية	أ. د. السيد الجميلى	٥٨
□ **شخصيات إسلامية**		٦١
● نفحات صوفية: فى مجلس أبى الحسن الشاذلى	أ. د. محمد رجب البيومى	٦٢
● فقيه المتكلمين ومتكلم الفقهاء.. أبو منصور البغدادى	أ. د. محمد المسير	٦٦
● دور الصوفية الصالحين فى مؤازرة السلطة ومقاومة الفساد	أ. د. عبدالحليم عويس	٦٩
● العقاد والتفكير فريضة إسلامية	أ. كمال عبدالوهاب	٧٢
● لماذا أسلم هؤلاء	أحمد حامد	٧٨
● حوار مع رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشورى الجزائرى	محسن عبدالفتاح	٨١
□ **الدعوة والدعاة**		٨٥
● دور الدين فى بناء القيم وضبط السلوكيات	أ. د. سعاد إبراهيم صالح	٨٦
● نحو رؤية مستقبلية لنظام الوقف فى الإسلام	أ. د. محمد الشحات الجندى	٩١
● حث الإسلام على الإنفاق فى سبيل الله	الشيخ فوزى فاضل الزفزاف	٩٨
● المجتمعات الإسلامية فى أوروبا الشرقية	أ. د. محمد إبراهيم الجيوشى	١٠٢
● القصص القرآنى حقائق وأحداث واقعية	أ. د. محمد الدالى	١٠٦
● لو تعلمون فضل الزكاة (شعر)	عبدالغنى أحمد ناجى	١٠٩
● الإسلام وقضايا الحوار	عرض: حسن أحمد خليل	١١٠
● حوار مع رئيس الكونجرس الإسلامى الكندى	محمد كامل شاهين	١١٤
● وراء الأخبار	منير بيومى	١١٧
● نافذة على المعلومات	إعداد/ منى القاضى	١٢٠
● قطوف	إعداد: خضرة رشاد	١٢٢
□ **أنت تسأل والفقيه يجيب**	فضيلة الشيخ عطية صقر	١٢٥
□ **مع القراء**	يحرره: حسين السكرى	١٣٧
□ **بريد التعارف**		١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد ـ مصطفى إسماعيل محمود على البنا ـ محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى

٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير

مكتبة مسجد النور بالعباسية

٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)

الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر